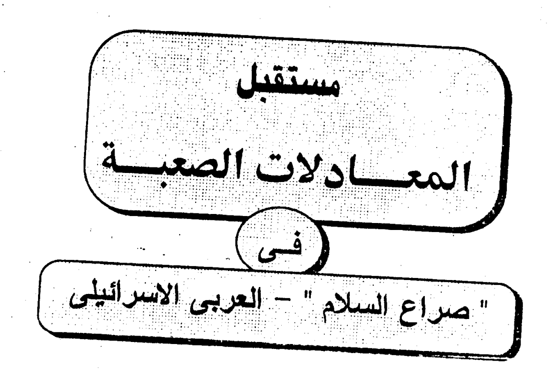


دكتور/ جمال على زهران

أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية
كلية التجارة ببورسعيد - جامعة قناة السويس

٢٠٠٠م

فهرس الكتاب

مقدمـــة

يعتبر الصراع العربى الاسرائيلى نمطاً فريداً من الصراعات الاقليمية والعالمية. فقد نشأ هذا الصراع مخططاً من قوى دولية تعانقت مع اسرائيل فى لحظة تاريخية معينة متسترة وراء دوافع دينية لتحقيق أهداف سياسية بحتة تتمحور حول إعاقة هذه المنطقة العربية من إحداث أية درجة من درجات التنسيق أو التكامل أو الوحدة. ولذلك فقد نشأ هذا الصراع من رحم الرغبة فى اغتصاب الأرض بقوة استعمارية استيطانية ، والتنكيل بالشعب الفلسطينى والعربى ومحاولة إلغائه من الوجود ، بالإضافة إلى محاولة محو الذاكرة الفلسطينية والعربية وترويضها على قبول " الآخر " الاسرائيلى بالعنف والقهر .

وبرز هذا الصراع ليظل ويبقى وينتقل من أجيال إلى أجيال دون انتهاء. وقد تدخل مرحلة لمحاولة فك طلاسم هذا الصراع ، تسمى مرحلة السلام، وقد يتصور البعض بأن هذه المرحلة هى مرحلة نهائية لإنهاء صراع دام أكثر من نصف قرن منذ نشأة اسرائيل ، ووصل لما يقرب من قرن كامل منذ وعد بلفور عام ١٩١٧ الذى جاء تتويجاً لمؤتمر بازل بسويسرا لإعلان ميلاد الحركة الصهيونية رسمياً فى نهاية القرن التاسع عشر بعامين . ولاشك أن هذا تصور خاطىء . فقد تسهم " مرحلة السلام " الحالية فى تأجيل الجانب العسكرى – أو إلغائه !! – فى الصراع العربى الاسرائيلى ، ولكنها لاتلغى الصراع فى جوانبه الأخرى سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وحضارياً .

وتأكيداً لذلك ، فانه على الرغم من تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل منذ عام ١٩٧٩ ، ومنذ ما يقرب من (٢٥) عاماً على المستوى الرسمى، ورغم الصخب الشديد لبعض الفئات الداعية لهذا التطبيع أو المطالبة بالدعوة لذلك قهراً

أو مقابـل مصـالح متبادلــة أو لسـبب أو لآخـر ، إلا أن هذا كله لـم يتمخـض عنـه إلا تطبيع محدود للغاية. وقد أختذل ذلـك فـى عـدد محـدود مـن الرسـميين، حيثمـا يرفض عـدد مـن أصـحـاب المنـاصب الرسـمية ملاقـاة الاسـرائيليين، ويرفـض الكثيرون التعامل مع هؤلاء القوم تحت أى ستار أو لافتة !! وفـى المعنـى الأخير فإن ما تمخض عن تطبيع العلاقات بين مصر أو دول عربية أخرى واسرائيل، هو حجم متواضع للغاية .

وقد يتصور البعض أن هذه مـن طبيعـة الأمـور فـى البدايـة، وأن التطبيـع الكامل آت ، وأن السلام مسألة استراتيجية لا مرحلية، وقد يكون فى جزء من ذلك صحيحاً ، إلا أن الصورة الكلية تشير إلى أن الإحجام الشـعبى والجمـاهيرى علـى التعامل مع الكيان الاسرائيلى الصهيونى له ما يبرره من أن هناك ارتباط سلبى فى وجدان هذا الشعب العربى تجاه هذا الكيـان مـن واقـع تـاريخ وأسـلوب زرعـه فـى جسد المنطقة العربية ، باعتباره دخيلاً على هذا الجسد. كما أن هذه النظـرة يغيب عنها التصور الاسرائيلى نفسه الذى لايزال يحتفظ بترسانة مـن الأسـلحة النوويـة، ومن الأسلحة الاستراتيجية وغيرها ، ولايزال يعتقد فى نظرية التفوق الكاسـح فـى موازين القوى على كل العرب ، ولايزال ينظر إلى " السلام " باعتباره أمراً مؤقتـاً وليس سلاماً دائماً ، ويعتقد فى سيادة مفهوم " السلام الاسرائيلى" لا السلام العـادل والذى يراعى حقوق الآخرين.

ولذلـك فـان التعـامل مـع اسرائيل ، دون ادراك الرفـض الشـعبى ، ودون إدراك الإصرار الاسرائيلى على الهيمنة وفرض السـلام الاسرائيلى، يفضـى إلـى نتائج وخيمة.

ولذلك فنحن نعتقد أن السلام الحالى مرحلة أو حلقة من حلقات الصراع ويتوقف تطوره واستقراره على حسن نوايا اسرائيل ازاء العرب فى هذه الأونة. إلا أنه مع ذلك لايمكن أن يحل الصراع العربى الاسرائيلى أو يلغيه ، بل سيتحول هذا الصراع إلى أبعاده الأخرى التى سبق أن أشرنا اليها والمتمثلة فى البعد الحضارى والبعد السياسى والبعد الاقتصادى والبعد الاجتماعى والبعد الثقافى وغيرها .

وفى المعنى الأخير سيظل الصراع العربى الاسرائيلى صراعاً مركزياً لأمد غير منظور ، ولأجيال لم تولد بعد .

** ** **

ولأن هذا الصراع هو صراع وجود ومصير ، فإنه محل اهتمام عدد كبير من الباحثين فى مجال العلوم الاجتماعية والطبيعية وباعتبارى واحد من هؤلاء الباحثين فى مجال العلوم السياسية ، فقد قرأت وبحثت وكتبت خلال ربع قرن منذ أن كنت طالباً فى الجامعة، حول هذا الموضوع بالمقال وبالدراسة العلمية، نشرت جميعها باستثناءات بسيطة فى مجلات علمية رصينة ، وصحف كبرى مصرية وعربية ، وفى مراكز بحوث استراتيجية لها وزنها. وقد رأيت أنه من الفائدة للقارىء أن أجمعها فى كتاب ، بعد أن أعدت تصنيفها وترتيبها لتحقق الفائدة المرجوة .

وهذا الكتاب يضم ٢٨ مقالاً تم تصنيفهم فى خمسة فصول، علاوة على (٥) دراسات مختلفة فى خمسة فصول أخرى .

وخصصنا **الفصل الأول** : لتحليل تحديات مرحلة السلام فى الصراع العربى الاسرائيلى ، ويضم (٨) مباحث .

وخصصنا **الفصل الثاني** : لتحليل الانتخابات الاسرائيلية وقضية السلام، ويضم (٨) مباحث .

والفصل الثالث : لتحليل الانتخابات الأمريكية وقضية السلام فى الشرق الأوسط ، ويضم (٣) مباحث .

والفصل الرابع : لتحليل الدولة الفلسطينية القادمة ، فى (٥) مباحث .

والفصل الخامس: لتحليل تحديات الجنوب اللبنانى والجبهة السورية وثقافة المقاومة، وذلك فى (٤) مباحث .

والفصل السادس : لتحليل آليات المفاوضات العربية الاسرائيلية، ودلالات ودروس المستقبل، فى (٣) مباحث .

أما **الفصل السابع** : فيتناول بالتحليل الرؤى المختلفة للقوى السياسية المعارضة، للعلاقات المصرية الاسرائيلية، وذلك فى ثلاثة مباحث .

بينما **الفصل الثامن** : فقد خصصناه لتحليل تأثير المتغيرات الدولية والاقليمية على سياسات التسليح وعملية السلام بين العرب وإسرائيل وتناولنا ذلك فى (٤) مباحث .

أما **الفصل التاسع** : يتضمن تحليلاً لسيناريو الاستراتيجية السياسية فى مواجهة احتمالات انهيار عملية السلام، وذلك فى (٤) مباحث .

وأخيراً يأتى **الفصل العاشر**: لتحليل احتمالات حرب عربية اسرائيلية قادمة ، وموقف القوى العظمى وذلك فى (٥) مباحث .

وعلى الرغم من أن الدراسة الأخيرة قد كتبت منذ أكثر من عشر سنوات مضت، إلا أنني بقراءتها مرة أخرى رأيت أنها تمثل أهمية كبيرة رغم قدم معلوماتها، باعتبارها تقدم تحليلاً من الضرورى أخذه فى الاعتبار، ووضع احتمالات لإمكان حدوث هذه الحرب ولو بقدر ضئيل للغاية . كما أن ترجيحنا لهذه الأهمية يأتى فى سياق القناعة بأن اسرائيل تنظر لعملية السلام باعتباره سلاماً يتفق ومصالحها فى هذه اللحظة ، وقد تراه قد استنفذ الغرض فى فترة قادمة ومن ثم فان خيار الحرب والعنف لايمكن استبعاده من الادراك الاسرائيلى مع ثبات الشعار " من النيل إلى الفرات " !! .

وختاماً :

فأننى آمل أن أكون بهذا الجهد ، قد قدمت شيئاً ذات قيمة لقارئنا العربى لكى تظل ذاكرته حية ويظل إدراكه يقظاً ازاء هذا الصراع العربى الاسرائيلى، باعتباره صراع الماضى والحاضر والمستقبل ، كما أتمنى أيضاً أن أكون قد وفقت فى اختيار عنوان هذا الكتاب " مستقبل المعادلات الصعبة فى " صراع السلام " العربى الاسرائيلى ، وأن تكون الصفحات القادمة معبرة بحق عن هذا العنوان ، وأن يكون تحليلى المستقبلى حتى لو كان شيئاً قد كتب منذ فترة ، قد ترجم فى الواقع العملى .، .

والله الموفق ،،

المؤلف

القاهرة فى ٢٠/يونيه/٢٠٠٠م — **جمال على زهران**

الفصل الأول

تحديات مرحلة السلام

فى الصراع العربى الإسرائيلى

١٢

المبحث الأول

القدرة التفاوضية وحتمية المشروع الوحدوى (*)

تتداعى الأحداث بعد انتهاء الحرب فى الخليج ، بما لا يدع مجالاً للشك ، بأن أزمة الخليج بوجهيها الدبلوماسى والعسكرى ستظل متغيراً رئيسياً لا يمكن تجاهله فى فهم وتحليل هذه التداعيات خلال حقبة التسعينات على الأقل .

ومن أهم الإفرازات لأزمة الخليج : تلك الآلية الجديدة فى التعامل مع مفهوم " الشرعية الدولية " بما خلفته من وسائل شاملة فى مواجهة إحدى القوى الإقليمية الصاعدة من العالم الثالث ، والتى تحدثت النظام العالمى ، وهى القوة العراقية . فقضايا المنطقة العربية عديدة ومتشابكة ، ويلزم عند حسمها توافر منطق واحد . والذى حدث عند التعامل مع أزمة الخليج، أن تحدد هدف الشرعية الدولية الظاهرى فى " تحرير الكويت " تنفيذاً لقرارات الأمم المتحدة . هذا يقود إلى ضرورة تنفيذ ذلك - بالمثل - على القضية الفلسطينية باعتبارها جوهر القضايا فى المنطقة العربية والشرق الأوسط بأسره ، حيث صدر بشأنها قرارات عديدة من الأمم المتحدة واجبة التنفيذ . والسؤال هنا : هل هذا ممكن ؟ وكيف ؟ .

وقد لاحظنا أن هناك البعض من أصحاب النوايا الحسنة ممن يطالب الولايات المتحدة بالمعاملة بالمثل مع القضية الفلسطينية بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة تجاه إسرائيل مثلما تم التعامل مع العراق ، ولازالت الأمور تتتابع معه. ولكن يغيب عن هؤلاء عدة حقائق أساسية هى :

(*) نشرت بجريدة الوفد ، يومى ٩، ١٠/٨/١٩٩١ .

أ - أنهم يناشدون القوى الكبرى ، وخاصة الولايات المتحدة وأوربا الغربية، ويحاولون أن يستدروا عطفهم بضرورة المساعدة لحل القضية ، وهم بذلك يقدمون العوامل الخارجية فى إدارة أزمتهم عن إرادتهم الذاتية ، وهى الأساس فى هذا الأمر .

ب - أن هناك موازين للقوة فى أى صراع تقود إلى كيفية التعامل مع القضية المستهدفة ، وأن المطالبة بالمعاملة بالمثل يفجر قضية توازن القوى فى المنطقة العربية ، وما إذا كان يسمح بذلك أم لا ؟

جـ - الأهمية النسبية - بل والمطلقة - لإسرائيل لدى الغرب تختلف عن أهمية العراق ؛ لأن إسرائيل محور للوجود الغربى فى المنطقة العربية ، بل هى أمتداد للغرب ، وأكثر من ذلك ، هناك تطابق كامل بين المصلحة الغربية والوجود الإسرائيلى .

فهل من المنطق إذن أن يتعامل الغرب مع إسرائيل مثلما تعامل مع العراق فى أزمة الخليج ؟ وهل من المتصور - مجرد تصور - أن يستخدم الغرب القوة العسكرية فى حالة استمرارية رفض إسرائيل للشرعية الدولية متمثلة فى قرارات الأمم المتحدة ؟

ويقود هذا التوضيح إلى فهم خلاصة التحرك الأمريكى المكوكى متمثلاً فى الجولات العديدة التى يقوم بها جيمس بيكر - وزير الخارجية الأمريكى. وفى تقديرنا أن هذا التحرك يستهدف ما يلى :

أ - تنفيذ الوعد الأمريكى للعرب المتحالفين مع الولايات المتحدة بالسعى نحو حل القضية الفلسطينية ، وذلك فى أعقاب انتهاء أزمة الخليج ، وهذا ما ظهر فى خطاب بوش عقب الأزمة فى هذا الصدد .

ب - المحافظة على جبهة التحالف العربيــة المؤيـدة للولايات المتحدة ؛ حتى لا تعطى الأخيرة الذريعة للعراق بأن يثبت صدق تصوره فـى الربط بين أزمة الخليج والقضية الفلسطينية .

جـ - محاولة إثبات أن الفاعل الدولى الرئيسى - إن لم يكن الوحيد - فى حل الصراع العربى الاسرائيلى ، هو الولايات المتحدة ، وأن التنسيق مع الاتحاد السوفيتى وأوروبا الغربية يأتى فـى إطـار الهيمنـة الأمريكيـة ومبادرتها ، تأكيداً لأنها مركز القوة الجديد فى العالم .

د - القدرة على التحكم فى إدارة الأزمة العربية الإسرائيلية فى إطار المصلحة القومية الغربية والتى تنحاز أساساً بالتقارب أو التطابق مع مصلحـة إسرائيل .

وخلاصة هذا التحرك الأمريكـى حتى الأن : لا شـئ . فإسرائيل ترفض كل شئ ، وإن قبل طرف عربى مجرد شئ طرحته إسرائيل أو حتى الولايات المتحدة ، تبادر وتسرع إسرائيل برفضه ، بل إن إسرائيل تتراجع عن أفكار اعتبرت فى فترة سابقة خطوة إلى الأمام وهى ما سميت آنذاك بمبادرة شامير لإجراء الانتخابات فى الضفة والقطاع. وتبدو الولايات المتحدة كما لو أنها لا تملك شيئاً فى الأمر ، فهى تسمع للأطراف ، وتشيع الأمل ، وتغضب بعض الشئ من إسرائيل المدللة فى نفس الوقت الذى تمنحها الإعانات لتوطين اليهود المهاجرين ... الخ . وهذا يعكس بوضوح أن الطرف الإسرائيلى والطرف الأمريكى يحولان القضية من ضرورة تطبيق قرارات الأمم المتحدة - وهى تمثل الشرعية الدولية إزاء الصراع العربى الإسرائيلى ومضمونه القضية الفلسطينية - إلى قضية التفاوض بشأن الأمور الشكلية الخالية من كل مضمون يؤكد الالتزام المسبق من جانب إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة . والسؤال : فيما إذن التفاوض ؟ وهذا يقودنا إلى فهم أساس هذا الموقف الإسرائيلى والأمريكى : فالولايات المتحدة تعلن أنها لن ترفض حلاً على الأطراف ، وإسرائيل ترفض كل الأفكار ، وتسعى إلى ١٦

فرض أفكارها التى وصلت إلى حد رفضها للمشاركة الأوروبية فى الحل ، والاشتراط على السوفيت بإعادة العلاقات معها حتى توافق على اشتراكهم فى الحل ، فما الذى أدى إذن إلى هذا الوضع الذى يجعل من إسرائيل الطرف الذى يفرض فيه الشروط ؟

والواقع أن المدخل الصحيح والعلمى لفهم هذا الموقف الإسرائيلى هو محاولة فهم طبيعة القدرة التفاوضية العربية ، وهل هى فى وضع يسمح بأن تتعامل بمنطق الند للند أم غير ذلك ؟

لأن القدرة التفاوضية يجب أن تستند إلى التكافؤ وإلى تعادل ميزان القوى، حرصاً على كسب أكبر قدر من المصالح ، وأقل قدر من الخسائر .

وفى حالة اختلال هذا التكافؤ ، فإن هناك صعوبة – إن لم تكن استحالة – لتحقيق الأهداف المرجوة من وراء التفاوض. فعلم العلاقات الدولية يؤكد لنا التناسب الطردى بين حجم القوة ودرجة تحقيق الأهداف ، ولذلك فإن درجة التكافؤ بين الأطراف المتفاوضة تحول دون فرض شروط طرف على آخر .

ولذلك فإن فهم القدرة التفاوضية العربيــة فى الوقت الحاضر يقودنا إلى تحليل العناصر التالية :

(١) درجة التضامن العربى : حيث تمخض عن أزمة الخليج حالة جديدة من الانقسام العربى ، وتراجعت درجة التضامن بين البلدان العربية ، كما أن هذه الأزمة كشفت عن هشاشة تجربة التجمعات العربية ، ومن شأن الوضع الانقسامى الحالى للعرب إضعاف القدرة العربية فى التفاوض .

(٢) درجة التمسك العربى بمنظمة التحرير كممثل شرعى ووحيد للفلسطينيين، حيث يلاحظ تراجع بعض الدول العربية عن التمسك بالمنظمة ، وهناك تشكيك فى شرعية المنظمة فى ضوء موقف قيادتها من أزمة الخليج ، كما أن هناك بعض الأنظمة العربية فى خلاف مع قيادات المنظمة انتهزت الفرصة لتعلن عدم صلاحية المنظمة لتمثيل الفلسطينيين .

وهذا الاضطراب فى تأييد المنظمة مستمد من حالة الانقسام العربى ، ويؤكد عدم التمسك العربى بالشرعية العربية استناداً إلى أن إقرار شرعية المنظمة مستمد من قرار عربى فى ١٩٧٤ ، كما أن هذا الاضطراب أعطى الفرصة لإصرار إسرائيل على استبعاد المنظمة من أية تسوية ، وكذلك تنصلت الولايات المتحدة من تعاملها مع المنظمة أيضاً. وكل هذا من شأنه إضعاف وتمزق الموقف العربى إزاء الصراع مع إسرائيل .

(٣) طبيعة دور الجامعة العربية ؛ فقد أصبحت الجامعة أداة انقسام لا أداة للوحدة ، كما أنها تستمد وجودها من الحفاظ على الدور الشكلى لها دون مضمون حقيقى ، ومن ثم فإن دور الجامعة دور محدود ويتسم بالوهن ، ويؤكد ذلك أن أغلب التفاعلات العربية تتم خارجها .

(٤) طبيعة المساندة الدولية للطرف العربى : يلاحظ بعد تراجع الدور السوفيتى فى ضوء الظروف والمستجدات فى السنوات الأخيرة ، وبعد تراجع تأثير تجمع عدم الانحياز ، وبعد زيادة الاختراق الإسرائيلى فى القارة الأفريقية ، وبعد تراجع المساندة الأوروبية للعرب باستثناء فرنسا التى أعلنت بوضوح عن التزامها بالمؤتمر الدولى وبالمنظمة كممثل شرعى للفلسطينيين وعن ضرورة إقامة الدولة الفلسطينية - يمكن القول إن المساندة الدولية على كافة المستويات فى هذا الوقت بالذات ليست فى صالح المفاوض العربى ، خاصة بعد العلاقة الجديدة التى تتسم بعدم التكافؤ فى ظاهرها بين الدولتين العظميين .

(٥) مدى استمرارية الانتفاضة الفلسطينية فى الأرض المحتلة ، فالواقع يشهد بخفوت حدة الانتفاضة ، وتراجع تأثيرها كعنصر ضاغط على الطرف الإسرائيلى ، وذلك بالمقارنة بالفترة السابقة على أزمة الخليج .

(٦) القدرة العسكرية العربية غير التقليدية : فقد كان لأمتلاك العراق للأسلحة غير التقليدية تأثيره الإيجابى فى تدعيم قوة المفاوض العربى ، ولكن الصورة تغيرت الآن بعد الحصار الشامل للعراق وإجباره – وبموافقته مع صمت عربى – على تدمير اسلحته غير التقليدية وهذا ما سيتم تنفيذه خلال الفترة القادمة . ويدور الحديث عن دول عربية أخرى كليبيا التى سبق ضربها بحجة وجود أسلحة كيماوية لديها ، والجزائر والمغرب ، بما يتردد عنهما من وجود مفاعلات نووية يمكن أن تنتج القنبلة النووية. وهذا يجعل إسرائيل المالك الوحيد لهذه الأسلحة فى المنطقة كلها بما يقوى من موقفها التفاوضى .

(٧) القدرة المالية العربية : فقد أهدرت نسبة كبيرة من هذه القدرة خلال وبعد أزمة الخليج مما يؤثر على نفوذ الدول العربية المالكة لهذه الثروة ، ويترتب على ذلك ضعف الموقف التفاوضى العربى فى مواجهة إسرائيل والغرب كله ، خاصة أن هذه الدول بدأت ترهن بترولها لسداد التزاماتها فى حرب الخليج ، فكيف تقوم إذن بدورها فى تقديم المساعدات لكسب المساندة الدولية عند التفاوض .

(٨) مدى استمرارية الوجود الأجنبى فى المنطقة العربية ، فالمراقب يلاحظ ميل الدول الأجنبية لاستمرارية تواجدها العسكرى ، وباتفاق مع الدول صاحبة المصلحة فى منطقة الخليج ، كما أن الولايات المتحدة تصر على تحطيم الكيان العراقى والتدخل فى شئونه الداخلية من خلال التواجد المباشر فى الشمال العراقى وجنوبه ، وهذا ربما يقود إلى التقسيم الفعلى للعراق على أرض الواقع ، وهذا يجعل العراق خارج المعادلة العربية فى الدعم والتفاوض خلال الفترة القادمة ، كما أن استمرار الوجود الأجنبى من شأنه التهديد بالأمن العربى كله ، بما يقود إلى إشعار الطرف العربى

بالضعف فى مواجهة إسرائيل التى تشعر علـى النقيض بـأن هـذا الوجـود الأجنبى مظلة أمنية لها ، خاصة بعد تعرضها لتهديد فى مقتل بعد ضربهـا بالصواريخ العراقية .

(٩) الدور الجديد للأمم المتحدة ، فإنـه يلاحـظ أن الأمـم المتحـدة أصبحـت أداة طيعة فى يد مركـز القـوة الجديـد بقيـادة الولايـات المتحـدة . ومـن ثـم فقد أصبح جهازاً خاضعاً لمؤثرات قوة ، وليس مـن المتوقـع أن يكـون جهـازاً محايداً ، خاصة بعد القرار المنحاز بإجبار العراق على تدمير أسلحته غير التقليدية ، بما أخل بمعادلة التوازن مع إسرائيل . ولذلك فإن العرب لم يعد فى صالحهم جهاز الأمم المتحدة مع دوره الجديد .

وفى ضوء العناصر السـابقة ، فـإن القـدرة التفاوضيـة العربيـة ليسـت فـى وضـع يؤهلهـا لتحقيـق الأهـداف العربيـة المرجـوة والتـى تتحـدد فـى " (انســحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلـة فـى الجـولان ، وفـى جنـوب لبنـان ، والضفة ، والقطاع + إنشاء الدولة الفلسطينية فى الضفة والقطاع) .

وعلـى الوجـه المقـابل ، فـإن قـدرة إسـرائيل فـى ضـوء الوضــع السـيئ للمفـاوض العربـى ، وفـى ضـوء العنـاصر الإيجابيـة لقدرتهـا التفاوضيـة ، والتـى وصلت إلى حد الإصرار علـى استبعاد الأوروبيـن مـن المشـاركة فـى مفاوضـات السلام لتجنب الدور الفرنسى وتأثيره لصالح العرب والمنظمـة نسـبياً ، وإلـى حـد الإصرار أيضاً على اشتراط إعـادة العلاقـات السـوفيتية مـع إسـرائيل حتـى توافـق الأخيرة على اشتراكه فى مؤتمر السلام ، بما يجعله فى موقف أقل قوة فى مسـاندة الطرف العربى ، وبما يشعر العرب بضعف موقفهم ، وبما يضطرهم إلـى موقـف أكثـر تساهلاً ، كما عبـر عـن ذلك أحد الباحثين الإسرائيليين (د. هيلر) ، وكـل هذا

من شأنه تقوية الموقف الإسرائيلي التفاوضى . وهذا يقود إلى أحد احتمالين : إما استمرار الأوضاع الحالية ، أو إرغام العرب على قبول ما تطرحه إسرائيل فى ضوء تيئيسها للعرب ، وكلاهما فى صالح إسرائيل . إما أن يكون هناك انتظار لنتيجة إيجابية تتفق مع الأهداف العربية المرجوة ، فإن هذا يعتبر درب من الأحلام فى الوقت الحاضر .

وتأكيداً لذلك ، فإن التحالف الغربى استهدف فى الأصل تأمين إسرائيل وتوفير الحماية الأمنية لها ، وذلك عن طريق إزالة الخطر العسكرى العراقى عليها ، وكذلك سعى الغرب حالياً بتكوين جهاز رسمى لمقاومة وصول أية معدات تكنولوجية أو أسلحة غير تقليدية إلى العالم الثالث ، وخاصة المنطقة العربية ، بإستثناء إسرائيل ، وذلك للحيلولة دون ظهور " عراق جديد " وهذا على غرار جهاز " الكوكوم " التابع لحلف الاطلنطى الذى استهدف الحظر الحديدى على المواد والسلع الاستراتيجية الموجهة إلى دول المعسكر الاشتراكى . ولذلك ، فإن التحدى المطروح على " الطرف " العربى أو " الأطراف " العربية كامن فى كيفية تقوية موقفهم التفاوضى فى هذه المعركة الدبلوماسية مع إسرائيل ومن يساندوها؟ والواقع أن الأمر يحتاج إلى جدل وتعدد الاجتهاد ، ومن جانبنا فإن اجتهادنا ينصب فى ضرورة نهضة الفكر الوحدوى العربى على أسس تتلاءم مع التطورات المعاصرة ، خاصة **الالتزام بالديمقراطية والاندماج بين الشعوب ؛ لأن أى فكر نهضوى عربى وحدوى لا يقوم على أساس ديمقراطية عربية ، ليس مضموناً على الاطلاق بين " عشية وضحاها " ؛ لأنه يرتبط بالحالة المزاجية للأنظمة الحاكمة ولا يعبر عن الشعوب بالضرورة . فها هى الشعوب العربية انتشت سعادة يوم الإعلان عن التجمعات العربية ، وتلاشت سعادتها بفشل هذه التجمعات ، وبين السعادة والتعاسة الجماهيرية : لا وجود للجماهير كقوى فاعلة فى النظام العربى الذى يتحرك بفعل الحكام الذين يفتقدون فى غالبيتهم إلى الشرعية الحقيقية .**

وهذا يطرح أولوية القضية الديمقراطية فى المشروع الوحدوى المطروح مرة أخرى ؛ لأن هذا يقود إلى خلق دائرة جماهيرية واسعة مساندة للطرف العربى بما يقوى القدرة التفاوضية ؛ فالمشروع القومى الوحدوى الذى يتلاءم مع مقتضيات الواقع المعاصر يستلزم توفير الحدود الدنيا للمصلحة القومية والحدود القصوى لها ، وهو بالتالى يجب أن ينطلق من الركائز التالية :

أ - ضرورة التجاوب مع رغبة الشعوب فى ضمان حقوقها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، بما يعنى توافر قنوات المشاركة والتعبير عن الرأى من خلال توافر مساحة كبيرة لممارسة الديمقراطية الحقيقية .

ب - عدالة اجتماعية داخل كل قطر عربى، تقويها فرص الاعتماد على الذات.

جـ - عدالة اجتماعية بين الأقطار العربية بعضها والبعض الآخر فى إطار توسيع قاعدة الاستثمارات العربية من الدول الغنية إلى الدول الفقيرة ، وبما يقلل من حجم التفاوت فى الثروات بينهم .

د - ديمقراطية بين الأقطار العربية بما يعنى ضرورة الالتزام بما تستقر عليه الغالبية ، وهذا يطرح ضرورة خلق آليات لضمان تنفيذ ذلك .

ولاشك أن الحركة على هذا المحور تستلزم وقتاً وجهداً واقتناعاً بحتمية ذلك فى ضوء الفرص الضائعة فى حياة الأمة العربية والتى تؤدى إلى زيادة التباعد بين العرب والعصر الذى نعيشه ، بل وبينها وبين الشعوب المحيطة . ولذلك فإن هذا لابد أن يواكبه حركة دبلوماسية واسعة تعيد تجميع عناصر القدرة العربية التى تبعثرت نتيجة أزمة الخليج ، وتتخلص من مؤشرات المساندة أو المعارضة للموقف العراقى ، وذلك باستثمار الآثار الإيجابية للصواريخ العراقية ضد اسرائيل التى تتركز فى تحطيم نظرية الأمن الإسرائيلى القائمة على فكرة

الحدود الأمنة ، وهذا من شأنه تقوية الموقف التفاوضى للعرب ، كما أن تجميع الشمل العربى لابد أن يتم على أساس مشروع وحدوى جديد ، كما يستلزم الأمر حركة عربية جماعية لإنقاذ القدرة العسكرية العراقية قبل تعرضها للتدمير تنفيذاً لقرار الأمم المتحدة غير المحايد ، والذى أبقى ضمنياً قدرة إسرائيل غير التقليدية، إضافة إلى ضرورة استجماع عناصر المساندة الدولية مرة أخرى وتغيير دوائر الحركة لخلق قدرة ضغط دولى وإقليمى مساند للطرف العربى ، وكذلك خلق وسائل لممارسة الضغوط على الولايات المتحدة ذاتها بما يقلل من درجة مساندتها لإسرائيل ، وبما يدفعها للضغط عليها لإنهاء هذا الصراع العربى الإسرائيلى، تجنباً لما يمكن أن يؤدى إليه التحرك الأمريكى من احتواء الحماس والانفعالات العربية فيما بعد أزمة الخليج حتى تهدأ العواصف ويسود السكون والصمت .

والأمر يحتاج إلى اجتهادات واسعة وإدارة حوار حول إمكانية تدعيم الموقف التفاوضى العربى ، فلا يمكن ان ننتظر الحل على طبق من ذهب من عناصر غير عربية ، لأن القدرة العربية وإرادتها الذاتية هى الفاعل الرئيسى ، ومن يتجاهل ذلك كمن يتجاهل بزوغ الشمس من الشرق .

آملين أن تكون للإرادة العربية الكلمة الفصل فى إدارة المنطقة فى القريب العاجل .

** ** **

المبحث الثانى

" ترويكا " مدريد
وحدود الدور الأوروبى فى الشرق الأوسط(*)

كان لإعلان الدولة الفلسطينية ضمن مقررات المجلس الوطنى الفلسطينى فى الجزائر فى الخامس عشر من نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٨٨ آثاره الواسعة النطاق ، ومن بينها : صعود الدور الأوروبى إلى الأضواء ثانية وبشكل واضح ، وازداد هذا الدور وضوحاً بعد إعلان ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قبوله لقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ونبذ الإرهاب ، والاعتراف بإسرائيل وذلك فى كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة التى عقدت جلسة خاصة لمناقشة القضية الفلسطينية فى جنيف فى١٥ ديسمبر (كانون أول) ١٩٨٨.

ومنذ ذلك الحين والأحداث تتداعى ، وظهرت ردود فعل تتسم بالإيجابية فى مواقف عدد من دول أوروبا الغربية على وجه الخصوص. وبدأنا نسمع للمرة الأولى عن استقبالات رسمية لياسر عرفات فى عدد من هذه الدول .

ولعل رّد الفعل الذى نلتقطه كمحور للتحليل هو : ما أسفر عنه اجتماع المجلس الوزارى لدول السوق الأوروبية بتشكيل لجنة ثلاثية لإجراء اتصالات مع أطراف " النزاع " العربى الإسرائيلى كامتداد لجهود سابقة ، ولكنها اتسمت بالمحدودية ، مع عدد من المسئولين الإسرائيليين وعدد من المسئولين الفلسطينيين خاصة ياسر عرفات . فقد عقد المجلس الوزارى الأوروبى اجتماعاً فى ١٦ ديسمبر (كانون أول) الماضى فى مدريد ، وأقر تشكيل لجنة ثلاثية مكونة من

(*) نشرت بمجلة المنار ، عدد (٥٢) ، ابريل ١٩٨٩ ، ص ١٥ : ١٨.

الرئيس الحالى للمجلس الوزارى لدول السوق وزير خارجية أسبانيا (فرنشيسكو فرنا نديز أوردونير) ، والرئيس السابق للمجلس ، وزير خارجية اليونان (كارلوس بابولياس) ، والرئيس القادم للمجلس ، وزير خارجية فرنسا (رولان دوما). وقد عرفت هذه اللجنة الثلاثية باسم " ترويكا مدريد " أى لجنة الفرسان الثلاثة الممثلين للمجموعة الأوروبية إشارة إلى العربة الروسية التى تجرها ثلاثة جياد متراصة .

حيث تمثل اللجنة الرئيس الحالى للدورة ، والرئيس السابق فى الدورة الماضية ، والرئيس القادم الذى سيتولى فى يوليو القادم ، وهو ما يشير إلى زيادة الاهتمام وتلاحم الجهود المبذولة والتنسيق بينهما .

وقد قامت هذه اللجنة بزيارة الدول المعنية، حيث زارت كلا من إسرائيل ، والأردن ، ومصر ، ثم سوريا ، والتقت بالمسئولين فى هذه الدول ، وأجرت مباحثات مكثفة معهم ، وذلك بهدف تقريب وجهات النظر ، ودفع جهود السلام ، والسعى نحو عقد المؤتمر الدولى . ومما أكسب هذه اللجنة أهميتها هو ما أقدمت عليه بعقد لقاء مع عرفات فى مدريد بأسبانيا فى ٢٧ يناير (كانون ثانى) الماضى للوقوف على وجهة نظره . وقد طالبهم عرفات بضرورة الاعتراف الأوروبى بالدولة الفلسطينية تجاوباً مع قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى الأخير .

ولاشك أن أهم ما يميز جهود هذه اللجنة انها تتسم بالجماعية ، وتعكس تطوراً ما فى المواقف الأوروبية . ويؤكد وزير خارجية اليونان (أحد أعضاء اللجنة) ذلك بقوله : " إن جولة اللجنة تعد حدثاً تاريخيا ؛ لأنها تجيىء بتكليف من المجموعة الأوروبية فى وقت تشهد فيه المنطقة تطورات على طريق حل أزمتها وأن الجهود الأوربية تتميز – لأول مرة – بأنها جهود جماعية ، مما يساعد على الضغط على إسرائيل لكى تستجيب لجهود السلام " .

فقد كان هناك تجاوب فرنسى إزاء قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى ، حيث اعترفت فرنسا بهذه القرارات ، وسجلت إيجابية موقف ياسر عرفات ، وأيدت ضرورة عقد المؤتمر ، وحق جميع الأطراف فى الوجود بما فيها إسرائيل والفلسطينيين ، علاوة على قرار فرنسا برفع درجة تمثيل منظمة التحرير إلى مفوضية عامة لفلسطين .

وعن تقييم فرنسا للدور الأوروبى يقول وزير خارجية فرنسا : " نريد خلال لقاءاتنا مع الأطراف المعنية أن تكون جهودنا ملموسة وعملية إلى أبعد الحدود. " المهم بالنسبة لنا أن نسعى من أجل الاقتناع وبالتالى أن تكون لنا كأوروبين سياسة نشطة . فلقد ذهبنا إلى المنطقة لنثبت مصلحة أوروبا وإرادة دولها فى الإسهام فى عملية السلام ، ونحن مقتنعون بأن السلام يمر عن طريق المفاوضات بين الأطراف المعنية مباشرة ، وبالتالى فهو يمر بقبول كل طرف للطرف الآخر ، ومن شأن المؤتمر الدولى أن يسهم فى كل هذا " .

كذلك فقد تطور الموقف البريطانى بشكل إيجابى حيث التقى وولد جريف وزير الدولة للشئون الخارجية فى بريطانيا مع مستشار ياسر عرفات أكثر من أربع مرات آخرها ٢٤ فبراير (شباط) الماضى ، كما التقى بالزعيم الفلسطينى ياسر عرفات فى تونس فى منتصف يناير الماضى ، واتفقا فيه على بذل جهد مشترك لعقد المؤتمر الدولى للسلام فى الشرق الأوسط هذا العام ، وأعرب " جريف " عن اعتقاد حكومته بأن على إسرائيل أن تتجاوب مع فرصة السلام السانحة الآن ، ومحذراً إسرائيل من أنها سوف تتخلف عن الركب إذا لم تبادر باقتناص هذه الفرصة ، كما صرح فى مؤتمر صحفى عقب المقابلة بأن " بريطانيا تبدى ارتياحاً لالتزام منظمة التحرير الفلسطينية بحل النزاع العربى الإسرائيلى على أساس التفاوض ، وأن بريطانيا تشارك منظمة التحرير فى موقفها من ضرورة عقد المؤتمر الدولى، وتساند مبادرة السلام الفلسطينية التى أعلنها ياسر عرفات فى

خطابه أمام الجمعية العامة فـى الأمـم المتحدة بجينيف فـى ديسـمبر (كـانون أول) الماضى ، كما أعلن أن هذا التطور فى موقف بريطانيا يعود إلى تفهمها وتعاطفهـا مع قضية الشعب الفلسطينى ومنظمة التحرير " . كما أن الموقـف البريطـانى تـأكد من خلال تصريحات أخرى لوزير الخارجية البريطانى " هاو " علاوة علـى تـأكيد مصادر الخارجية البريطانى بأن تصريحات وزير الدولة للشئون الخارجية المؤيدة للقضية الفلسطينية إنما تعبر عن سياسـة الحكومـة البريطانيـة ، بدليـل تأييدهـا مـن جـانب وزيـر الخارجيـة ومجلس العمـوم ، وذلـك رداً علـى الزوابـع التـى آثارتهـا إسرائيل إزاء تصريحاته المضادة لإسرائيل . ويؤكد المراقبون أن بريطانيـا قـامت بعمليـة " مراجعـة " – وليس " تراجعاً " – لسياسـتها وذلـك كـرد فعـل لقـرارات المجلس الوطنى الفلسطينى ، وخطاب عرفـات أمـام الجمعيـة العامـة بجينيـف فـى منتصف ديسمبر الماضى .

وأيضاً أكـدت المانيـا موقفهـا الإيجـابى إزاء المشـكلة الفلسـطينية بتصريـح الرئيس الألمانى (فون فايتسكر) فى ١٢ مـارس المـاضى – أثنـاء زيـارة الرئيـس حسنى مبارك لألمانيا – حيث صرح بتأييد بلاده للمؤتمر الدولى للسلام فى الشرق الأوسط وأن المانيا تؤيد وتبذل مساعيها من أجل إيجاد حل لـهذه المشـكلة ، وأنهـا فى إطار الأصدقاء الأوروبيين ترى أنها فى موقع يجعلها قادرة على التعـاون مـع أطراف الصراع بهدف الوصول إلى حـل سـلمى دائـم وعـادل لمشـاكل المنطقـة ، وأضـاف : " أن الهدف الذى نعمل على تحقيقه بمساعدة الدول الداعيـة للسـلام فـى المنطقة هو إقرار حق كل الدول والشعوب المعنية فى التوصل إلى صيغة تضمـن حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى وحق إسرائيل فى الوجود داخل حـدود آمنـة ٨
ومعترف بها " .

وأكد المستشار الألمانى " كول " هذا الموقف أيضاً فى حديثه مع الأهرام فى ١١ مارس الماضى مشيراً إلى " أن الهدف الأعلى للسياسة الأوروبية هو الوصول إلى السلام العادل فى المنطقة " .

علاوة على مواقف إيجابية فى إيطاليا واليونان وأسبانيا ودول الشمال الأوروبى وبقية دول السوق .

وعلى أية حال، فإن هذه المواقف الأوروبية، والتى قد ترجمت فى قرار تشكيل لجنة وزارية ثلاثية " الترويكا "، قد اتسمت بالإيجابية ، ومع ذلك فإن جهود هذه الجنة لم تسفر عن جديد، حيث أصر شامير على عناده وتشدده بالرفض الكامل لفكرة عقد المؤتمر الدولى للسلام، ورفض التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية، والاصرار على المفاوضات المباشرة مع كل دولة عربية على حدة . وقد قدم أعضاء اللجنة الثلاثية تقريراً شاملاً فى مجلس وزراء المجموعة الأوروبية الذى عقد فى ١٤ فبراير (شباط) الماضى فى مدريد، وأسفر عن ضرورة الاتصال من جانب وزير خارجية أسبانيا بوصفه رئيس الدورة الحالية للمجموعة الأوروبية بوزير خارجية الاتحاد السوفيتى والمسئولين السوفيت ثم وزير خارجية الولايات المتحدة لإحاطتهم علماً بما أسفرت عنه جهود اللجنة تمهيداً للتنسيق بين الأطراف الدولية لدفع جهود السلام والسعى نحو عقد المؤتمر الدولى .

من ناحية أخرى، هناك جهود أوروبية من جانب الدولية الاشتراكية بزعامة "فيلى برانت" بالسعى نحو عقد جلسة خاصة فى مايو القادم لبحث قضية الشرق الأوسط وإيجاد تسوية سلمية، وأنه سيدعى ممثلين فلسطينيين لحضور المؤتمر . وأيضاً فإن جهوداً أخرى لتنظيم مؤتمر برلمان دولى بحضور المنظمة وإسرائيل والدول الخمس للتحضير لمؤتمر السلام، وذلك بمبادرة من البرلمان الأوروبى ومن المنتظر عقده فى شهر مايو أو يونيه القادميين على مستوى الوفود البرلمانية .

دلالات أوربية وحدود الدور :

والسؤال المحورى الذى يثار إزاء هذه الجهود الأوروبية هو : ما هو المغزى الحقيقى لهذه الجهود ؟ وما هى حدود هذا الدور ؟ .

والواقع أنه من ناحية أولى . فإن الأمر الذى ليس فى محل شك هو أن لدول أوروبا الغربية مصالح متعددة اقتصادية وسياسية وأمنية وغيرها فى المنطقة، وأنه يعنيها بالدرجة الأولى أمن واستقرار هذه البقعة من العالم ، ومن ثم فإن المبادرة التى تطرحها وتبذل إزاءها الجهود تأتى فى إطار هذا البعد المصلحى. وهنا فإن الدرس الذى استوعبته أوروبا منذ حرب أكتوبر، وتمخض عنه أزمة الطاقة ، خير دليل على ذلك .

ومن ناحية أخرى ، فإن هناك رغبة أوروبية جماعية فى ضرورة ممارسة دور سياسى عالمى نشط ومشترك ، وذلك فى إطار التمهيد لوحدة أوروبا فى ١٩٩٢، وهذا يتأتى من خلال استثمار القضية الفلسطينية للتنسيق فيما بين الدول الأوروبية لإعلان سياسة خارجية نشطة ومشتركة ، وذلك تأكيداً للوثيقة الفريدة التى أصبحت المجموعة الأوروبية بموجبها شريكاً كاملاً فى جميع التحركات على مستوى السياسة الخارجية ، وهذا ما يؤكده ضرورة التنسيق فيما بين الدول الأوروبية للخروج عن الإطار الاقتصادى إلى ما هو أكثر من ذلك من أبعاد سياسية واستراتيجية .

ومن ناحية ثالثة فإن دول المجموعة الأوروبية البالغ عددها (١٢) دولة ترغب فى ممارسة دور سياسى مشترك ، وهى مقبلة على عام إعلان الوحدة الأوروبية ، فإنها تريد أن يكون لها مكان تحت الشمس فى النظام العالمى ، وذلك بمنافسة العملاقين وعدم إتاحة الفرصة أو بالتحديد : عدم ترك المجال - لهما فى

الانفراد بالمشكلات الإقليمية والعالمية وخاصة نزاع " الشرق الأوسط " . وقد أكد ذلك الرئيس الفرنسى ميتران قائلاً : " إننى أحذر من خطورة ترك عملية السلام فى الشرق الأوسط فى أيدى القوتين العظميين فقط " . وذلك فى تصريح له فى ٢٣ فبراير الماضى .

وأيضاً أشار رئيس وفد مجموعة الاتصال التابعة للمجموعة الأوروبية البرلمانية (ميشيل مارتينز) قائلاً فى ١١ يناير الماضى : " إن أوروبا ترى أن الوقت قد حان لعمل شيء محدد لتحقيق السلام فى المنطقة ، كما ترغب فى الأ تنفرد الدولتان العظميان بعملية السلام فى الشرق الأوسط وأن يعمل الجميع سوياً لتحقيق هذا السلام .

أما ما يتعلق بحدود الدور ، فإن السؤال الذى يثار هنا : هل هناك علاقة بين هذا الدور وبين الدور الأمريكى ؟ بعبارة أخرى : هل هناك تنسيق بين الطرفين أم لا ؟ أى : هل يتحرك الأوروبيون باستقلالية عن الولايات المتحدة فى هذه الآونة ؟ .

والأسئلة كثيرة ومتداعية إزاء هذا ، ولكن ما يبدو فى الأفق أن هناك تبايناً فى المواقف بين دول المجموعة الأوروبية وبين الولايات المتحدة . فالملاحظ أن المجموعة الأوروبية أقرت المؤتمر الدولى والاعتراف بالدولة الفلسطينية ضمن قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى ، بينما الولايات المتحدة ترى أن المؤتمر الدولى أحد الحلول ولا توافق عليه بصفة نهائية ، وقد عبر أحد كبار المسئولين البريطانيين فى حديث له عن ذلك قائلاً : " إن من المفارقات العجيبة أننا نعمل وننسق مع الولايات المتحدة من أجل التوصل إلى تسوية ، ولكن مواقفنا متباينة، والعكس : فليس هناك تنسيق فى المواقف مع موسكو ، ولكن وجهات النظر تكاد تكون متطابقة " .

وعلى الرغم من هذا التباين الشكلى بين الموقف الأوروبى والموقف الأمريكى إلا أنه فى تقديرى لا يعدو كونه من التناقضات الثانوية وليس من التناقضات الجوهرية . ويكفى أن نفهم أن الدور الأوروبى رغم إيجابيته فى الوقت الحاضر إلا أنه لم يأت نتاجاً لمبادرة أوروبية ، خالصة بل أتى بناء على تنازل عربى من جانب منظمة التحرير أو بناء على مبادرة فلسطينية كما أنه على الرغم مما يبدو أنه إيجابى إلا أن حدود تأثيره ترتبط إلى حد كبير بمدى التنسيق مع الولايات المتحدة ، وهذا ما يؤكده عدم امتلاك المجموعة الأوروبية لقدرة التأثير على الأطراف المعنية ، وخاصة الطرف الإسرائيلى ، وعدم امتلاكها لإمكانيات الضغط بما يساعد على إيجاد حلول إيجابيه عملية .

ولذلك فإن خلاصة الأمر ، أن الواقع التاريخى للدور الأوروبى خاصة منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. يرتبط بما يمكن أن نسميه بـ " نظرية ملء الفراغ للقائد الغربى ممثلاً فى الولايات المتحدة فى أوقات الانتخابات الأمريكية " ، حيث يضعف تأثير الدور الأمريكى . فالدور الأوروبى ينشط جداً فى هذه الآونة ، وذلك لإعداد المسرح لدور أمريكى قادم مع رئيس أمريكى جديد. وهنا ، فأفضل تسمية للدور الأوروبى على الرغم مما يبدو من إيجابيته - فإنه دور " الدوبليير " فى إطار توزيع الأدوار بين أوروبا الغربية والولايات المتحدة ، وضماناً لمصالح النظام الرأسمالى العالمى . وما يزعم به البعض أو يراهنون عليه فيما يتعلق بالدور الأوروبى نراه سراباً ، أو صخرة تتحطم عليه انفعالات وحماسة المواقف العربية .

ومع ذلك ، فإننا لا ندعو إلى إلغاء التحرك الدبلوماسى والشعبى ناحية أوروبا ، ولكنها الدعوة إلى اليقظة والفهم .

** ** **

المبحث الثالث

الجولة التاسعة فى المفاوضات العربية الإسرائيلية (*)

يلتقى المتفاوضون العرب والإسرائيليون - وبوجود حى ومحسوس للطرف الأمريكى فى ظل عهد جديد هو عهد الرئيس كلينتون ووزير خارجيته وارين كريستوفر - فى جولة تاسعة بعد انقطاع أكثر من أربعة أشهر عن آخر جولة عقدت بينهما ، وبعد عام ونصف منذ بدء المفاوضات فى ٣٠ أكتوبر ١٩٩١.

ولذلك فإن جميع الأطراف تتمنى أن تحرز هذه الجولة تقدماً ملموساً بما يتفق وطموحاتها أو أهدافها . والذى يجعل مناخ هذه المفاوضات يختلف عن المفاوضات السابقة - بما يشيع تفاؤلاً ولو بشكل محدود - تلك التصريحات المتبادلة بين جميع الأطراف ، والتى شجعت الجميع على الإقتراب من مائدة التفاوض ، وتخلق بالتالى مناخاً مليئاً بالود ، وقد يعكس استعداداً من الجميع تجاه الجميع . فالطرف العربى يحضر هذه المفاوضات وهو يتمتع بقدرة عالية على التوحد والتنسيق بين مواقف أطرافه ؛ فهو الذى استطاع أن يفرض موعداً آخر غير الموعد الذى تحدد بمعرفة الراعيين لعملية السلام (وهما الولايات المتحدة وروسيا) وهو ٢٠ أبريل ليصبح ٢٧ إبريل ، ولهذا دلالته ، حيث يعكس أن الأطراف العربية كانت مختلفة فى شأن الاشتراك أصلاً فى المفاوضات من عدمه فى ظل الظروف الحالية ، ومع ذلك استطاع هؤلاء بهذا الموعد الجديد ان يجمعوا بين الآراء المتعارضة عربياً ، بل واستطاعوا أن يشعروا الطرف الإسرائيلى

(*) نشرت بجريدة عكاظ بتاريخ ١٩٩٣/٥/٣ .

بالتهديد بالانسحاب من المفاوضات ، وأن الأطراف العربية لا يمكن الالتفاف حولها أو اختراق صفوفها فى فرض حل جزئى بين إسرائيل وأى طرف عربى مشترك فى المفاوضات . وعلى إسرائيل إذن أن تعى هذا جيداً فى إدارتها للمفاوضات ، بحيث تستجيب للمسألة برمتها دون اختزالها باتفاق متصور بين إسرائيل وسوريا فحسب ، أو إسرائيل ولبنان ، أو إسرائيل والأردن ، أو إسرائيل وبعض من الفلسطينيين ، كما أن الأطراف العربية وهى تقرر الاشتراك فى المفاوضات وبالموعد الجديد الذى استطاعت فرضه وهو السابع والعشرين من إبريل – فإنها فى مركز قوة لابد أن يؤخذ فى اعتبار على طاولة المفاوضات ، حيث تشترك هذه الأطراف ووراؤها حشد من التأييد والمساندة والدعم العربى، وتمثل ذلك فى مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى انعقد فى القاهرة فى النصف الأول من شهر إبريل ، وخلص إلى عدة قرارات هامة فى مجملها تتفق والمطالب العربية فى المفاوضات ، كما جاءت جلسات " دول الطوق " المشتركة فى المفاوضات ثم بيانها الختامى معبراً عن نفس قرارات مجلس الجامعة العربية الأخيرة ، بالإضافة إلى أن جملة الاتصالات الثنائية التى كانت محورها القاهرة، وعلى طرفها الآخر عدد من الأطراف العربية فى مقدمتها الطرف الفلسطينى ، تبلورت لتصب فى دعم وتنسيق وتوحد موقف الأطراف العربية المشتركة فى المفاوضات ، كما أن الطرف العربى يشترك فى هذه المفاوضات ، وقد وصله بالفعل بيان أمريكى يؤكد على عدد من المطالب العربية ومنها قضية المبعدين، وقضية حقوق الإنسان الفلسطينى فى الأراضى المحتلة ، ومنها الالتزام الأمريكى بأن يكون شريكاً كاملاً فى المفاوضات ، وراعياً نزيهاً ونشيطاً لها دون انحياز مسبق لإسرائيل كما كان الأمر معهوداً من قبل ، مع التأكيد على الحرص الأمريكى على المبادئ التى أجريت على ضوئها هذه المفاوضات فى الجولات الثمانى السابقة وهى : تطبيق قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، وقرار مجلس

الأمن رقم ٤٢٥ بشأن الانسحاب من لبنان ، وإقرار مبدأ الأرض مقابل السلام. وقد أسهم هذا فى طمأنة الأطراف العربية عموماً ، والطرف الفلسطينى على وجه التحديد .

كما أسهمت التصريحات المتتالية على لسان عدد من المسئولين الإسرائيليين وفى مقدمتهم رئيس الوزراء إسحق رابين، على تشجيع الأطراف العربية على الاشتراك، وخلق مناخ ثقة فى أن المفاوضات فى الجولة التاسعة يمكن أن تسفر عن شئ ملموس يدفع بها خطوات كبيرة إلى الأمام، فمثلاً : صرح إسحق رابين بأن إسرائيل الكبرى لم تعد هى الهدف النهائى للاسرائيليين، وبأنه حريص على السلام والأمن فى المنطقة، وأنه ملتزم بقرارى مجلس الأمن رقمى (٢٤٢،٣٣٨)، كما أنه أشار إلى إمكانية الإنسحاب "المشروط" من هضبة الجولان، وكذا الإنسحاب من جنوب لبنان، ورغبته فى الاتفاق على الحكم الذاتى للفلسطينين، وموافقته على الحفاظ على حقوق الانسان الفلسطينى فى الأرض المحتله إلى حين تنفيذ الحكم الذاتى الكامل ، وقبوله تدخل الأمم المتحدة فى حماية حقوق السكان الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة ، وغير ذلك من تصريحات .

وعلى الرغم من أن هذه التصريحات قد تأكد معظمها ، إلا أن بعضها كان يتم نفيه بين حين وآخر ، وهو ما يعد فى إطار مسألة التلاعب بالأطراف العربية إلا أنها فى مجملها أسهمت فى تشجيع الطرف العربى على الاشتراك ، وخلق مناخ التفاؤل ، بل الأهم من ذلك أصبحت قيداً على الطرف الإسرائيلى المتحاور فى المفاوضات شرط إجادة الأطراف العربية توظيفها بحنكة . ولاشك أنه فى ضوء هذا المناخ ، وهذه التصريحات والتأكيدات الصادرة من الدولتين الراعيتين لعملية التفاوض (وهما الولايات المتحدة وروسيا) بشأن ضرورة إحراز ٢٥
تقدم ما ، يمكن أن نميل إلى التفاؤل بشأن إمكانية التوصل إلى ثمة اتفاق مبدئى

بين الأطراف المتفاوضة فى هذه الجولة التاسعة ، رغم أن تفاؤلنا هذا ، هو تفاؤل حذر ودون إفراط . والمصدر الرئيسى لهذا التفاؤل الحذر هو أن هناك حرصاً من جميع الأطراف على إحراز مثل هذا التقدم يستطيع به أن يدعم موقفه تجاه القوى الداخلية المناوئة . فالطرف الأمريكى يسعى إلى إنجاز ملموس فى السياسة الخارجية يعوض كلينتون عن إخفاقه حتى الأن فى الحل الاقتصادى الذى وعد به الشعب الأمريكى خلال الانتخابات ، خاصة مع اقتراب المائة يوم على الانتهاء منذ توليه الحكم فى ٢٠ يناير الماضى . والطرف الفلسطينى يسعى لتقدم ملموس يستطيع من خلاله أن يقوى موقفه فى مواجهة القوى الفلسطينية المناوئة لعملية السلام ، بل والرافضة للاشتراك فى هذه المفاوضات دون عودة المبعدين ، ودون تنفيذ قرارات مجلس الأمن ، وغير ذلك ، كما أن الطرف الإسرائيلى يسعى إلى إنجاز شئ ما يتفق وأهدافه من العملية كلها ، يستطيع من خلاله أن يدعم موقفه الداخلى فى مواجهة كتلة الليكود التى استطاعت تنظيم صفوفها واختيار زعيم جديد لها يمكن أن يسبب قلقاً فى المستقبل لتكتل حزب العمل ، كما أن الطرف السورى واللبنانى والأردنى يحتاجون لهذا الأمر أيضاً. ومن ثم ، فإن كل طرف سيسعى فى هذه الجولة إلى كسب أكبر قدر ممكن، ولو فى الحدود الدنيا المتاحة ، بشكل يتفق والحدود القصوى ولكن بمرونة كافية تشير إلى عدم التفريط فى الكليات ، وعدم ترك ما هو متاح فى إطار هذه الأمور الكلية التى تمثل الأهداف القصوى لكل طرف .

ولذلك ، فإن التوظيف الشامل لكل الأوراق العربية المتاحة سواء باستثمار القوى المناوئه للسلام ، والمد الأصولى الذى بات يمثل خطراً يهدد أوضاعاً كثيرة فى المنطقة ، والرفض الفلسطينى فى الأراضى المحتلة للإسرائيليين ، واستمرار التنسيق العربى يمكن أن يحقق درجة أكبر من المكاسب فى هذه الجولة التاسعة التى نتوقع أن تسفر عن شئ ملموس ؛ لأن البديل صعب إن لم يكن مستحيلاً على الأطراف أن تقبله ، وهو ما يجعلنا متفائلين ، ولكن بحذر .

المبحث الرابع

أوراق الضغط العربية فى مفاوضات السلام (*)

انتهت مباحثات السلام بين العرب وإسرائيل فى الجولة العاشرة فى واشنطن ، بعد مفاوضات استمرت ثلاثة أسابيع ، حيث كانت قد بدأت فى منتصف يونيه الماضى . وقد كان التفاؤل يسود المباحثات منذ الجولة التاسعة نظراً للتمهيد الجيد لها ، والتصريحات الإيجابية من كافة الأطراف المتفاوضة آنذاك ، وكان من المتوقع إذن أن تصل الجولة العاشرة إلى شىء ملموس ومحدد ، توقعه عدد من المحللين فى شكل إعلان مبادىء بين الطرف الإسرائيلى وكل من الأطراف العربية المشاركة وهى : الفلسطينيون ، وسوريا ، والأردن ، ولبنان ، إلا أن الجولة العاشرة انتهت دون أن تصل إلى هذا الشىء المتوقع رغم التصريحات المعتدلة التى أعلنتها الأطراف المتفاوضة وبدرجات متفاوتة .

وخلال الجولتين الأخيرتين (التاسعة والعاشرة) ، اعلن الطرف الأمريكى على لسان وزير الخارجية (وارين كريستوفر) ، أن أمريكا ستدفع المباحثات ، وأن لها مصلحة أكيدة ومباشرة فى إتمام هذه المصالحة بين العرب وإسرائيل ؛ ولذلك فهى ستقوم بدور " الشريك الكامل " وأن الرئيس كلينتون سيلتقى مع الأطراف المتفاوضة لدفع وتطوير هذه المباحثات . إلا أن إعمال الولايات المتحدة لدور الشريك الكامل لم يتحقق حتى الآن ، حيث لم يلتق الرئيسى كلينتون بالمتفاوضين ، ولم تتعمق الولايات المتاحدة فى تفاصيل الخلافات لوضعها فى الطريق الوسط (باعتباره طريق الحلول الملائمة) ، واكتفت بطرح مشروعات

(*) نشرت بجريدة عكاظ بتاريخ ١٩٩٣/٧/١٧ .

لإعلان المبادئ ، فالمشروع الأول رفضه الفلسطينيون نهائياً باعتباره منحازاً انحيازاً كاملاً للمطالب الإسرائيلية والثانى رفضه الفلسطينيون والاسرائيليون معا. ولازال الأمر معلقاً على جولة جديدة تتم فى الأسابيع القادمة .

وفى ظل مناخ المفاوضات يبدر التساؤل : حول طبيعة أوراق الضغط العربية والتى يمكن أن نتوقع معها التوصل إلى اتفاق بشكل معين . بعبارة أخرى: هل تمتلك الأطراف العربية أوراقاً للضغط على الطرف الإسرائيلى بل والطرف الأمريكى تساعد على التوصل إلى حل عادل ؟ وإذا لم توجد هذه الأوراق الضاغطة بالشكل المعروف ، فهل يمكن توقع نتائج ايجابية للطرف العربى ؟

الإجابة عن هذا التساؤل تدفعنا إلى توضيح عدد من النقاط ، وأول هذه النقاط ، هى: طبيعة العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، فالملاحظ أنه ما أن بدأت الجولة العاشرة فى منتصف يونيه الماضى ، إلا وفوجئنا بتلك التصريحات الصادرة عن وزير الدفاع ، ثم وزير الخارجية الأمريكيين ، وقد تضمنت هذه التصريحات طمأنة إسرائيل باستمرار العلاقة الاستراتيجية بين أمريكا وإسرائيل، حيث كشف (ليس إسبن) وزير الدفاع الأمريكى أمام " إيباك " اللجنة الامريكية الإسرائيلية للعلاقات العامة ، وهى واحدة من كبرى منظمات اللوبى الإسرائيلى فى الولايات المتحدة – عن أن نقطة الانطلاق فى ترتيب الأولويات الأمريكية فى الشرق الأوسط هى دعم القوة العسكرية على أساس المشاركة الاستراتيجية الكاملة بين الدولتين . كما أكد أيضاً وزير الدفاع أن إسرائيل أصبحت الآن أكثر أمنا بعد وقف إمدادات السلاح السوفيتى للدول العربية ، وأن أمريكا حريصة على بقاء التفوق الإسرائيلى على الدول العربية ، وزاد الأمر تأكيداً بقوله ، بأنه من الضرورى حماية إسرائيل من احتمالات انتشار الاسلحة النووية أو حصول أطراف عربية أو شرق أوسطية عليها أو على الصواريخ البالستيكية .

وقد أكد وزير الخارجية الأمريكى فى تصريحات مماثلة فى اليوم التالى إعلانه بأنه مكلف شخصياً من الرئيس الأمريكى نفسه (كلينتون) بطمأنة إسرائيل، وحرصه على تفوقها المطلق فى المنطقة .

وفى هذا الإطار ، فإن التأكيد الأمريكى على لسان أخطر وزيرين فى حكومة كلينتون وباسمه شخصياً ، على دعم إسرائيل ، والمشاركة الكاملة بين الدولتين ، وضمان تفوقها على كافة الدول العربية ودول المنطقة – يشير إلى تقوية الموقف التفاوضى لإسرائيل ، ودعم تشددها فى مواجهة الأطراف العربية ، وعلى الجانب الآخر تسهم هذه التصريحات – وخلال جولة المباحثات العاشرة – فى إضعاف الطرف العربى ، والضغط عليهم بما يجعلهم يقبلون ما يعرض عليهم، وفى نفس الوقت تبين لهم هذه التأكيدات الأمريكية لإسرائيل بأن المشاركة الأمريكية فى المفاوضات العربية الإسرائيلية تعنى الانحياز الكامل والمطلق للطرف الإسرائيلى وهو ما يوضح أن توقيت إعلان مثل هذه التصريحات محسوباً بدقة ، ويستهدف إيصال هذه الرسالة إلى الأطراف العربية الموجودة على طاولة المباحثات فى واشنطن .

أما النقطة الثانية التى تحتاج إلى توضيح ، فهى المكاسب التى تحصل عليها إسرائيل فى خضم المباحثات ، حيث أعلنت إحدى الدول العربية وهى (الكويت) عن إلغاء مقاطعتها التجارية للدول التى تتعامل مع إسرائيل ، وتردد قيام عدد من الدول العربية الأخرى بهذه الخطوة ، إلا أن هذه الدول أعلنت نفيها لذلك، وأنها لازالت ملتزمة بالقرار العربى باستمرار المقاطعة العربية لإسرائيل ومن يتعاملون معها . وأهمية هذه النقطة تكمن فى بدء تسرب الموقف العربى إزاء إحدى الأوراق التى يمتلكها المفاوض العربى فى مواجهة إسرائيل ؛ فليس من المعقول أن يعطى العرب إسرائيل شيئًا دون أن يكون هناك مقابل. فالعرب ليس ٧
لديهم مانع منذ بدء المفاوضات فى الموافقة على إلغاء المقاطعة العربية

لإسرائيل ، ولكن بعد أن يتم الاتفـاق الكامل بينهم ، أو لجزء من الاتفاق. وهنا تظهر قيمة هذه الورقة فى دعم المفاوض العربى . ويتبين مدى أهمية هذه الورقة فى ذلك الجهد الذى تبذله إسرائيل منذ فترة ولازالت لدى الولايات المتحدة للضغط على بعض الدول العربية ، وكذا للضغط على بعض الدول الأوروبية لكى تضغط بدورها على الدول العربية ، وذلك من خلال إقناع العرب بأن هذا يشجع إسرائيل على التوصل إلى الاتفاق مع العرب !! ولكن تسرب هذه الورقة الهامة من أيدى العرب يمكن أن يسهم فى إضعاف الموقف التفاوضى العربى ، ومن هنا لا يجب مسايرة الموقف الكويتى الذى قد يكون له ظروف خاصة فى سياق أزمة الخليج الثانية . وهنا ، فإن التقدير يسجل للجامعة العربية التى أعلنت على لسان أمينها العام استمرارية المقاطعة العربية لإسرائيل، ومطالبة الدول العربية بالالتزام بذلك.

أما النقطة الثالثة فهى : ما يتعلق بالموقف العربى الموحد من عدم التوقيع على اتفاقية حظر السلاح الكيماوى (إنتاجاً وامتلاكاً) ، إلا بعد توقيع إسرائيل والتزامها أيضاً بالتوقيع على معاهدة حظر وانتشار وإنتاج السلاح النووى. إلا أنـه لوحظ تسرب الموقف العربى بتراجع عدد من الدول العربية وهى (تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا) ورغم محدودية هذا العدد إلا أنه يشير إلى تسرب الموقف العربى ، واحتمال توسيع دائرة التأثير على بقية الدول العربية بما يقلل من قيمة هذه الورقة فى دعم المفاوض العربى . ولذا فإن استمرار الموقف العربى فى هذا الشأن والحفاظ على تماسك بقية الدول العربية يمكن أن يسهم فى دعم وتقوية الموقف التفاوضى للأطراف العربية فى مواجهة إسرائيل. بالإضافة إلى أوراق الضغوط العربية الأخرى التى يجب التلويح بها ، وتتمثل فى دعم الانتفاضه العربية ، وفضح الأساليب الإسرائيلية فى التعامل مع الفلسطينيين والتى تتنافى مع أبسط قواعد حقوق الإنسان وسلاح البترول من زاوية التلويح بالقيمة السياسية له .

وفى ضوء توضيح هذه النقاط يتبين أن الموقف التفاوضى العربى يمر بظروف صعبة للغاية ، حيث يفتقد لغطاء دولى يوازن ذلك الانحياز الأمريكى لإسرائيل ، وكذا تعرض أطراف عربية لضغوط لتقليل قيمة أوراق الضغط العربية فى التفاوض ، وذلك من خلال بدء سحبها تدريجياً من أيديهم . إلا أن الطرف العربى ليس من الضعف كما يتصور البعض ، وكما يتضح فى الظاهرة ؛ فلازال العرب يمتلكون أوراق الضغط التى أشرت إليها رغم بدء تسرب بعضها من أيديهم ، إلا أن الغالبية تمتلكها ، وهم الأكثر تأثيراً فى مجريات التفاوض. ولكن تظل المشكلة قائمة فى إمكانية التوظيف الإعلامى العربى فى تعظيم قيمة هذه الأوراق الضاغطة ، والتلويح بإمكانية استخدامها بدءاً من الأوراق السلمية، وانتهاء بأوراق أخرى كالانتفاضة الفلسطينية وإمكانيات تصعيدها .

فاستمرارية الضغط العربى هامة للغاية فى هذه الآونة ؛ خشية استمرار تسرب قيمة هذه الأوراق الضاغطة ليصبح الموقف العربى فى لحظة ضعف ، فيقبل المتفاوضون بأشياء يحسبها التاريخ عليهم وليس لهم ، مما يمكن أن يعبر عن حالة ترد عربى غير مسبوقة . وهذا مالا نتمناه ، فالمفاوض العربى يحتاج إلى حشد وتعبئة وتوظيف بكل ما هو متاح حتى يحقق أقصى ما يمكن فى هذه اللحظة التاريخية الحرجة .

** ** **

المبحث الخامس

إتفاق " غزة – أريحا " بين القبول العام والمحاذير (*)

لاشك أن الإعلان عن اتفاق الطرفين الرئيسيين فى الصراع العربى الإسرائيلى ، وهما منظمة التحرير باعتبارها الممثل الشرعى والوحيد للفلسطينيين، وإسرائيل ، كان مفاجئة غير متوقعة لكثير من المحللين والمتابعين لتطورات عملية السلام ومفاوضاتها فى جولاتها الإحدى عشرة ، والتى لازالت مستمرة حتى الآن . ولكن هذه الفجائية لا تلغى أن هناك توقعات قد توصل إلى مثل هذا الطريق أظهرتها الفترة السابقة على عقد الجولة التاسعة للمفاوضات . حيث سادت نبرة التفاؤل الحذر ، كما أن التصريحات من كلا الطرفين اتسمت بالهدوء وانخفاض درجة التوتر والعداء ، مما عكس – آنذاك – أن هناك شيئاً يتم فى الكواليس ، لكنه لم يختمر بعد . ومن بين المعلومات التى ألقيت من جانب الإسرائيليين من مصادر شبه رسمية ومصادر غير معلومة : مسألة الإقتصار فى هذه المرحلة على قطاع غزة ، وقصر الانسحاب الاسرائيلى عليه دون الضفة الغربية ، وعلى الجانب الفلسطينى كان هناك رفض معلن وباحتداد ، مما كان يعكس أن لعبة المفاوضات تمارس بازدواجية (العلنية والسرية) كما أكد ذلك بعض الأنباء عن لقاءات بين مسئولين رسميين من الطرف الإسرائيلى والفلسطينى تتم بشكل سرى ، إلا أن الطرفين كانا ينفيان هذه الأنباء . ومع تلك المؤشرات ، لم يكن متوقعاً أن يتم اتفاق – مجرد اتفاق !! .

ولاشك أيضاً أن الإعلان عن هذا الاتفاق ، كما كان فجائياً ، فإن ردود الفعل إزائه لا يمكن ان تكون سهلة أو هينة ، بل هى ردود فعل واسعة النطاق ،

(*) نشرت بجريدة عكاظ بتاريخ ١٩٩٣/٩/١١ .

وسيطر الاتفاق وردود الفعل على مساحات ضخمة من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية . فهناك من لا يصدق حدوث أى اتفاق ، وهناك من تقبل على مضض تعبيراً عن الإحباط الذى يسود المنطقة العربية ، وهناك من يقبل ذلك بتحفظات ، وهناك من يرفض ذلك حاملاً رأيا آخر أو فى إطار المزايدات السياسية . وأيا كان الأمر ، فإنه من المتوقع فى حالة وقوع مثل هذا الاتفاق أن تتباين الآراء حوله بصورة حادة .

ومع ذلك ، فإن ايضاح هذا الاتفاق – وضعا للأمور فى نصابها الصحيح– يصبح رسالة على كل من يحمل قلماً له رسالة فى خدمة قضايا أمتنا العربية ذات العمق التاريخي والوزن الثقافى .

فالملاحظ أن هناك قبولاً عاماً لدى كافة التيارات والقوى السياسية على مختلف الأصعدة وفى كافة الأقطار العربية لأن تنشأ دولة فلسطينية فى قطاع غزة والضفة الغربية تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وبزعامة الرئيس ياسر عرفات . وبالتالى فإن هذا القبول العام لا يشذ عنه سوى تيارات، ضعيفة الوزن ترى إقامة الدولة الفلسطينية فى الأراضى التى توجد فيها إسرائيل حالياً ، والذى جعل مثل هذه التيارات تتسم بالضعف : ذلك المناخ العام الذى جعل من ترجمة هذا الرأى إلى واقع عملى أمر بعيد المنال وفى سياق هذا القبول العام يمكن النظر إلى اتفاق غزة / أريحا على اعتبار أن هذا الاتفاق يأتى فى إطار ما هو مقبول بصفة عامة من كافة التيارات ، ليس باعتباره نهاية المطاف ، وإلا اختلف مع القبول العام ، ولكن خطوة تليها خطوات ، وبداية فى مشوار له نهاية أيضاً .

والقراءة الدقيقة لنصوص هذا الاتفاق تشير إلى أن الاتفاق فى مجمله تعبير عن ميزان القوى السائد والذى يميل فى هذه الأونة لصالح إسرائيل ، حيث اختفت من الساحة الدولية إحدى القوتين ، وهى الاتحاد السوفيتى الذى كان مساندا

مساندة فعلية للقضية العربية ، وبعد تفككه وانكفاء دولة على شئونها الداخلية، فى نفس الوقت الذى تهيمن فيه الولايات المتحدة على مقررات النظام الدولى – وإن كان بشكل مؤقت – بالإضافة إلى التمزق الواضح فى الصف العربى بعد أزمة الخليج الثانية ، ولا يبقى من التوحد العربى سوى أمل ضعيف ممثلاً فى اجتماعات دول الطوق للتنسيق بشأن المفاوضات الجارية مع إسرائيل، بالإضافة إلى ظواهر عديدة فى النظام الدولى والإقليمى يجعل ميزان القوى لا يميل فى صالح الطرف العربى .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن الاتفاق جاء منسجماً فى خطوطه العامة مع القبول العام لمشروع الدولة الفلسطينية طبقاً لما طرحته قيادة منظمة التحرير فى اجتماعاتها عام ١٩٨٨. ويدل على ذلك الشواهد التالية :

فالاتفاق يتم بين طرفين كان واضحاً انه من المستحيل تلاقيهما، وهما منظمة التحرير وإسرائيل ، حيث لم تجد إسرائيل مفراً من الاعتراف مسلمة فى ذلك بالواقع العملى بمنظمة التحرير الفلسطينية وقبول التعامل معها الذى يبدأ بالاتفاق ، على أن تتولى المنظمة إدارة الدولة الفلسطينية فى غزة وأريحا بالإضافة إلى توليها المفاوضات بشكل رسمى .

وعلى الرغم من وجود اعتراف ضمنى بين الطرفين منذ فترة ، إلا ان الجديد هو الاعتراف الرسمى والصريح من جانب إسرائيل بمنظمة التحرير ، وهو ما يتفق مع القبول العربى العام تجاه مشروع إنشاء الدولة الفلسطينية فى غزة والضفة الغربية . وقد يتساءل البعض : ما معنى مثل هذا الاعتراف ؟

فالاعتراف هو القبول العام من دولة ما لوجود دولة أخرى فى المجتمع الدولى ، حيث ترى أن مثل هذه الدولة قد استكملت أركانها وأصبحت جديرة بأن تمارس دورها فى الحياة الدولية . وبالتالى أصبحت ملتزمة بمثل هذا الاعتراف ، وقد قيدت نفسها بمواثيق دولية رسمية .

كما أن هذا الاتفاق ، وإن أشار إلى الحكم الذاتى ، إلا أن الواقع العملى هو إنشاء دولة فلسطينية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ، وهو ما يحدث للمرة الأولى من جانب إسرائيل التى كانت ترفض أى شئ حول دولة فلسطينية ، بل ترفض وجود فلسطينيين أصلاً ، وتصل فى غلائها إلى أن الأردن هى الأرض الفلسطينية ، إن وجد شئ اسمه فلسطين !! .

وبالتالى ، فإذا قيل إن منظمة التحرير قد تراجعت عن بعض ثوابتها ، فإن إسرائيل أيضاً تراجعت . وقد يكون فى التراجع الإسرائيلى تراجع المغتصب ، بينما التراجع الفلسطينى هو بمثابة التراجع عن الحق المطلق والقانونى والشرعى، ولكن فى سياق الظروف والواقع الدولى والإقليمى المتغير ، يصبح التراجع المتزامن مقبولاً حول رقعة مشتركة تتلاقى حولها الأطراف المتصارعة .

وقد يحق للكثيرين أن يتحفظوا مستندين إلى الخبرات السابقة لإسرائيل ، حيث يصبح الاتفاق فيما بعد هو النهاية وليس فى سياق مشروع بناء السلام الشامل ، وقد يكون الاتفاق وسيلة من إسرائيل لتحقيق المزيد من المكاسب بحصولها على الاعتراف العربى بها ، وبالتالى يصبح لها مشروعية سعت إلى كسبها بالحروب ومحاولتها فرض الأمر الواقع ، ولكنها فشلت فى ذلك. وقد يكون الاتفاق وسيلة لهدم القضية الفلسطينية من أساسها ، ووسيلة لأن تهادن إسرائيل العرب لكى تحطمهم فيما بعد وللأبد !! .

ولاشك أن لمثل هذه التحفظات جزءاً كبيراً من الصحة بافتراض أن الطرف الإسرائيلى هو الفاعل الوحيد فى المعركة أو المنطقة ، لكن هناك طرفاً عربياً قد يكون مأزومًا فى حركته الوحدوية ، إلا أن موازين القوى لا يمكن أن تصل إلى التفوق المطلق لإسرائيل مقابل الضعف المطلق للعرب ؛ لأن هذا ضد كل قوانين الطبيعة والتاريخ .

ومن جانبنا ، فإن هذه التحفظات يجب أن تحتل موقعها في البناء الديمقراطي العربي باعتبارها تمثل مرجعاً وقيداً على صانع القرار العربي بأن يكون يقظاً ، وألا يقبل بما لا يتفق مع التاريخ والمنطق ، وأن ما يقبله هو خطوة في مشروع الألف ميل لبناء السلام ، وأن على صناع القرار أن يستمروا في معركتهم مع إسرائيل من الزاوية الحضارية ، حيث إن إسرائيل تسعى إلى مشروعها في التفوق المطلق على العرب ، ولا يمكن للعرب أن يقبلوا ذلك مهما كانت درجة تمزقهم . إن مشروع السلام العربي الإسرائيلي تحوم حوله الشكوك ، وإن على العرب اليقظة ، وعلى إسرائيل الالتزام ، فهي وإن قبلت ذلك الاتفاق فهي تحل بذلك مشاكل داخلية كثيرة سببتها الانتفاضة ، وكان لقطاع غزة الوزن الأكبر في إرغام إسرائيل على توقيع الاتفاق وهو ما درسته إسرائيل منذ إعلان الانتفاضة ، وقدمت مراكز بحوثها الاستراتيجية تقاريرا بشأنها ، ومن بين ما أوصت به ضرورة الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة ، ومن ثم فإن الاتفاق في المعنى الأخير : تعبير حي عن مفردات موجودة في الواقع العربي والإسرائيلي معا ، وعلينا كعرب أن يزداد تنسيقنا لحماية هذا الحد الأدنى كخطوة لابد من استكمالها .

** ** **

المبحث السادس

التوظيف السياسى لمعارضى اتفاق غزة / أريحا(*)

لاشك أن المنطق الديمقراطى مضموناً وشكلاً هو أمل نتمنى أن يسود منطقتنا العربية ، خصوصاً فى هذه الآونة كبداية لمستقبل أكثر إشراقاً فى الممارسة الديمقراطية ؛ فالمصلحة العربية القومية تقتضى فى هذه الفترة أن يسود هذا المنطق فى ظل المتغيرات الجديدة ، ومنها اتفاق غزة / أريحا الذى هو نتاج صيغة مدريد التفاوضية التى بدأت قبل عامين . فما الذى نعنيه بالمنطق الديمقراطى إذن ؟

فالنظرية فى العلاقات الدولية تشير إلى أن قبول منطق التفاوض يؤدى إلى الحلول الوسط ، وأن التوصل إلى صيغة ما للحل الوسط هو انعكاس لميزان القوى السائد بين الأطراف المتفاوضة ، وهذا تترجمه مهارات الفريق المفاوض؛ فليس كل ما يريده أى طرف يحصل عليه بالكامل ، ولكن قد يحصل على كل ما يتمناه شكلاً ، ولكنه من حيث المضمون يكون مقيداً فى التحكم على هذا الشئ. ولذلك فإن مهمة التفاوض ليست مهمة سهلة ، بل عسيرة جداً . وتحتاج إلى جلد وقوة أعصاب ، وبالتالى تحتاج إلى نوعية عالية على مستوى المسئولية القومية للطرف المتفاوض ، وللتاريخ وقائعه فى هذا المضمار .

وبالتالى ، فعندما يتوصل المتفاوضون إلى صيغة ما مقبولة منهم ، فإن هذه الصيغة هى ما أمكن التوصل إليه فى ظل الظروف المتاحة ، وانعكاس لميزان القوى السائد ، بالإضافة إلى مهارات المتفاوضين كأشخاص . فليس من المعقول أن يتهم أى طرف مفاوض بأنه سلم كل الأوراق ، وتنازل عن كل الأشياء ، وحصل على لاشىء ، ووقع على وثيقة البيع والتنازل . فالتاريخ – وهو

معمل تجارب الشعوب - لا يزكى مثل هذه الاتهامات إلا فيما ندر . وإن تم ذلك فى بعض الوقائع ، فإنه كان لافتقاد الطرف المتفاوض القدرة على المساومة، وضعف الإرادة واختفاء القوة .

تلك مقدمة لازمة ، فى معرض تناول اتفاق غزة / أريحا ؛ فهو اتفاق جاء بعد مفاوضات شاقة ، لم يثبت حتى الآن تهاوناً من الجانب الفلسطينى ، إنما جاء أيضاً ترجمة وانعكاساً لمجمل الظروف السائدة فى المنطقة العربية .

ومن ثم ، فليس من المتوقع أن تقبله كل التيارات السياسية ، وبالتالى فإن هناك من سيرفض هذا الاتفاق . وهنا ، فإن المعارضة من منطلق التخوين، وتوجيه الاتهامات ، وانتهاج أساليب التجريح الشخصى ، ظاهرة يجب أن تختفى كبداية لممارسة ديمقراطية صحيحة على المستوى الداخلى بين التيارات المختلفة، وعلى المستوى الخارجى بين الأنظمة العربية بعضها تجاه البعض الآخر. فالطرف الذى يحكم الفلسطينيين استطاع أن يصل إلى مثل هذه الصيغة فى إطار الظروف المحيطة به ويراها بداية لإنشاء الدولة الفلسطينية . ويعتقد حكام فلسطين- ممثلين فى قيادة منظمة التحرير - أنهم استطاعوا أن ينتزعوا الاعتراف بالمنظمة ، والاعتراف بالانسحاب من الأراضى المحتلة لفلسطين ، واعترافاً بأن المنظمة هى المحرك للفلسطينيين ، وهو هدف كنا نسعى إليه جميعاً ، كما أن ما تم التوصل إليه يأتى فى سياق القبول العام وهو الدولة الفلسطينية فى الضفة الغربية وغزة ، وأن وضع أريحا مع قطاع غزة فى الاتفاق هو إشارة إلى أن المنظمة تصر على الخروج الإسرائيلى من الضفة ، كما أنه فى سياق التفاوض، فإن الفلسطينيين لن يحصلوا على شىء مقابل لاشىء يقدمونه. وهذا هو الاعتراف الفلسطينى بإسرائيل بصورة مباشرة ورسمية امتداداً لوثائق المنظمة فى عام ١٩٨٨ والتى طرحت فيها مشروع للسلام وإقامة الدولة الفلسطينية إلى جوار الدولة الإسرائيلية .

قد تتعدد الأسباب وراء الموقف النهائى لكلا الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى، ودون الدخول فى تفاصيل ، فإن بيكر (وزير الخارجية الأمريكية السابق ومسئول فكرة مدريد) يرى أن من بين الأسباب وراء التقدم الأخير فى عملية السلام : انهيار الشيوعية وانتصار الغرب فى الحرب الباردة ، وانتصار التحالف الغربى فى حرب الخليج ، وهى المواجهة الصريحة بين المتشددين والتيارات المعتدلة فى الوطن العربى ، ورغبة الإسرائيليين العميقة فى ألا تظل فى حالة حرب دائمة ، بالإضافة إلى الصعوبات السياسية والمالية داخل منظمة التحرير . وقد تحتاج هذه الأسباب وغيرها مناقشة مطولة ، لكن الميزان السائد يتمثل فى إضعاف القوى المتشددة ، فعلاً فى الوطن العربى كالعراق وليبيا والجزائر والسودان وأخيراً بوضعها على قائمة الإرهاب - إرهاباً لها وردعاً لعدم الدخول فى تزكية التيارات الرافضة للاتفاق ، وحصار سوريا عسكرياً ومعنوياً ، والمشاكل الاقتصادية لمصر والتى تسير فى إطار التوازن فى المواقف مع مدى تطور العلاقة مع الصندوق . كل هذا أسهم بلا شك فى إضعاف الطرف العربى فى قدرته التفاوضية . وبالتالى فإن التوصل إلى مثل هذا الاتفاق هو ترجمة صادقة للواقع العربى المتردى بفعل أبنائه ، وبفعل قوى خارجية تخطط لذلك منذ زمن . وبالتالى ليس ما تم التوصل إليه هو الأمل الذى ينشده كل عربى ، لكنه ما أمكن الحصول عليه فى إطار القبول العام السابق ، وتأكيداً لميزان الظروف والقوى السائدة .

هنا يجب أن ننتبه إلى الكيفية التى يمكن لنا أن نستفيد من خلالها من هذا الاتفاق كمقدمة لما نأمله وننشده . نرى البداية فى احترام الاتفاق ومن قاموا به ، ولكل صاحب رأى من التيارات المختلفة يرفض هذا الاتفاق أن يستمر فى معارضته دون تخوين أو إلقاء الاتهامات والتشكيك فى الوطنية وغير ذلك من أمور تجاوزها الزمن . فاستمرار المعارضة النزيهة المسئولة بلا شك ستصب فى

دعم المفاوض العربى ، ولن تقلل من قدرته كما يعتقد البعض. هنا فإن المفاوض العربى عليه أن يستثمر ذلك فى أوراقه لمراحل التفاوض القادمة لتقوية موقفه ، بهدف الحصول على المزيد ومحاصرة إسرائيل فى التراجع عما تم الاتفاق عليه ، لو فكرت فى ذلك. وهنا أعجبنى تصريح للسيد/ فاروق قدومى (رئيس الدائرة السياسية فى المنظمة)، والذى رفض الاتفاق ورفض السفر مع عرفات إلى الولايات المتحدة لحضور حفل التوقيع ، وفى نفس الوقت فإنه دعا إلى حوار وطنى بين كافة الفصائل الفلسطينية حول الاتفاق لدعمه ، دون الخوض فى أمور شخصية ، ودون توجيه الاتهامات والتجريح لأحد تجنباً لحرب أهلية بين الفلسطينيين .

وهذا هو صوت العقل الديمقراطى الذى ننشده ، فالرجل الثانى فى المنظمة اختلف ورفض ، وهذا حقه ، ولم يخرج عن قواعد اللعبة الديموقراطية للنيل من الآخرين بالاتهام والتجريح ، بل دعا إلى الحوار الوطنى . وهو المنطق الذى يمثل الطريق الطبيعى لتقوية المفاوض العربى والفلسطينى كأحد أطرافه الأساسية .

إن الفرصة باتت مواتية لانتصار العقل ، وانتصار المنطق الديمقراطى، لمراجعة النفس ، وشحذ الهمم العربية من جديد ، وتقوية المفاوض العربى. فلربما أدى هذا الطريق إلى إعادة ميزان القوى للتوازن ، أو لرجحان كفة الطرف العربى ، وليس الأطراف العربية ، عندما يتوحد على طريق واحد ولغة سياسية موحدة، هنا لا يجب أن نضيع فرصة متاحة، أتيحت من قبل وفى ظروف أفضل ، وميزان قوى أفضل بعد حرب أكتوبر ، وآنذاك كان الاختلاف حول الأساليب وليس الهدف اختلافاً حول الانفراد بالسير فى الحل/ أو الجماعية العربية فى

الحل . لا نريد أن ندخل فى متاهات جديـدة ، فـان مـا أخـذ بـالقوة لا يسـترد بغـير القوة، والدليل أن حرب أكتوبر هى القوة العربية المستخدمة لإرجـاع مـا تـم أخـذه بالقوة ، ثم الخطوة التالية هـى التفـاوض وصـولاً للحـل ؛ لأن الحـرب هـى وسـيلة وليست غاية .

أخيراً : فإن رفاهية الشـعوب العربيـة بـاتت هدفـاً عزيزاًعلينـا أن نحتشـد إليه. وإن البدء فى حل القضية الفلسطينية ودعـم هـذا الحـل بـالمنطق الديمقراطـى يعد فى تقديرنا هو الطريق الصحيح .

** ** **

المبحث السابع

المقاطعة العربية لإسرائيل كورقة تفاوضية(*)

أحد الأسس التى تقوم عليها نظرية المفاوضات فى العلاقات الدولية : القدرة على توظيف كل الأوراق المتاحة فى يد المفاوض فى مواجهة خصمه، على أن يتم التوظيف بمهارة من حيث أولويات الاستخدام ودرجة تزامنها أو تراجعها ، وحركة هذه الأولويات بين الحدود القصوى والحدود الدنيا ، وبين تقديم هذه الأوراق ، وتأخير بعضها لاستخدامها فى الوقت المناسب. كما أنه فى الوقت الذى تحشد فيه دولة ما أوراقها التفاوضية ، يجب عليها أن تسعى فيه لدراسة أوراق التفاوض التى يستخدمها الخصم لتفويت الفرصة عليه فى بعضها وإضعاف البعض الآخر ، والتفكير المستمر فى كيفية الاستجابة حول الحدود الدنيا حتى لا تخرج الحلول النهائية عن المساحة ما بين الحدود الدنيا والمتوسطة .

ولذلك فإن القول بأن مسألة التفاوض لا تعد عملية بسيطة ، بل تحشد فيها كل الإمكانيات شأنها شأن الحروب بالضبط مع إختلاف الدرجة - قول صحيح، والأكثر صحة : أن نقول أن التفاوض هو معركة حقيقية يسعى كل طرف لكسب أقصى ما يستطيع فى مواجهة خصمه .

ولاشك أن الاتفاق العربى الإسرائيلى على الجانب الفلسطينى هو خلاصة لمعركة تفاوضية لمدة عامين على المستوى العلنى ، وأقل من عام على المستوى السرى من خلال الفترة العلنية ، حاول كل طرف أن يوظف الأوراق المتاحة لديه داخلياً وخارجياً . وقد جاءت الاتفاقية الفلسطينية الإسرائيلية انعكاساً لقدرات كل طرف فى استثمار ميزان قوته .

(*) نشرت فى عكاظ بتاريخ ١٩٩٣/١٠/٩ ، والأهرام المسائى بتاريخ ١٩٩٣/١١/٢٤ .

ومن ثم ، فالاتفاق هو تجسيد لميزان القوى السائد ، حيث أن هناك هيمنة عسكرية لإسرائيل فى وقت تراجعت فيه القوة العربية بخروج العراق من الساحة والضغط على سوريا وإلهاء ليبيا فى معركة لوكربى ، وإدخال الجزائر فى حالة من عدم الاستقرار الداخلى ، وردع السودان بوضعه على قائمة الإرهاب فى الخارجية الأمريكية ، واستثمار محاولات مصر للاتفاق مع صندوق النقد ، ومحاصرة دول الخليج بواسطة قضية الأمن مع العراق وإيران ، واستمرار المعركة والحرب الأهلية بين الفصائل الصومالية المختلفة ، بل وتهديد الصين وكوريا الشمالية باعتبارهما دولاً جديدة مصدرة للأسلحة المتقدمة لدول المنطقة العربية . وبالتالى فإن الطرف العربى فى مرحلة متأخرة فى ميزان القوى مقارنة بإسرائيل . وليس معنى ذلك أن العرب ليس لديهم أوراق تعينهم على دعم موقفهم التفاوضى – وقد سبق الحديث فى ذلك من قبل – لكن المهم هو ألاّ تتسرب الأوراق التفاوضية التى يملكها العرب تحت دعاوى مختلفة. ومن بين هذه الأوراق يعنينا ثلاثة منها :

الأولى: ما يتعلق باستمرارية الموقف العربى الرافض للتوقيع على معاهدة الأسلحة الكيماوية حتى توقع إسرائيل أولاً على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية ثم معاهدة الأسلحة الكيماوية .

ورغم أن هناك بعض الدول العربية قد تراجعت عن الموقف الجماعى بإقدامها على التوقيع لأسباب وضغوط مختلفة ، إلا أن هذه الورقة لازالت لها قوتها لدعم المفاوض العربى .

والثانية: ما يتعلق بضرورة المصلحة العربية والتحرك الجماعى لمساندة بعض الدول العربية فى محنتها حتى يمكن إشعار النظام الدولى وإسرائيل بمدى القدرة على التنسيق العربى الجماعى . وهنا نذكر أن الجهود المبذولة قد أثمرت جهداً كبيراً فى هذا الطريق إلا أن الاستمرار فى التنسيق العربى

وضرورة إتمام المصالحة بين كافة الدول العربية وتجاوز أزمات المنطقة الأخيرة ، فيه دعم كبير للمفاوض العربى . لعل فى التنسيق المستمر خلال العامين الماضيين بين الدول العربية المشتركة فى التفاوض مع إسرائيل والمعروفة بدول " الطوق " كان ورقة تفاوضية كبيرة وترجمة مصغرة لخيار المصالحة العربية الشاملة. ورغم أن الاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى قد أحدث نوعاً من الخلل بين دول الطوق ، إلا أن معالجة هذا الخلل بسرعة بمثابة تطوير وتقوية هذه الورقة التفاوضية فى يد العرب.

والثالثة: وهى فى تقديرنا الورقة الأخطر والأهم من حيث الوزن والتداعيات ، وتتمثل فى المقاطعة العربية لإسرائيل . وصحيح أنه قد حدث نوع من الاختراق لهذه المقاطعة ، ومحاولات للالتفاف حولها وتراجع بعض الدول العربية عن درجة أو أخرى من درجات المقاطعة (الكويت مؤخراً ومصر بعد تطبيع العلاقات مع إسرائيل منذ عام ١٩٧٩ وحتى الآن) ، إلا أن هذا الاختراق يظل فى دائرة محدودة من حيث الحجم والقيمة ، وبالتالى يظل هذا السلاح كورقة تفاوضية عالية القيمة ، وتظهر هذه القيمة واضحة جلية فى مصدر هذه المقاطعة .

فالمقاطعة العربية صدرت بقرارات متتالية من الجامعة العربية ، وهى المؤسسة العربية الرئيسية والقادرة على تجسيد الإرادة العربية فى هذه المرحلة كما فى بعض المراحل السابقة . ولذلك فإن التراجع العربى بالغاء المقاطعة سيسبب خسارة كبيرة فى معركة التفاوض للطرف العربى .

فالواضح أن إسرائيل - وإن أجبرت على الدخول فى التفاوض - والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وموافقتها على الاتفاق معها - سواء بفعل عوامل داخلية تتمثل فى استمرارية الانتفاضة الفلسطينية أو الخسائر العالية لإسرائيل فى قطاع غزة وبقية الأراضى المحتلة ، أو بفعل عوامل خارجية تتمثل فى قوة بعض الأوراق فى يد العرب - إلا أن هذا الموقف الإسرائيلى الجديد يمثل تراجعاً عن المواقف الإسرائيلية السابقة . ومن ثم فإن إسرائيل تسعى بهذه التراجعات - والتى جسدت فى اتفاق معلن بين الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى ، ثم بين الأردنى والإسرائيلى - إلى كسب المعركة التفاوضية مبكراً . فهى تريد أن تكسب كل شىء بهدفين :

الأول: لإضعاف الطرف الفلسطينى فى التفاوض لقبول ما يعرض عليه فيما بعد من تفاصيل .

والثانى: لمحاصرة الطرف السورى واللبنانى ومحاولة إضعافه لقبول ما يمكن أن تقدمه إسرائيل لهما .

ومن ثم ، فإن إقدامها على مطالبة الدول العربية بإلغاء مقاطعتها لإسرائيل من جانب ، ومطالبة العديد من الدول العربية لتطبيع العلاقات معها من جانب آخر. فيه جرأة كبيرة ، ومحاولة لاقتحام الصف العربى ومحاولة شقه وانقسامه ، وهى فى النهاية مسعى لمحاصرة الأوراق العربية فى التفاوض . ولذلك فإن التوظيف الإسرائيلى للولايات المتحدة الأمريكية فى ظل إدارة كلينتون الحالية ، لكى تمارس ضغوطها على الدول العربية للسير فى هذا الطريق وإلغاء المقاطعة من جانبهم لإسرائيل ، هو مسعى لاستثمار كافة السبل لتحقيق الأهداف الإسرائيلية المنشودة فى مواجهة الطرف العربى .

ولتجنب إضعاف الموقف العربى التفاوضى ، فان استمرارية المقاطعة العربية لإسرائيل حتى ولو وصلت إلى درجة الرمزية تصبح مسألة ضرورية، وكورقة ضاغطة على إسرائيل حتى تتحقق الأهداف العربيـة مـن التفاوض والمتمثلة فى إعادة الكيان الفلسطينى للوجود الحقيقى مترجماً فى دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، والرحيل الكامل لإسرائيل عن الأراضى العربية المحتلة فى الجولان وجنوب لبنان .

ولذلك فقد أحسنت الجامعة العربية فى اجتماع مجلسها الأخير، عندما رفضت اقتراحاً بإدراج مسألة إلغاء المقاطعة العربية لإسرائيل . كما أحسنت عدة دول عربية عندما رفضت الضغوط الأمريكية لإلغاء المقاطعة ضد إسرائيل ، وهذا موقف عربى تاريخى يحسب للحركة العربية الواعية فى ظل الظروف الصعبة والمرحلة التى تتسم بالتردى فى العمل العربى المشترك .

ولذلك فانه من الضرورى أيضاً فى هذه المرحلة ، ألا يتم إلغاء القرارات الصادرة من الأمم المتحدة ضد إسرائيل ، وعلى الدول العربية أن تبذل جهداً فى ذلك ، حتى ولو لم تستطع النجاح فيه كاملاً ، فيكفى أن يكون هذا سبيلاً للضغط على إسرائيل . أما الدعاوى التى تطرح إلغاء هذه القرارات ، وإلغاء المقاطعة العربية لإسرائيل ، باعتبار أنه يشجعها على الخوض والاستمرار فى طريق السلام ، فهى مردود عليها بأن إسرائيل بالقدر الذى يأتى ميزان القوى العسكرى فى صالحها ، إلا أن الميزان الشامل ليس بالضرورة فى صالحها ، كما أنها بنفس القدر قد أجبرت بفعل عوامل عربية بالأساس قد تراجعت عن بعض مواقفها. ومن ثم ، فإن الاستمرار فى إدارة التفاوض معها بأسلوب الردع من شأنه أن يحقق الأهداف العربية ومن شأنه أيضاً أن يحاصر الأطماع الإسرائيلية فى المنطقة على حساب النظام العربى وكيانه القومى .

وبالتالى ، فإن الانخراط أو الانزلاق إلـى دهـاليز إسـرائيل يجـب أن ننتبـه إليه جيداً ، ومن ثم لا يجب أن نكرر تجربة الرئيس السادات فى إعطاء إسـرائيل ليس أقصى ما تسـتطيع فحسـب ، بـل إعطائهـا بعـض مـا لـم تطلبـه أساسـاً. وهذا يتعارض مع أسس نظرية التفاوض. فإسرائيل كانت تطمح فقط لمجرد الجلوس مع العرب على مائدة مفاوضـات . حتـى تقـوم بإعـادة الأراضـى المحتلـة ، والتبـاحث بشأن الفلسطينيين ، إلا أن السادات تجاوز ذلك بالإقدام على الذهـاب إلـى إسـرائيل مباشرة ، مما اسهم فى شق الصف العربى بصورة لم تحدث من قبل .

وأخيرا : فإن تطورات الأحداث ، وعملية التفاوض ، تستلزم ألا يستثمر فينا كعرب مسألة تغليب العواطـف علـى العقـل ؛ فنجـاح المفاوضـات يعتمـد علـى تحكيم العقل فقط ، وهو ما نسعى لتأصيله والتركـيز عليـه ، وهـو مـا سيسـهم فـى دعم المفاوض العربى .

** ** **

المبحث الثامن

تحديات عملية السلام فى الشرق الأوسط فى ضوء الأزمة العراقية(*)

تفجرت الأزمة العراقية الأخيرة فى ضوء العلاقات المتشابكة دولياً واقليمياً تحت دواعى الشرعية الدولية وضرورة الانصياع العراقى التام للارادة الأمريكية بالأساس ، باعتبارها هى المرادف للشرعية الدولية فى الأزمة العراقية منذ بدايتها فى أغسطس ١٩٩٠ . وقد وصلت هذه الأزمة إلى " حافة الهاوية " حيث كان متوقعاً عند الكثير من المحللين والمراقبين ، استخدام القوة العسكرية من جانب الولايات المتحدة ولأغراض مختلفة ضد العراق . ولكن الأمور سارت على غير الرغبة الأمريكية ، وتم احتواء هذه الأزمة مؤقتاً من خلال القنوات الشرعية الدولية ممثلة فى جهود الأمين العام للأمم المتحدة . ومن ثم فان النتيجة البارزة التى تبلورت فى خضم مسارات هذه الأزمة وحتى تم احتواؤها ولو مؤقتاً ، تتمثل فى اعادة الأزمة إلى الشرعية الدولية الحقيقية ، وخروجها عن الارادة الأمريكية، وهو ما يمكن أن يكون له تداعيات كبرى - قد تكون غير ملموسة الآن - على النظام الدولى (هيكلاً وتفاعلاً) ، وعلى النظام الاقليمى العربى بالاندفاع نحو التماسك والتضامن .

وعلى أية حال ، فان أهم ما يعنينا فى هذا المقال ، من تداعيات هذه الأزمة الأخيرة ، هو ما يتعلق بمسارات عملية السلام فى الشرق الأوسط بعد احتوائها من قبل الشرعية الدولية الحقيقية. والسؤال الجوهرى الذى يفرض نفسه

(*) نشرت فى جريدة الأهرام (صفحة مركز الدراسات الاستراتيجية) ،١٩٩٨/٣/٢٠.

فى هذا المقام ، هو : هل يمكن تصور مسارات جديدة لعملية السلام . تختلف عما هو حادث الآن وخصوصاً منذ تولى نتنياهو رئاسة الحكومة منذ ما يقرب من عامين ، وذلك فى ضوء تطورات الأزمة الأخيرة ؟

ولاشك أن الباعث على إثارة هذا السؤال ، هو ما حدث من اندفاع ، عقب حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١ ، نحو السعى لتحريك الصراع العربى الإسرائيلى فى اتجاه الحل السلمى . حيث تمخض عن ذلك – آنذاك – سلسلة من الانجازات – بغض النظر عن الخلاف حولها – تمثلت فى إتفاق مدريد للسلام فى نهاية اكتوبر ١٩٩١ ، ثم ما تبعها من التوصل إلى اتفاق أوسلو ١ عام ١٩٩٣، وأوسلو ٢ عام ١٩٩٤. والمقارنة فى هذا السياق واردة ، لتشابه الأحداث. فقد كانت ردود الفعل العربية ازاء الحشد الدولى بزعامة الولايات المتحدة ضد العراق، تدور حول ضرورة السعى بنفس الحماس للتوصل إلى صيغة للسلام بين العرب واسرائيل . وأن الضغوط التى بذلت بهدف تحرير الكويت ، تستلزم أن يبذل مثلها من أجل استرجاع الأراضى العربية المحتلة من قبضة الاحتلال الإسرائيلى ، مع اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. ولاشك أن الولايات المتحدة تحت رئاسة جورج بوش – آنذاك . حاولت بذل الجهود فى هذا الطريق ، ومارست الإدارة الأمريكية ضغوطاً على الحكومة الاسرائيلية من أجل السير فى عملية السلام تجنباً لأن تفقد أمريكا مصداقيتها لدى العرب والعالم . ونتذكر من هذه الضغوط قرار الادارة الأمريكية برفض تقديم قرض قدرة عشرة مليارات دولار لتمويل اقامة مستوطنات اسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة ، فى اطار الرفض الأمريكى لسياسة المستوطنات . وقد تمخض عن ذلك ، نتائج ايجابية لصالح عملية السلام .

واليوم وبعد انتهاء الأزمة العراقية الأخيرة ، هل يمكن أن تمارس الضغوط على الولايات المتحدة لدفع جهود السلام بين العرب وإسرائيل ؟ وهل يمكن للادارة الأمريكية أن تمارس ضغوطاً على اسرائيل لصالح عملية السلام ؟ أم لا ؟ . بعبارة أخرى : هل يمكن توقع مساراً مشابهاً ودوراً أمريكياً فعالاً الآن ، مثلما حدث بعد انتهاء حرب تحرير الكويت أم لا ؟

أولاً : دواعي الموقف الأمريكي :

المراقب للأحداث يدرك أن عملية السلام وصلت إلى طريق مسدود بسبب سياسات نتنياهو المتشددة والرامية لاجهاض ما تم كخطوة نحو تأسيس منطق جديد للسلام يتفق ورؤيته الشخصية والمتطرفين معه لدرجة أنه وضع الادارة الأمريكية في حرج أكثر من مرة ، ومارس عليها الضغوط من قبل قوى الضغط في الداخل الأمريكي . وأقصى ما استطاع كلينتون أن يفعله مع إسرائيل، هو رفضه لمقابلة نتنياهو ، مما أشاع تفسيراً بأن ادارة كلينتون غير راضية عن السلوك الإسرائيلي ازاء عملية السلام . كما أنه لوحظ أن كلا من إسرائيل والولايات المتحدة معا ، أعلنا غضبهما بل ورفضهما لأي محاولة أوربية للتدخل في عملية السلام . ومن ثم فان الولايات المتحدة تصر على انفرادها بادارة عملية التفاوض بين العرب وإسرائيل بعيداً عن أية تدخلات .

كما لوحظ أن عملية السلام قد تجمدت لعدة أسابيع وحتى الآن ، وهي فترة تفجر الأزمة العراقية الأخيرة. مما يعني أن أولوية هذه العملية قد تراجعت، وهو أمر منطقي مع تصعيد الولايات المتحدة للأزمة مع العراق . وما إن تم " الاحتواء المؤقت " لهذه الأزمة ، حتى أعلنت السيدة مادلين أولبرايت (وزيرة الخارجية الأمريكية) ، أنه من الضروري السعي نحو تحريك عملية السلام في الشرق الأوسط ، وهو أمر تفرضه الظروف الحالية . وكأنها أرادت أن تقول أنه

للخروج من نفق الأزمة العراقية والحرج الذى تسبب للولايات المتحدة ، والتى تظهر أنها غير قادرة ، بل غير راضية على تقبله ، فانه لابد من الاتجاه نحو مسألة الشرق الأوسط لمحاولة انجاز " أى " اتفاق من شأنه أن يضع الادارة الأمريكية فى قلب الأحداث ، بل وضع الأحداث تحت سيطرتها. وفى هذا السياق، فإن موقفاً أمريكياً يصبح ذات أهمية وله دواعيه مما لاشك فيه . ويمكن بلورة هذه الدواعى فيما يلى :

١ - الحرص الأمريكى على وجود المصداقية لسياستها من جانب الأطراف المختلفة بالمنطقة ، وخصوصاً الأطراف العربية . فثمة موجه رافضة متصاعدة من جانب بعض القيادات العربية ، للسياسة الأمريكية ، وصلت إلى حد الاتهام المباشر والعلنى بأن هذه السياسة ذات طابع ازدواجى ، وتكيل بمكيالين . وأن الفعل الأمريكى السريع من شأنه احتواء هذا الغضب العربى المتصاعد ، وهو ما يمكن أن يترجم فى دفع عملية السلام إلى الأمام فى هذه الظروف الحرجة للسياسة الأمريكية .

٢ - محاولة الولايات المتحدة ، أن تستمر فى الادارة المنفردة من جانبها لعملية السلام فى الشرق الأوسط ، وذلك من خلال عدم اعطاء أية فرصة لطرف دولى آخر بالتدخل من قريب أو بعيد وقد أثبتت الأزمة العراقية الأخيرة ، أن التدخل من قبل بعض الأطراف الدولية وخصوصاً الطرف الروسى وكذا الفرنسى ، وأيضاً الصينى ، كان من شأنه عرقلة الاستخدام الأمريكى المنفرد للقوة العسكرية ضد العراق. وهو ما يمكن أن يتم فى عملية السلام ، اذا ما لم تحاول الولايات المتحدة أن تضخ الدماء فى شرايين هذه العملية . وهذا فانه يجب التذكير بأن أكبر طرفان مرشحان لدور فى عملية السلام ينافس الولايات المتحدة ، هما الطرف الروسى، والطرف الأوربى إما مجتمعا ، وإما من خلال فرنسا التى تظهر اهتماماً متزايداً بين لحظة وأخرى .

٣ - الرغبة الأمريكية المتزايدة للحيلولة دون احتواء عملية السلام تحت مظلة مجلس الأمن والأمم المتحدة ، وهو ما يمكن أن نسميه بالشرعية الدولية الحقيقية.حيث تمارس على الأطراف الرافضة لتطبيق الاتفاقيات ضغوط ، ومحاولة الزامها بالتنفيذ مثلما يحدث مع العراق. لأن الطرف الذى سيخضع للالزام أو العقوبات هو الطرف الإسرائيلى وهو مالا تستريح له الولايات المتحدة بالطبع . ولكى يكون هذا مبرراً لاستمرار الاحتكار الأمريكى لعملية السلام ، فثمة انجاز من خلال محاولة أمريكية باقناع إسرائيل بالالتزام حتى ولو بالحدود الدنيا !! .

٤ - أن انجازاً ما فى عملية السلام ، برعاية أمريكية ، من شأنه أن يدعم الادارة الأمريكية فى الانتخابات القادمة التى يجرى لها الاستعداد على قدم وساق حتى تستمر الادارة الديموقراطية ، وتجنباً لأن تنتهزه القوى الجمهورية لصالحها فى حالة عدم الاخفاق . فضلاً عن أن هذا الانجاز مطلوب الآن لاحتواء الأوضاع الداخلية التى تفجرت ضد الرئيس كلينتون والتى أصبحت تعرف بفضيحة " مونيكا جيت " .

وفى اطار هذه الدواعى الأربعة ، يمكن تصور أن يكون هناك دور أمريكى متزايد لدفع جهود السلام فى طريق الانجاز ومحاولة الزام الأطراف المختلفة ، وقد يكون فى مقدمتها إسرائيل .

ثانياً: محاولات الالتفاف الإسرائيلى :

أدركت الحكومة الإسرائيلية هذا الدرس ، بأن فشلاً أمريكيا فى ادارة الأزمة العراقية الأخيرة ، قد يؤدى إلى قيامها بممارسة بعض الضغوط على إسرائيل لخلق المصداقية حول سياستها فى المنطقة مثلما حدث من قبل بعد انتهاء حرب تحرير الكويت عام١٩٩١والتى أفضت إلى معاهدة مدريد للسلام وما بعدها.

لذلك فان رئيس الحكومة الإسرائيلية ، بادر بالذهاب فى جولة سريعة لأوربا أغلب الظن أنها لم تكن مرتبة من قبل . حيث يقوم بزيارة عدد من الدول الأوربية لتحقيق عدة أهداف منها : الظهور برغبته فى تحقيق السلام مقابل الطرف الفلسطينى الرافض لذلك ، ومحاولة اظهار قبوله للتدخل الأوربى فى مسار المفاوضات العربية الإسرائيلية ، ومن ثم فلا مانع لدى اسرائيل من الحديث حول مبادرة أوربية فى هذا الشأن ، فضلاً عن أن الرسالة الأكبر هى محاولة احتواء أية ضغوط أمريكية فى هذا الوقت على اسرائيل عن طريق اظهار طرف يمكن أن يكون منافساً لها فى المنطقة وخاصة فى عملية السلام التى تحتكرها الولايات المتحدة حالياً .

ولاشك أنه يبدو أن بعض الأطراف الأوربية بدأت " تبلع هذا الطعم "، باعلان بريطانيا - باعتبارها رئيسة الاتحاد الأوربى حالياً - عن مبادرة لتحريك عملية السلام باسم أوربا !! ، فى حين أن دولاً أوربية أخرى تعاملت مع هذه الزيارة بفتور . فى الوقت الذى يصر فيه الفلسطينيون على عدم الالتقاء على مستوى عرفات - نتنياهو ، لعدم وجود جدوى من ذلك إلا بتدخل دولى فعال.

وعلى أية حال ، فان الملاحظ أن جهوداً اسرائيلية تتصاعد ، كمحاولة للالتفاف على أية ضغوط أمريكية متوقعة بعد فشل ادارة الولايات المتحدة لأزمة العراق الأخيرة .

ثالثاً : ضرورات الموقف العربى الجماعى :

إلا أنه ما بين السعى الأمريكى المتوقع لدور نشيط فى عملية السلام ، وبين محاولة الالتفاف الإسرائيلى على ذلك ، يتطلب جهداً عربياً جماعياً كضرورة فى هذه الظروف . فلا يكتفى بالتحذير من مغبة توقف عملية السلام ، أو المراهنة على سقوط نتنياهو ، أو سعياً أمريكياً منفرداً يتفق ومصالح الولايات المتحدة ،

أو مجرد صوتاً عالياً بأن العنف يمكن أن يتزايد من جراء تجميد مفاوضات السلام بين العرب واسرائيل . فالضرورى فى هذه الظروف الصعبة ، لقاءً عربياً يكون جدول أعماله : نحو برنامج عربى لبعث عملية السلام ومستقبلها وأن هناك ظروفاً دولية واقليمية مواتية لهذا الموقف العربى . فثمة تحول فى النظام الدولى من خلال دور روسى ودور فرنسى وكذا دوراً صينياً فى أتون الأزمة العراقية الأخيرة ، يمكن أن يشجع على استثماره فى دفع جهود السلام والضغط على الولايات المتحدة واسرائيل . وثمة تحولات فى البيئة الاقليمية حيث نجح العرب فى احتواء الأزمة العراقية الأخيرة ، بالرفض الجماعى لاستخدام القوة ، وانتصار الارادة العربية فى معركة لوكربى القضائية من خلال الحكم الأخير لمحكمة العدل الدولية سيسهم فى اضعاف الموقف الأمريكى البريطانى ، وثمة احتواء للمشاكل مع السودان الشقيق ، وكذا الاحتواء للمشاكل مع ايران فى ظل قيادة جديدة تستهدف التهدئة الكاملة مع الجيران العرب .

ولاشك أن هذا كله يبعث على ضرورة الفعل العربى العاجل انقاذاً للتردى الذى تشهده عملية السلام منذ أن وصل نتنياهو للحكم . وأن الرهان على تحرك الآخرين - حتى ولو كان هذا يتفق مع مصالحهم - دون أن يتحرك العرب بأنفسهم ، هو رهان خاسر . فالامكانيات العربية قائمة ، والاستثمار الفعال لها له ما يبرره . وعلينا اذن أن نوظف نتائج تطورات الأزمة العراقية الأخيرة التى مالت هذه المرة للصالح العربى .

الفصل الثانى

الانتخابات الاسرائيلية وقضية السلام

المبحث الأول

إنعكاسات نجاح "نيتانياهو" – رئيساً لوزراء إسرائيل !![*]

راهن الكثيرون ، إن لم يكن الجميع من صناع القرار السياسى على المستوى الاقليمى وكذا الدولى ، على أن بيريز هو رئيس الوزراء الاسرائيلى القادم . والحجة فى هذا الرهان أن بيريز هو رجل السلام ، بينما الشخص المنافس له (نيتانياهو) زعيم كتلة الليكود لن يكون كذلك . وقد أفصح هذا الرهان من خطوات مكشوفة وصلت إلى درجة التأييد العلنى لبيريز من أطراف دولية وكذا اقليمية. حتى الذين حاولوا أن يمسكوا الأمور من وسطها رغبة فى إعلان الحياد لم يستروا موقفهم بل حاولوا تأييد بيريز بشكل غير مباشر ، أو فى نفس الوقت عدم الاتصال بمنافسه !! .

وعلى عكس كل الاستطلاعات التى تأتى نتائجها عادة فى ضوء ضغوط الاعلام ، وتأثيرات مختلفة الاتجاهات " داخلية واقليمية ودولية " والتى كانت تشير فى مجملها إلى إحتمال نجاح بيريز ، كما أنه على عكس المراهنات من كافة الأطراف – ذات المصلحة المباشرة بإسرائيل حالياً والتى رجحت من كفة بيريز، جاءت النتيجة على عكس كل التوقعات مشيرة إلى تفوق " نيتانياهو" على منصب رئاسة الوزراء . وحيث أن الانتخابات على هذا المنصب تجرى لأول مرة منذ إعلان اسرائيل فى ١٩٤٨. وبات واضحاً ، أن الذين راهنوا على نجاح بيريز أصبحوا فى موقف صعب الآن . حيث سيواجهون تحدياً ضخماً يتمثل فى كيفية ازالة الحاجز الذين أقاموه بأنفسهم حين أقحموا بأنفسهم طرفاً فى الانتخابات الاسرائينية بحجج لاتعتقد فى صواب غالبيتها إستناداً إلى غياب " إرادة الفعل" من

(*) نشرت فى جريدة الوفد ، ٤ يونية ١٩٩٦ .

غالبية الأطراف ، وما يصاحب ذلك من غياب للتوازن بين الارادات المختلفة فى المنطقة، مما يرجح من إرادة اسرائيل . وهو ما يمكن أن نسميه بـ" نظرية الكسل العربى " ، أو " نظرية الفشل الكلوى المتعمد لـلارادة العربيـة " ممـا تمخض عنـه ترهل جسد هذه الأمة ، وارتكانه لفعل الغير المتمثل فى شخص السيد " بيريز" !!.

ومن خلال التأييد العلنى والفاضح ، والذى كان محل نقد شديد مـن بعض المحلليـن السياسـيين فضـلاً عـن خصـوم الديموقراطييـن ، مـن الرئيـس كلينتـون لشخص بيريز باعتباره رمزاً لعملية السلام وأداة لتسهيل واستمرارية هذه العمليـة فى المستقبل ، فان الولايات المتحدة قد أسهمت فى التأثير على تزايد الرهان على نجاح بيريز ، وتشجيع بعض الأطراف العربية على الاندفاع نحو اسـرائيل بهـدف دعم بيريز للسير فى ذلك النهج الأمريكى .

فقد استقبله الرئيس كلينتون فى البيت الأبيـض بعد غاراتـه الهمجيـة علـى لبنان وقراها والمدنيين فيها ، ووقع معـه اتفاقـاً اسـتراتيجياً يضمـن تفـوق اسـرائيل دائمـاً ، وزوده بـأحدث أنـواع الأسـلحة وخاصـةً أحـدث الطـائرات المقاتلـة والصواريخ، بل ذهب الرئيس كلينتون مع بيريز لحضور اجتماع منظمة "الايبـاك" اليهودية فى داخل واشنطن. بل أن تصريحات الرئيس الأمريكى المتتالية، ووزيـر خارجيتـه، أفصحـت عـن تـأييد علنـى مطلـق ، ولأول مـرة فـى تـاريخ الرؤسـاء الأمريكييـن ، لأحد المرشحين وحزبـه ، وهـو مـا يعنـى انحيـازاً أمريكيـاً مطلقـاً، لدرجـة أن الإدارة الأمريكيـة لـم تجـرؤ علـى توجيـه نقـداً للسـلوك الاسـرائيلى "البربرى" على لبنان لمدة (١٦) يومـاً ، والتبرير الـذى سمعته ازاء هـذا الصمت الأمريكى هو ذلك التلازم بين الانتخابات الاسرائيلية والانتخابات الأمريكية !!.

ولاشك أن عذراً أقبح من ذنب ، ومبرر يسقط أمام تقرير الأمم المتحدة الذى فضح مسلك الاسرائيليين فى غاراتهم الوحشية فى لبنان . فالصحيح فى تقديرنا أو الأقرب إلى الحقيقة ، أن الإدارة الأمريكية الحالية قد راهنت لمصلحتها فى المدى القصير سعياً وراء إنجاز ما فى عملية السلام فى الشرق الأوسط يدعم من رصيدها فى المنافسة على الرئاسة فى نوفمبر القادم ، وأن هذا يمكن أن يتحقق من خلال استمرارية ما هو قائم ممثلاً فى شخص بيريز بدلاً من البدء مع شخص جديد يحتاج إلى مجهود وقد يؤخر الانجاز، فضلاً عن الرهان الأكبر والذى يتمحور حول المزيد من التأثير فى اخضاع الأطراف العربية واقناعهم بأن الفاعل هو اسرائيل ، وأن الأمل فى السلام بيد شخص معين ، وأن أمريكا كلها تقف وراء هذا الشخص لكى توهمهم بأنه من الضرورى الاندفاع فى تأييده وهو ما يصب أساساً فى خلق واقع يربط اسرائيل بصفوف جديدة داخل الأطراف العربية ، لايمكن التراجع عنه حتى لو خسر بيريز .

ولاشك إذن أنه رغم تفسيرنا هذا ، فأن " أمريكا – كلينتون " لن تتأثر كثيراً ، بل على العكس ، ستوجد صعوبات بلا شك فى التعامل بين إدارة كلينتون والرئيس الجديد لوزراء اسرائيل فى بداية الأمر ، بل أن نجاح " نيتانياهو" قد يؤثر سلباً على فرص كلينتون نفسه ، حيث أن الموقف الأمريكى المنحاز تجاه بيريز سيصبح ورقة انتخابية ضد كلينتون ، خاصةً وأن خصمه (دول) قد اتهمه بالفشل فى إدارة عملية السلام فى الشرق الأوسط حتى الآن ، وليس هناك انجاز حقيقى يتمثل فى سلام واستقرار حقيقيين !!

وقد يكون هذا عقاباً لكلينتون على إندفاعه فى تأييد "بيريز" ، لكنه أخفق الحساب ، ولكن يبقى الأمر أن أمريكا لاسرائيل ، واسرائيل لأمريكا !!.

كما أن نجاح " نيتانياهو" يمثل أكبر عقاب لبيريز على جريمته التى أرتكبها مؤخراً فى لبنان فلم يكن مقنعاً أبداً ، أن من قتل المدنيين من أطفال ونساء وشيوخ ، وشرد الآلاف وهدم القرى بما فيها بل هدم مقر الأمم المتحدة، يمكن أن يستحق حاملاً لنصف جائزة نوبل للسلام مشاركة مع رابين ، بل لايمكن أن نتصوره صاحب القرارات القادمة فى إدارة عملية السلام. فأسوأ ما يعاقب به بيريز هو أن يختتم حياته السياسية بهزيمة منكرة ، وفى أعقاب تصرف أحمق كان يعتقد أنه سيدعمه انتخابياً فأنقلب عليه !! .

كما أن العقاب الآخر لنجاح " نيتانياهو " ، هو للذين يقامرون على الجيل القديم بصفة عامة . وينكرون على الجيل الجديد أن يحتل مواقع القيادة . فبيريز لديه ٧٢ عاماً ، واتسم بالغرور ، لدرجة أنه صرح بعد ادلائه بصوته، أنها أسهل انتخابات واجهها فى حياته ومتأكد من الفوز بلا منازع !! ، بينما "نيتانياهو" فهو من الجيل الجديد (٤٦) عاماً ، وبينهما اذن " ربع قرن " ، وهو ما يوازى نصف عمر دولة اسرائيل التى أقيمت على أنقاض الدولة الفلسطينية!! . فهل آن الأوان للذين يقامرون على الجيل القديم أن يدركوا عمق التحولات اقليمياً ودولياً، ويتفهموا ارادة الشعوب ؟! فشامير المتعجرف كان " عجوزاً " ، وبيريز أصبح عجوزاً أيضاً ، وهؤلاء جميعاً من الجيل القديم رغم تباين اتجاهاتهما بين الليكود والعمل . ثم هل نسينا ما حدث فى الولايات المتحدة منذ (٤ سنوات حين اختار الشعب الأمريكى " كلينتون" رئيساً وعمره فى منتصف الأربعينات ، بدلاً من "بوش" الذى تجاوز السبعين عاماً رغم انتصاراته الخارجية الكبرى آنذاك ؟!.

فالقول إذن بأن " بيريز " هو أداة لاستمرار عملية السلام ، بينما "نيتانياهو" هو أداة لاعاقة هذه العملية أو تأجيلها ، هو قول مغلوط . فأجندة الأخير

فى حملته الانتخابية تضمنت [لا.. للدولة الفلسطينية ، ولا.. لأية توسعات بشأن الضفـة الغربيـة أو المستوطنات ، ولا .. للمحادثات حـول القـدس ، ولا.. للانسحاب من الجولان ..] ، فهل يتذكر البعض أيضاً أجندة ، بـل "أجندات"– أى برامج – قـادة حـزب العمـل إزاء منظمـة التحرير الفلسـطينية والانسـحاب مـن الأراضى المحتلة، وغير ذلك ، ثم ماذا صار الوضـع بعد ذلك ؟ ثـم نتساءل مـن الذى بدأ الدخول فى عملية السـلام ؟ أليس هـى كتلـة الليكود، بغض النظـر عـن قدرتها فى المراوغة ، وهو ما يفعله بيريز من حين لآخر !! ثم هـل يتصـور أحـد ما قاله بيريز نفسه عن القدس فى مواجهة تصريحات "نيتانياهو" المعتادة له، حيث قال : " يُقطع ذراعى قبل أن أوقع على أى شىء يقضى بجعل القدس عاصمة غير موحدة ، وأتعهد بأن تظل عاصمة لاسرائيل موحدة" وإذا كان هذا مـا قالـه بيريـز علـى المـلأ ، فلمـاذا نخشى من كلام منافسه ، وكأنه سيصبح لا رجعة فيها !!

فالمسألة لابد أن ندركها بصورة أخرى . فنيتانياهو ، يمثل جيلاً جديداً فـى اسرائيل ، ولايقلقنا حديثه ، ولايجب أن تزعجنا أفكـاره السياسية. فكـم مـن أفكـار وبرامج اسرائيلية ، وأيضاً عربية سقطت وتراجعت !! . فـالأمر يحتـاج إلـى جهـد فى التعامل ، لكن بكل أسف فان كثيراً من قادتنا وزعمائنا العـرب اسـتراحوا لهـذا المناخ الـردىء ، وتفـاعلوا مـع " الكسـل العـام " ، واندمجـوا فـى " الفشـل الكلـوى المتعمد لارادتهم العربية " حتى أصبحت هذه الارادة مغيبة . فوجود نيتانيـاهو فـى الساحة الآن ، عقاب أيضاً لكثير من زعمائنا الذين استراحوا كثيراً ، ولايريـدون أن يستيقظوا من نومهم العميق . وبفرض وجوده أيضاً تحديـاً يتمثـل فـى ضـرورة المراجعة لكل ما فات ، ومحاولة تجميع " الشتات العربى " ، وعـلاج " الشـلل فـى الارادة العربية " ، استعداداً للمواجهـة مـع رئيـس جديـد لـوزراء اسـرائيل ، يتسـم بالحيوية والشباب . فان وجد أمامه ارادة عربية متوازنة ، فيمكن أن يعيد التفكيـر

فى برامجه ويتواءم مع الواقع الحقيقى المحيط به ، وان لم يجد أمامه مثل هذا التوازن فى الارادة ، ووجد ارادة اسرائيل هى المتحكمة مع شعوره بالرهان الجماعى الخاسر والذى كان ينحاز لخصمه بيريز ، اقليمياً ودولياً ، فلا بأس من أن يقحم المنطقة فى دوامة جديدة تقود إلى عدم الاستقرار، وتعود المنطقة مرة أخرى إلى حالة التوتر الدائم ، والاستنفار المستمر .

فهل يمكن أن ندرك عمق الرسالة التى يرسلها لنا نجاح " نيتانياهو"، ورسوب بيريز ؟! حيث أن الرهان غير المحسوب على أمور غير محسوبة قد تقود إلى أمور لايمكن حساب تداعياتها ، إلا إذا استيقظ أصحاب الأمر ، وتفاعلوا مع الرسالة بسرعة ، وذلك بإعادة التوازن للمنطقة فى مواجهة الارادة الاسرائيلية الفاعلة المدعومة بالولايات المتحدة فى جميع الظروف وبغض النظر عن الأشخاص.

وهذا هو السبيل لإرغام الرئيس الجديد لوزراء اسرائيل على أن يفكر بمنطق الجيل الجديد الرامى للسلام العادل بين جميع الأطراف ، لا بمنطق الأجداد القائم على التوسع بلا حساب .

** ** **

المبحث الثانى

العوامل الحاسمة فى سقوط ظاهرة " نيتانياهو "

خلال المحاضرات العامة خارج أسوار الجامعة، كان الشباب يبادروني دائماً على مدار السنوات الثلاث الماضية، ما هو الحل مع نيتنياهو المعادى للسلام، والذى لايبشر بخير فى تصريحاته أو سلوكياته ؟ وكان ردى عليهم أن "نميتنياهو" ظاهرة ضد منطق التاريخ الذى دارت عجلاته صوب السلام فى صراع امتد طوال هذا القرن، وازداد عنفاً مع تأسيس الدولة الاسرائيلية الصهيونية فى عام ١٩٤٨، وبالتالى فان التاريخ سيتجاوزه. وطرحت عليهم احتمالين : أولهما: إما أن يسير فى تيار السلام المندفع بقوة قبول كل الأطراف الاقليمية والدولية ويحترم الاتفاقات ، ويبرز اسرائيل كدولة لا عصابة أو نتوء ، ويسعى إلى اكتساب الشرعية السياسية لهذا الكيان الاسرائيلى فى قلب المنطقة العربية، وثانيهما: أو أنه سيسير فى مجرى السقوط حتى يصل إلى الهاوية. ولأنه غير قادر على السير فى عملية السلام ، بل وغير راغب أيضاً وأبرز ذلك فى عدم قدرته على تنفيذ اتفاق " واى ريفر " الأخير ، لذلك فان الأرجح هو السقوط .

وقد بدأ السقوط بعد أقل من عامين ونصف ، حيث انتزع منه الكنيست ثقته فى حكومته ، ودعا إلى انتخابات مبكرة، حاول أن يحدد موعدها بعد خمسة أشهر ليتجاوز الرابع من مايو ، وهو موعد الإعلان عن ميلاد الدولة الفلسطينية، لعله يستطيع أن يكتسب بعض التأييد من الناخب الاسرائيلى عندما يهدد ويتوعد اذا ما أعلنت هذه الدولة ، وعندما تستجيب السلطة الفلسطينية لتهديداته وتؤجل الموعد ، فيثبت للناخب الاسرائيلى أنه الأقوى فى فرض ارادته !! ولاشك أنه واهم فى كل تفسيراته وتوقعاته ، وأن سقوطه تكاد تكون مسألة : حتمية"، بحكم عوامل متداخلة داخل اسرائيل وفى محيطها الاقليمى والدولى .

(*) نشرت بجريدة الاهرام فى ١٠/٥/١٩٩٩، وجريدة الوفد فى ١٧/٥/١٩٩٩.

وفكرة هذا المقال تدور حول تحليل لأهم العوامل الحاسمة فى سقوط هذا الرجل " الظاهرة " . ويمكن بلورة أهم هذه العوامل فيما يلى :

١ - **معادلة خيار السلام مع الفلسطينين والعرب** : من خلال متابعة تصريحات نيتنياهو وحزبه " الليكود " ، وبرنامجه الانتخابى الذى أعلن فى الأسابيع الأخيرة الماضية، وبالنظر إلى بدء إعلان حملته الإنتخابيه من قلعة داوود فى القدس الشرقية مشيراً إلى أنه لا مناص على إعتبار القدس مدينة موحدة وهى عاصمة إسرائيل الأبدية، فى الوقت الذى يتهم خصمه باراك، وحزبه "العمل"، بأنهم سيفرطون فيها حال فوزهم، يتضح أنه رجل معادياً للسلام ولازال عند تشدده وأفكاره القديمة التى أتت به إلى رئاسة الحكومة عام ١٩٩٦. فسيظل فى بناء وتوسيع وعسكرة المستوطنات، وضد إقامة الدولة الفلسطينية إلى الأبد، مع محدودية السلطة الفلسطينية إلى الأبد، وتوسيع المستوطنات فى الجولان الذى لا يرى أى إنسحاب منها فى الأفق، ويطرح منطقة الاستعلائى ازاء سوريا مطالباً اياها بالبدء فى مباحثات السلام بدون شروط وتجاهل كل الخطوات التى تمت فى ظل حكومة رابين وبيريز. فضلاً عن انه يستنطق أحداثاً جديدة هى فى الأصل مستقرة بحكم الاتفاقات الدولية، حيث يطرح اصراره على إلغاء قرار التقسيم الذى أتت به الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، محاولاً بذلك أن يتلاعب بكل ما هو قد استقر لإثارة القلق والاضطراب. فى الوقت الذى يقف باراك وحزب العمل على الضفة الأخرى فيطرحون أفكاراً جديدة فى مواجهة الناخب الإسرائيلى، بالانفاق على التعليم بدلاً من المستوطنات، والنهوض بالخدمات والاقتصاد بدلاً من السعى نحو عدم الاستقرار فى المستوطنات، ولديهم الإستعداد للتفاوض مع سوريا من حيث توقفت آخر المباحثات قبل مجئ نيتنياهو، والإنسحاب من جنوب لبنان خلال عام، وليس لديهم مانعاً للموافقة على اعلان الدولة الفلسطينية بشروط قابلة للتفاوض. أى أن باراك يطرح نفسه كشخصية مرنه، يمكنها التعامل مع عملية السلام ودفعها للأمام تحقيقاً لأمن واستقرار وتقدم إسرائيل.

وإذا نظرنا لأحداث الاستطلاعات حول ترتيب القضايا التى تهم الناخب الاسرائيلى، والتى يمكنها حسم نتائج الإنتخابات القادمة، أجراه معهد جالوب على عيّنة من ٥٦٠ شخصاً، إتضح أن ٦٧٪ أكدوا على عملية السلام والأمن، بينما اختار ١٩٪ الاقتصاد والقضايا الاجتماعية .

وهذا ما يؤكد أولوية موضوع السلام بالنسبة للناخب الإسرائيلى، ومع معاداة نيتنياهو للسلام وتشدده، مقابل مرونة واضحة من باراك وحزب العمل ، فإن هذا سيؤدى إلى سقوط ظاهرة "نيتنياهو" فى هذه الإنتخابات .

٢ - **تزايد ضحايا العنف وتصاعد الخسائر البشرية** : فقد ثبت ، وعلى عكس ما يشيعه نيتنياهو ، أن ضحايا العنف فى عهده خلال السنوات الثلاث الأخيرة قد تضاعفت . فقد بلغ هؤلاء منذ اتفاق أوسلو حوالى ٢٠٠ قتيل، وألف جريح ، أكثر من نصفهم وقعوا فى عهده ، وهذا من نتاج العنف المعتاد من الفلسطينين للعنف الاسرائيلى ، فضلاً عن تطور نوع هذه العمليات الاستشهادية. كذلك فان الخسائر البشرية فى جنوب لبنان نتيجة عمليات الأعمال الفدائية لحزب الله ضد الجيش الاسرائيلى ، فقد تضاعفت فى عهد نيتنياهو بالمقارنة بمن سبقوه ، وهو ما حدا به بمناشدة لبنان قبول الاتفاق على الانسحاب الاسرائيلى ، وإلا سينسحب بإرداة منفردة ، وأصبحت هذه الخسائر ورقة انتخابية تدور حول موعد الانسحاب من الجنوب اللبنانى !! .

٣ - **تدهور الاقتصاد الاسرائيلى فى عهد نيتنياهو** : ففى ضوء تراجع خيار السلام، وتزايد ضحايا العنف ، والشعور بالقلق وعدم الاستقرار فى ظل حكومة هذا الرجل ، أن تعرض الاقتصاد الاسرائيلى لتدهور غيرمسبوق

ومن مؤشرات ذلك ، تراجع حركة الاستثمارات إلى النصف تقريباً خلال بعام ١٩٩٨ بالمقارنة بعام ١٩٩٧، أى من مليار و(٤٦) مليون دولار إلى ٨٠٦ مليون دولار. كما حدث انخفاض فى عدد السياح الأجانب بنسبة ١٢٪ عام ٩٨ بالمقارنة بعام ١٩٩٧، وبلغ الناتج المحلى ٨, ٪ عام ٩٨ ، مقابل ٤ر٢٪ عام ١٩٩٧ . وارتفعت البطالة بنسبة ١٢٪ مقابل ٧ر٧٪ عام ١٩٩٧ ، وزاد حجم الاستيراد وانخفضت معدلات التصدير، وانخفض معدل مستوى المعيشة بنسبة ٩ر٪ مقابل ٤ر١٪ عام ١٩٩٧ ، وهذا من واقع تقرير مكتب الاحصاء العام الاسرائيلى ، وتقرير بنك اسرائيل للاقتصاد الاسرائيلى لعام ١٩٩٨. ومن ثم أصبح غير مقبول استمرار مثل هذه الحكومة برئاسة نيتنياهو .

- وهذا بخلاف تفاقم المشاكل الاجتماعية الحادة، وتدهور مستوى معيشة اليهود الشرقيين والمهاجرين السوفييت ، وتمزق كتلة الليكود ذاتها والتى أخرجت للوجود حزب الوسط بقيادة موردخاى ، ومعه (شاحاك، ومريدور) وهؤلاء الثلاثة كانوا أقطاب فى الليكود مما يعد له من التأثير السلبى والحاسم على المؤيدين لنيتنياهو.

- **وتفصح هذه العوامل الحاسمة عن نفسها فى هذه الأونة وخلال الأيام الأخيرة السابقة على الانتخابات المقررة فى ١٧ مايو القادم فى عدد من الأمور أبرزها :**

  - **تزايد الفجوة فى قياسات الرأى العام الاسرائيلى الأخيرة لصالح باراك بعدد (٨) نقاط (٥٠٪ لصالح باراك مقابل ٤٢٪ لصالح نيتنياهو)، وذلك بعد أن كانت نتيجة الاستطلاعات السابقة تشير إلى التقارب ، أو ترجيح كفة احدهما بنسبة محدودة طوال الأشهر الثلاثة الماضية.**

٦

- صعوبة حسم نتيجة الانتخابات لصالح أحد المرشحين الخمس لمنصب رئيس الحكومة فى الجولة الأولى المقررة فى ١٧ مايو، وان كان سيترتب عليها دخول أعلى اثنين حصلا على أصوات الناخبين تحت ٥٠٪ ، لجولة ثانية فى ٢/٦ القادم . ومن المرجح دخول باراك ونيتنياهو إلى الجولة الثانية بتقدم ‌باراك ، والحسم النهائى لصالحه باحتمال كبير .

- أن الفئات التى عانت من جراء تدهور الاقتصاد الاسرائيلى فى عهد نيتنياهو، غالباً ما ستصوت لصالح العمال وباراك ، وهو ما يوضح تأثير العوامل الموضوعية على اتجاهات التصويت ، وعلى مقاومة نيتنياهو "الظاهرة".

- أن تعدد المرشحين على مقعد رئاسة الحكومة الاسرائيلية، وزيادة عدد الأحزاب المتنافسة إلى ٣٤ حزباً ، فضلاً عن وجود تكتلات لها تأثير واضح فى عملية التصويت، ترجح من أهمية التحالفات من اللحظة الأخيرة والتى يمكن أن تلعب دوراً ايجابياً فى زيادة عدد المقاعد للأحزاب الكبرى . وهنا فان الصوت العربى الذى ساند نيتنياهو فى انتخابات ١٩٩٦، أكدت كل الاستطلاعات أنه لن يكرر هذه المأساة مرة أخرى، وأن الأغلبية (٥٧٪ تقريباً) ستصوت لباراك ، وحوالى ٢٥٪ ، ستصوت للمرشح العربى (عزمى بشارة) ، ٥ر١٢٪ لموردخاى ، ٥ر٦٪ لنيتنياهو، طبقاً لآخر الاستطلاعات قبل الانتخابات بأقل من أسبوعين . وهذا مايشير إلى تعزيز عامل خيار السلام الذى يطمح إليه العرب فى ظل باراك، بعد أن فشل توقعهم فى ظل نيتنياهو .

وفى تقديرى أن التحالفات المحتملة قبل الجولة الأولى من الصعب تقديرها لتأثير ذلك على المرشحين الخمس مستقبلاً ، إلا أن المتوقع أن ينضم مؤيدو الوسط (موردخاى) ، والتجمع العربى (عزمى بشارة) ، إلى باراك وهو ماسيرجح من المركز الانتخابى له ، مقابل انضمام بينى بيجين الممثل لليمين الاسرائيلى إلى نيتنياهو ، وهو ما لن يحدث نتيجة كبيرة لصالح الأخير فى معركته المتوقعة ضد باراك فى الجولة الثانية .

وفى المعنى الأخير ، فإن صعود نيتنياهو المفاجىء كان بمثابة حدث يعبر عن واقع اقليمى ممزق ، وواقع اسرائيلى داخلى أكثر تمزيقاً. فى عام ١٩٩٦، وظل معادياً لعملية السلام ، وتصور أن " فتوته " وشبابه يقودان إلى الغرور والغطرسة والاصرار على تحويل مجرى التاريخ لحسابه الشخصى ، وهو ما جعل منه ظاهرة تحتاج إلى تحليل موضوعى فى المستقبل. فكل العوامل الداخلية والاقليمية والدولية تقف ضده ، ولذلك فالاحتمال الأقوى عندنا هو سقوط هذه الظاهرة " نيتنياهو " والأيام القادمة ستشهد ذلك ، وهو درس للزعامة الاسرائيلية القادمة علّها تعى الدرس !! .

•• •• ••

المبحث الثالث

قياسات الرأى العام فى الانتخابات الاسرائيلية واحتمالات المستقبل (*)

تلعب قياسات الرأى العام فى المجتمعات الديموقراطية، أهمية كبيرة، وخاصة فى أوقات الأزمات والقضايا الكبرى، وفى أوقات الانتخابات العامة.ولهذا الدور وجهان ، الأول يتعلق بالكشف عن التوجهات السائدة للمواطنين وقت القياس تجاه القضية أو المرشحين، والثانى ينصرف إلى التأثير على اتجاهات الناخبين عند الادلاء بالصوت وهى بذلك قد أوحت لهم ضمنياً بما يجب أن يتجهوا إليه، وهذا هو مكمن خطورة قياسات الرأى العام. لذلك فإن الدقة الواجبة من خلال الأدوات العلمية فى عملية القياس تعتبر أمراً أساسياً فى إرتفاع المصداقية فيها، فضلاً عن الأمانة العلمية الواجبة التى تتجاوز فكرة الانحياز لهذا أو ذاك.

كما أن هذه القياسات تلعب دوراً إضافياً قد لايسترعى إنتباه الكثيرين ، ويتمثل فى منع إتخاذ القرارات ، أو حجب رأى معين عن الاعلان تجاوباً مع الاتجاهات السائدة للرأى العام وإحتراماً له .

ونموذج ذلك ، ما حدث فى قضية كلينتون الأخيرة، حيث وقفت قياسات الرأى العام المساندة لكلينتون حائلاً أمام تصاعد تأييد غالبية الكونجرس بالعزل فى فضيحة " مونيكا – جيت " . وأشك كثيراً لو أن هذه القياسات لم تكن فى صالحه، لكننا أمام أحد احتمالين إما مبادرته بالاستقالة بعد قرار مجلس النواب بإقالته، وإما إصرار مجلس الشيوخ على تأييد قرار الإقالة الذى أصدره مجلس النواب.

• كتبت فى ٢١/ ابريل/١٩٩٩ ، ولم تنشر .

• ولذلك فأنني أحرص دائماً على متابعة وتحليل هذه القياسات في الانتخابات العامة والقضايا الهامة. ومع متابعة الشئون الاسرائيلية وانتخاباتها المبكرة التي ستجرى صباح يوم ١٧ مايو القادم ، فانه يمكن توقعات المستقبل من خلال رصد وتحليل تطور قياسات الرأى العام الاسرائيلى خلال الفترة الماضية وقبل الانتخابات بنحو ثلاثة أسابيع .

فالخريطة الانتخابية بعد الانتهاء من الترشيحات لمنصب رئيس الوزراء على وجه الخصوص تشير إلى وجود خمسة متنافسين على هذا المقعد، وهم : بنيامين نيتنياهو (ممثلاً لكتلة الليكود)، وأيهود باراك (ممثلاً لحزب العمل)، وموردخاى – وزير الدفاع السابق والمنشق عن نتيناهو (ممثلاً لحزب الوسط الجديد) ، وبينى بيجين (ممثلاً لليمين الاسرائيلى) ، وأخيراً : عزمى بشارة (ممثلاً لعرب اسرائيل) . ولكن هذه الخريطة تتسع لتشمل أحزاب وقوى سياسية أخرى مع التنافس على مقاعد الكنيست (البرلمان الاسرائيلى).

ومن أول وهلة ، فانه يلاحظ مع وجود مرشحين آخرين خارج نطاق مرشحى التكتلين الأساسيين وهما (العمل والليكود) ، يصعب تصور إمكان الفوز لأى من المرشحين الخمسة من أول جولة، والمقرر لها يوم ١٧ مايو القادم. وقد تكون الاعادة فى الجولة الثانية المقرر لها أول يونيه ١٩٩٩ ، قاصرة على باراك ونيتنياهو باعتبارهما زعيمى أكبر تكتلين سياسيين منذ إنشاء دولة اسرائيل عام ١٩٤٨، وحتى الآن. ولكن قد تحدث المفاجآت باحتمال انسحاب هؤلاء المرشحين الثلاث الآخرين أو اثنين منهم، حيث من الممكن تصور اجتياز الانتخابات لمقعد رئيس الوزراء من أول جولة فى ١٧ مايو القادم لصالح بارك أو نيتنياهو !!.

• ولكى تتسق هذه القراءة الأولية للخريطة الانتخابية فى اسرائيل، مع التوقعات الصحيحة من جانب ، والواقع الفعلى من جانب آخر ، فان تحليل تطور استطلاعات الرأى قد تساعد على ذلك ، تمهيداً لمناقشة الظروف الموضوعية المؤثرة فى نتيجة العملية الانتخابية فى مقال آخر بإذن الله .

فمنذ بداية السباق على رئاسة مجلس الوزراء وعضوية الكنيست ، عقب قرار البرلمان الاسرائيلى فى ١٩٩٨/١٢/٢١ ، بإجراء انتخابات مبكرة بأغلبية ٨١ صوتاً مقابل ٣٠ صوتاً ، وامتناع (٤) أصوات ، وغياب (٤) آخرين ، واستطلاعات الرأى لم تهدأ أسبوعياً . وتركز هذه الاستطلاعات بشكل أساسى على منصب رئيس الوزراء القادم أكثر من التركيز على تكوين البرلمان (الكنيست) ودون تجاهله بالطبع ولكن على مسافات زمنية متباعدة. وقد دارت الاستطلاعات خلال شهرى ديسمبر ٩٨ ويناير ١٩٩٩ حول ثلاثة متنافسين على مقعد رئيس الوزراء وهم : (نيتناياهو ، وباراك ، وشاحاك)، وقد أوضحت هذه الاستطلاعات المبكرة عن تقدم شاحاك وباراك ، وتراجع نيتنايـاهو ومثال ذلك : استطلاع معهد جالوب المنشور فى جريدة معاريف فى ١٩٩٨/١٢/٢٥، أشار إلى فوز باراك بنسبة ٣٠٪ يليه نيتنايـاهو ٢٧٪ ، ثم شاحاك ٢٠٪ . أما استطلاع مؤسسة (داهاف) المنشورة فى جريدة (يديعوت احرونوت) ، فقد أوضح تفوق شاحاك بنسبة ٤٩٪ مقابل ٣٧٪ فى الجولة الثانية، وباراك ، ٤٤٪ ونيتنايـاهو ٤٢٪، بينما هناك ١٤٪ لم يحسموا أمرهم .

وقد سار هذا الوضع خلال يناير ٩٩ فى استطلاع لصالح باراك ، وآخر بتعادل باراك ونيتنياهو ، وثالث يعزز فرص فوز " شاحاك " فى حالة وصوله للجولة الثانية أمام نيتنياهو ، وبنسبة ٤٨٪ .

وخلال شهرى فبراير ومارس ١٩٩٩ ، فقد تقاربت النسب بين باراك ونيتنياهو ، مع احتمالات فوز باراك فى الجولة الثانية ، وبعد أن حسم حزب الوسط مرشحه حيث أصبح موردخاى بدلاً من شاحاك ، فان المرشح الجديد داخل حلبة السباق فى المركز الثالث ، ثم جاء بعده (بينى بيجين) ممثل اليمين المتشدد فى المركز الرابع . ولازالت فرص المرشح العربى منعدمة فى الاستطلاعات ويبدو أنهم يتجاهلونه !!

ومن أمثلة ذلك استطلاع صحيفة معاريف فى ١٩٩٩/٢/٢٢. الذى يشير إلى نيتناياهو سيحصل فى الجولة الأولى على ٣٧٪ مقابل ٣٦٪ لباراك ، ١٧٪ لموردخاى ، ثم بينى بيجين (٥٪) ، إلا أن الجولة الثانية وهو ما يعزز فرص نيتناياهو فى الفوز فى الجولة الثانية بنسبة ٤٧٪ مقابل ٤٦٪ لصالح باراك ، وهو توقع ضئيل للغاية ، بينما فى حالة فوز موردخاى فى الجولة الأولى فانه سينتصر على نيتنياهو بحصوله على ٥١٪ مقابل ٣٩٪ لنيتنياهو ، وهذا يؤكد ضرورات التنسيق بين باراك وموردخاى ، لإسقاط خصمهما نيتانياهو ، ويبدو أن المسألة تواجهها مشاكل ضخمة وفى استطلاع الأسبوع الثالث لمارس أشار معهد جالوب إلى أن باراك سيحصل على ٤٧٪ من الأصوات مقابل ٤٤٪ لنيتناياهو ، فى الجولة الثانية ، بينما جولتهما الأولى ستشهد تعادلاً بحصول كل منهما على ٣٦٪. وهذا يشير إلى استمرار تفوق باراك وان كان بفارق بسيط جداً. إلا أن شهر ابريل ومن بدايته وقبل اجراء الانتخابات بستة أسابيع بدأت الاستطلاعات تتكشف وتتزايد. ومن ذلك مثلاً استطلاع الأسبوع الأول والثانى لمعهد جالوب المنشور على صفحات معاريف، أكد فوز باراك على نيتناياهو (٤٥٪ مقابل ، ٤٢٪ ، ثم ٤٦٪ مقابل ٤٣٪ فى الجولة الثانية ، بفارق ٣ نقاط ، مع تساويهما فى الجولة الأولى ، وفى بداية الأسبوع الثالث لابريل ، نشرت معاريف استطلاع جالوب الذى أكد حصول باراك على ٤٨٪ مقابل ٤١٪ لنيتناياهو فى جولة الاعادة أول يونيه ٩٩ ، وهذا يؤكد استمرار تفوق باراك عن الأسبوع السابق ، بعد أن كان الفارق ٣ نقاط فقط لصالحه . إلا أن آخر الاستطلاعات وقبل اجراء الانتخابات بأربعة أسابيع فقط ، تشير إلى تقلص الفارق بين باراك ونيتناياهو إلى نقطتين فقط، بعد أن كانت (٧) نقاط فى الأسبوع السابق (صحيفة معاريف الاسرائيلية فى ١٩٩٩/٤/٢٠) ، بينما أشارت صحيفة (بديعوت أحرونوت) ، فى استطلاعها إلى أن الفارق لصالح بارك (٥) نقاط على نيتناياهو.

أما ما يتعلق باستطلاعات الرأى بشأن عضوية الكنيست ، فيمكن الاشارة إلى أهم استطلاعين : الأول فى ٢٠ فبراير الماضى نشرته صحيفة (يديعوت أحرونوت) ، أشار إلى أن حزب العمل سيحصل على ٣٠ مقعداً ، و٢٤ لليكود، (١٣) للوسط ، بينما (٥٣) مقعداً سيظلوا لصالح الأحزاب الأخرى التى تصل إلى ١٢ حزبا وكتلة سياسية ، وهى أحزاب صغيرة .

أما الاستطلاع الثانى الذى أعده معهد جالوب ونُشر فى صحيفة معاريف، فقد أشار إلى حصول حزب العمل على ٢٨ مقعداً ، مقابل ٣٤ فى انتخابات ٩٦، والليكود (٢٠) مقعداً مقابل ٣٢ فى الانتخابات الماضية ، بينما حزب الوسط الجديد سيحصل على ١٣ مقعداً ، والباقى وهو (٥٩) مقعداً سيتناثر بين الأحزاب الصغيرة وهى التى ستمثل قيداً كبيراً على تشكيل الحكومة القادمة وائتلافها الحاكم بقيادة رئيس الوزراء القادم .

والخلاصة الأولى تشير إلى ما يلى من واقع هذه الاستطلاعات :

- أن احتمال حسم رئاسة الوزراء فى الجولة الأولى مسألة عسيرة للغاية، ولذلك فان احتمالات الجولة الثانية كبيرة جداً .
- أن المتنافسين فى الجولة الثانية غالباً هما : باراك ، ونيتنياهو ، وتشير أغلب هذه الاستطلاعات حتى قبل الانتخابات بثلاثة أسابيع باحتمالات فوز باراك على الأخير وبنسبة محدودة .
- أن الاستطلاعات القائلة بأنه فى حالة فوز موردخاى فى الجولة الأولى ودخوله فى منافسه فى الجوله الثانية مع نيتنياهو ستؤدى إلى فوز حاسم لموردخاى ، تكشف عن عمق الفجوة بين هذين الشخصين لدى الرأى العام ، وهو ما يرجح من أهمية التنسيق بين موردخاى وباراك فى حالة فوز أيهما فى الجولة الأولى تمهيداً للجولة الثانية. على الرغم من أن هناك بعض الآراء التى تشير إلى احتمالات مساندة موردخاى عشية ليلة

انتخاب الجولة الأولى فى حالة شعوره بعدم انجاز شيىء ملموس لصالح حزبه ، وفى حالة التأكد من تأثير هذه المساندة على الفوز الحاسم لباراك ضد نيتنياهو .

- أن تكتلات حزب العمل ، والليكود سيتراجع حجمها فى الكنيست لصالح حزب الوسط الجديد ، وللأحزاب الصغيرة مما سيمثل قيوداً هائلة على رئيس الحزب القادم عند تشكيله للانتخابات ، وعند اضطراره للدخول فى قرارات مصيرية ، ومن ذلك عملية السلام واقامة الدولة الفلسطينية والانسحاب من جنوب لبنان والجولان ، وغير ذلك .

تلك هى الملاحظات الأولى على الخريطه الانتخابية من واقع الاستطلاعات ، التى يلاحظ عليها عدم نشر حجم عينتها من جانب ، وحجم الأخطاء المتوقعة ، وهو ما يجعلنا نتحفظ على هذه النتائج ولا نأخذها على اطلاقها. خاصة اذا عرفنا أن أحد الاستطلاعين الرئيسيين لمعهد [illegible] ، ينشر فى صحيفة معاريف ، بينما الأخرى لمعهد داهاف بالتعاون مع مؤسسات أخرى ، ينشر فى صحيفة (يديعوت أحرونوت) ، ولكلاهما ميول سياسية مع الكتلتين الرئيسيتين (العمل والليكود) . كما أنه علينا أن نتذكر أن الفروق البسيطة لا تقود إلى توقعات كبرى ، كما أن الفروق الكبيرة تؤخذ بحذر فى بعض الأحيان خاصة فى إسرائيل ، كما حدث فى انتخابات ١٩٩٦ حيث كانت لصالح بيريز بفارق كبير وهذا يكشف لنا حجم التغير الحاد فى الآراء السياسية للإسرائيليين من استطلاع لآخر ثم إلى الواقع ، وعلينا فى النهاية أن نترقب !! .

** ** **

المبحث الرابع

مصداقية قياسات الرأى العام فى الإنتخابات الاسرائيلية(*)

أصبح فى غير مجال للشك ، اعتبار قياسات الرأى العام ذات أهمية كبرى للتعرف على اتجاهات المواطنين تجاه بعض القضايا، والكشف عن غير المعلن لدى الناس ازاء مسألة ذات جدل كبير، وخاصةً فى مجالات الانتخابات العامة وأوقات الأزمات الكبرى ، وغير ذلك .

وتكتسب هذه الاستطلاعات أهميتها ومصداقيتها فى الدول الديموقراطية التى لاتضع قيوداً أمام أجهزة قياسات الرأى العام ، عكس ما يحدث فى الدول غير الديموقراطية .

وقد ذاع صيت هذه الاستطلاعات بشكل جاد وحاسم ، منذ إنشاء معهد "جالوب – Gallup " ، بالولايات المتحدة الأمريكية لوحدة قياسات اتجاهات الرأى العام وبدعم عدد من الصحف الكبرى هناك، عام ١٩٣٦ ونال هذا المعهد شهرته ومصداقيته بعد ثبوت كفاءته فى التنبؤ بفوز "روز فلت" على منافسه فى حركة الإنتخابات الأمريكية. ثم إستمرت نجاحاته حتى واجه نكسته فى تنبؤاته عام ١٩٤٨ فى إنتخابات الرئاسة الأمريكية، ثم سرعان ما عادت له الثقة عام ١٩٦٠، حيث توصل إلى نتائج ذات ثقة مرتفعة أثناء الحركة الإنتخابية بين كيندى ونيكسون، وتوقع فوز كيندى، وهو ما حدث فعلاً .

وأنشئت بعد ذلك، معاهد ومراكز لاستطلاعات الرأى العام فى الولايات المتحدة وأوربا وغالبية الدول الديمقراطية، لا تحصى. ومن بين هذه الدول "إسرائيل" الذى أنشئ فيها فرع لمعهد جالوب الأمريكى ينشر نتائجه فى صحيفة

• كتبت فى ١٩٩٩/٥/٢٨، ولم تنشر .

معاريف الإسرائيلية بانتظام، فضلاً عن بعض المراكز الأخرى التى تعمل فى هذا المجال، بالإضافة الى قيام محطات التليفزيون وبعض الصحف باستطلاع الرأى العام وهو ما ظهر فى الإنتخابات الإسرائيلية الأخيرة التى تمت فى ١٧ مايو الماضى، والتى حسمت لصالح "إيهودا باراك" فى مواجهة خصمه " نيتنياهو"، من الجولة الأولى .

ويهدف هذا المقال تحليل دور قياسات الرأى العام فى الإنتخابات الإسرائيلية الأخيرة على وجه الخصوص، ومدى إمكانية التأثير على الناخبين والمرشحين فى نفس الوقت .

ومن خلال متابعة مسيرة السباق على رئاسة الحكومة الاسرائيلية وعضوية الكينست، عقب القرار البرلمان الاسرائيلى فى ١٩٩٨/١٢/٢١ بإجراء انتخابات مبكرة بأغلبية كبيرة فاقت الثلثين، وعلى مدار خمسة أشهر كاملة، يمكن القول بأن استطلاعات الرأى العام فى هذا الشأن مرت بثلاثة مراحل أساسية .

* **المرحلة الأولى : (مرحلة التعادل)** : وهى التى تشمل شهرى ديسمبر ٩٨، ويناير ١٩٩٩، حيث دارت الاستطلاعات حول ثلاثة متنافسين على مقعد رئيس الحكومة وهم (نتينياهو، باراك، شاحاك) .

وقد أفصحت هذه الاستطلاعات المبكرة من تقدم شاحاك وباراك، مع التقارب مع نتينياهو. ومثال ذلك : استطلاع معهد " جالوب" المنشور فى جريدة معاريف فى ٩٨/١٢/٢٥، أشار الى فوز باراك بنسبة ٣٠٪ يليه نيتنياهو ٢٧٪، ثم شاحاك ٢٠٪. أما استطلاع مؤسسة (داهاف) المنشور فى جريدة (يديعوت أحرونوت)، فقد أوضح تفوق شاحاك بنسبة ٤٩٪ مقابل ٣٧٪ فى الجولة الثانية، ثم باراك ٤٤٪، ونيتنياهو ٤٢٪ وقد سار هذا الوضع خلال شهر يناير ٩٩، حيث وجدنا استطلاع لصالح باراك، وآخر بتعادل باراك ونتينياهو، وثالث يعزز فرص فوز "شاحاك" فى حالة وصوله للجولة الثانية أمام نتينياهو وبنسبة ٤٨٪. وكل ما يلاحظ على هذه المرحلة أنها تتسم بالتقارب والتعادل بين الخصمين الرئيسين،

باراك ونينياهو"، دون تجاهل للمرشح الذى كان مطروحاً أنذاك وهو "شاحاك"، وهو الذى انقسم عن نتنياهو والليكود .

* **المرحلة الثانية : (مرحلة التردد)** : وتغطى هذه المرحلة شهرى فبراير ومارس ١٩٩٩، حيث كشفت الاستطلاعات فى هذه الفترة عن تزايد حدة التنافس بعد حسم حزب الوسط لمرشحه الذى أضحى " مور دخاى" بدلاً من شاحاك، ليصبح المرشح الثالث رسمياً بعد باراك ونتينياهو. ثم دخل حلبة السباق " بينى بيجين" مرشحاً لليمين المتشدد، ليصبح المرشح الرابع. بالإضافة إلى المرشح الخامس وهو عربى إسرائيلى يدعى د. عزمى بشارة، وهو الذى تم تجاهله تماماً فى الاستطلاعات خلال هذه المرحلة. ومع تزايد التنافس، والمزايدات الانتخابيه، أشارت الاستطلاعات إلى احتمالات فوز " نتينياهو" مرة، ثم فوز باراك فى استطلاع آخر، ثم فوز موردخاى فى ثالث، وهكذا، كما أن الحسم فى الغالب لن يكون فى الجولة الأولى من الانتخابات فى ١٧ مايو/١٩٩٩ .

ومن هذه الاستطلاعات ما نشر فى صحيفة معاريف فى ٢٢ فبراير /٩٩، تضمن حصول نيتنياهو فى الجولة الأولى على ٣٧٪ ، مقابل ٣٦٪ لباراك ، ثم ١٧٪ لموردخاى ، ثم بينى بيجين (٥٪) . وفى الجولة الثانية سيفوز نيتنياهو بنسبة ٤٧٪ مقابل ٤٦٪ لباراك .

أما إذا فاز موردخاى فى الجولة الأولى ، فانه سينتصر بنسبة ٥١٪ مقابل ٣٩٪ لنيتنياهو .

وبعد أقل من شهر فى ٢١ مارس، أشار استطلاع لمعهد جالوب إلى أن باراك سيحصل على ٤٧٪ من الأصوات مقابل ٤٤٪ لينتنياهو فى الجولة الثانية ، بينما الجولة الأولى سيخرجا منها متعادلين بحصول كل منهما على ٣٦٪ فقط .

- **المرحلة الثالثة : (مرحلة الحسم) : وهى تغطى شهرى أبريل ومايو/٩٩.**
حيث اشتعل التنافس ، وأعلنت البرامج الانتخابية لكل التكتلات الحزبية (الليكود والعمل والوسط واليمين وغيرهم) .
وبدأ العد التنازلى للانتخابات بعد اعلان الحملة الرسمية قبل اجرائها بثلاثة أسابيع ، وبدأت المناظرات المباشرة وغير المباشرة ، وبدأت الضغوط على الناخبين لعمل آثارها وهو ما بدأ يظهر واضحاً فى الاستطلاعات خلال هذه المرحلة . وقد اتسمت هذه المرحلة فى بدايتها بالتوجس بعض الشيىء ، ثم الاعلان على أن هناك جولة ثانية بين أعلى المرشحين وانحصرت المنافسة بين أقوى خصمين للجولة الثانية التى كان مقرراً لها ٢ يونيه ١٩٩٩، وهما : باراك ونيتنياهو . كما بدأت الاستطلاعات تعمل احتمالاتها بشأن إمكان الحسم فى الجولة الأولى بشروط تنازل المرشحين الآخرين وخاصة موردخاى وعزمى بشارة . فضلاً عن الاستطلاعات بدأت تبرز المرشح العربى كمرشح رابع قبل بينى بيجنن ، رغم تواضع النسبة ٣٪ تقريباً ، وهو ما بدأ يعكس تزايد ثقل الصوت العربى فى التأثير على مسار الانتخابات وكل هذا أسهم بصورة مباشرة فى تحريك الاستطلاعات نحو نتائج تعكس الواقع الفعلى فى اسرائيل . حيث بدأت كفة باراك تتزايد تدريجياً لصالحه . ومع كل استطلاع جديد ابتداءً من ابريل ٩٩ وحتى يوم اجراء الانتخابات فى ١٧مايو الماضى ، بدأت النقاط تتزايد لصالح باراك ، نقطتين ثم اربع ، ثم ست ، ثم ثمانية ثم عشرة والتأرجح بين عشرة وحتى ١٣ نقطة . وقد جاءت نتيجة الانتخابات متوافقة مع هذه الاستطلاعات ، حيث حصل باراك على ٥٦٪ مقابل ٤٤٪ لنيتنياهو بفارق ١٢٪ .

ودون الاستفاضة فى الاشارة إلى الاستطلاعات العديدة التى نشرت فى كل الصحف التى كانت تتابع هذه المعركة الانتخابية باهتمام كبير، نلاحظ أن نيتنياهو كان يقلل من شأن هذه الاستطلاعات ، مفسراً أن نتيجتها تعكس ترجيح أصوات اليهود الروس. وهو ماحدا به المبادرة بزيارة روسيا ومحاولة التقرب من هؤلاء للحصول على تأييدهم . كذلك كان نيتنياهو يتحدى بفوزه حفاظاً على أمن إسرائيل ومستقبلها ، معتبراً أن كافة الاستطلاعات فى معركة ١٩٩٦ كانت ترجح فوز شيمون بيريز لكن فاز وانتصر على هذه الاستطلاعات ، وتناسى أن فوزه كان بنسبة ضئيلة جداً كانت تستلزم منه مجهوداً كبيراً لدعم مركزه الجماهيرى. إلا أنه فشل فى ذلك والدليل سحب الثقة من حكومته قبل مدتها الرسمية بعام كامل ، وتعرضه لمحاولات عديدة لسحب الثقة على مدار العامين والنصف قبل آخر اقتراع ثقة فى حكومته فى ديسمبر الماضى .

- وكان لهذه الاستطلاعات وتزايد الفجوة بين باراك ونيتنياهو ، لصالح الأول ، تأثيره فى احداث الانقسام فى كتلة الليكود وفى تفكك فريق الحملة الانتخابية لينتنياهو ، إلى حد اعلان مدير حملته الأمريكى رغبته فى الانسحاب بعد أن تأكدت هزيمة نيتنياهو قبل اسبوع من الانتخابات ولا شك أن حسم هذه االانتخابات فى الجولة الأولى جاء نتيجة الانسحاب لكل من المرشحين (موردخاى ، وعزمى بشارة) ، ودعمها لباراك ولولا هذا الانسحاب ، لكانت الجولة الثانية هى الحاسمة لمنصب رئيس الوزراء بلا شك . ولذلك جاءت كل احتمالات الاستطلاعات على مدار هذه المراحل الثلاث خاصة المرحلة الثالثة والحاسمة ، صادقة ومعبرة عن الواقع ، ومجسدة للاتجاهات الحقيقية السائدة . وهذا هو الفيصل فى صدق مثل هذه

الاستطلاعات ، باستخدام أدوات سليمة ، وعينة شاملة وصادقة وواقعية ، وتطبيق على درجة عالية من الأمانة العلمية .

وبالقدر الذى تستطيع هذه الاستطلاعات أن تكشف عن التوجهات السائدة لدى المواطنين فى لحظة القياس ، إلا أن استمرارها والحاحها قد تلعب دوراً آخر فى التأثير على مسارات المعركة الانتخابية ونتيجتها . وهذا ما يحدث عادة فى مثل هذه القياسات ، حيث يتأثر الناخبون بنتائج الاستطلاعات المنشورة ، ويمكنهم التصويت فى اتجاه هذه الاستطلاعات.

وعلينا أن نتذكر الانتخابات الأمريكية عام ١٩٩٢، حيث حسمت الاستطلاعات نجاح كلينتون ، وعام ١٩٩٦ حيث أكدت نجاحه رغم ضيق الفجوة مع خصمه (روبرت دول) الذى كان يبذل مجهوداً كبيراً فى هذا السباق لكسب الرأى العام دون تحدى كما فعل نيتنياهو بغروره الذى كسرته الإستطلاعات وأكدته نتيجة الإنتخابات فى ١٧ مايو الماضى .

والسؤال : أين نحن مما يجرى فى عالمنا العربى والثالث ؟ والجواب مرهون بعامل الزمن !! .

** ** **

المبحث الخامس

خيار السلام واحتمالات الفوز فى الانتخابات الاسرائيلية (مايو ١٩٩٩)*

لم يعد متبقياً سوى أيـام محـدودة علـى الانتخابـات الاسـرائيلية فـى السـابع عشر من مايو القادم، ليظهر بجلاء ووضــوح مـن سيقود اسـرائيل للقـرن الحـادى والعشرين؟ وفى ظل هـذه الحملـة الإنتخابيـة السـاخنة، واسـتطلاعات الـرأى التـى ترجح فوز بعض المرشحين من خلال إبـراز للنقـاط المبينـة للفجـوة بينهـم ، سبق الحديث عنها فى مقال سابق وفى أتون "المزايدات" حول العديد من القضايا ، فانـه من المتعذر حسم من هو الفائز مــن ناحيـة ، كمـا أنـه مـن المتعـذر تجـاهل عمليـة السلام ومدى تأثيرها فى هذه الحملـة الانتخابيـة ، ومـدى تأثرهـا بالنتيجـة النهائيـة لهذه الانتخابات بعد ذلك ؟

ولذلك فان السؤال الذى نسعى للاجابة عليه هنا، هل لعمليـة السـلام وجـود حقيقـى فى الحملة الانتخابية كورقة للحصول علـى المزيـد مـن الأصـوات فـى اسـرائيل ؟ وهل بالتالى يمكن أن تكون لها تأثير علـى توقعـات نتيجـة الانتخابـات وفـوز أحـد المرشحين الخمس أم لا ؟

- ففى استطلاع للرأى أجراه معهد "جالوب" فـى الأسـبوع الثـالث مـن ينـاير الماضى على عينة تضم ٥٦٠ شخصاً، أوضح أن قضايا "السـلام والأمـن" تشـكل أهم الموضوعات التى ستحسم نتائج الانتخابات الاسرائيلية . فقد أشـار ٦٧٪ مـن العينـــة إلى السلام والأمن، فى حين اختار ١٩٪ الاقتصاد والقضايا الاجتماعية .

---

* نشرت فى جريدة "الاتحاد" الاماراتية ، فى : ١٦مايو ١٩٩٩.

ولم يعبر ١٣٪ عن رأيهم وهذا يؤكد أن قضية السلام وتداعياته الأمنية والاقتصادية تعتبر فى مقدمة القضايا المحددة لنتائج الانتخابات الاسرائيلية وذلك وفق القراءة الموضوعية لمجريات الأمور فى داخل اسرائيل . ولذلك فانه يلاحظ من البداية أنه يمكن اعتبار أن تحدى عملية السلام وآفاقها المستقبلية هو المحور الرئيسى لهذه الانتخابات الأخيرة فى نهاية القرن العشرين ومع ذلك ، فانه يمكن التحفظ على أن ما يقال وقت الانتخابات يأتى فى سياق الدعاية الحزبية ، والسباق نحو البرلمان وكرسى رئاسة الحكومة ، لكن المصداقية لهذ الرأى أو ذاك لا يجب تجاهله مستقبلاً فى إدارة عملية السلام والتأثير عليها .

- فالموقف عند الليكود ونتنياهو هو موقف واضح لا غموض فيه ازاء عملية السلام . فهذا التكتل وزعيمه، أبرزا للوجود مفهوم الأمن مقابل السلام، بدلاً من الأرض مقابل السلام كما نصت عليه اتفاقيات مدريد للسلام وغيرها وأسهم هذا التكتل فى اعاقة كاملة لعملية السلام ، فضلاً عن عدم احترامه لأية تعهدات قام نيتنياهو بالتوقيع عليها ومنها آخر اتفاق وهو (واى ريفر). ومنذ الاعلان عن الانتخابات المبكرة فى ديسمبر الماضى، وسيل من التصريحات العدائية لعملية السلام من جانب نيتنياهو، يتدفق حيث يهدد بالغاء اتفاقات أوسلو ، واعادة الأراضى الواقعة تحت سيطرة السلطة الفلسطينية ، واستخدام العنف ضد هذه السلطة والمواطنين الفلسطينيين فى حالة اعلان الدولة الفلسطينية فى الرابع من مايو ١٩٩٩. فضلاً عن التشجيع الدائم لاستمرار المستوطنات ، والاقدام على سلوكيات معادية تماماً لعملية السلام ومنها اغلاق "بيت الشرق" فى القدس الشرقية، وهو الذى يمثل مكاتب السلطة الفلسطينية هناك. اضافة إلى ذلك تلك المناورات الانتخابية بشأن الحديث عن الانسحاب المنفرد من جنوب لبنان ومحاولة الزعم بامكان الاتفاق مع سوريا بشأن الجولان ، وهو ما يمكن

أن يسـهما فـى دعـم المركـز الانتخـابى لنتنيـاهو اعتقـاداً منـه أن الحديـث المضاد للفلسطينين هو الداعم للأمن الاسرائيلى، على عكس الحديـث عـن امكانيات التفاهم مع لبنان وسوريا لتخفيف الخسـائر الاسـرائيلية علـى هـذا الجـانب وهـو مـا يدعـم أمـن اسـرائيل فـى النهايـة بعبـارة أخـرى هنـاك محاولات للتلاعب بكافة الأوراق سعياً نحـو دعـم المركـز الانتخـابى لهـذا التكتل المعاد لعمليـة السـلام ويراهـن نتنيـاهو فـى هـذه المرحلـة علـى أيـة عملية فدائية ضد الاسرائيليين لكى يظهر لهـم عدوانيـة الفلسـطينيين، كمـا يظهر تشدده فى مقاومة هؤلاء "المتطرفين أو الأرهابين" - كمـا يحلـو لـه بتسميتهم - من حمـاس والجهـاد وغيرهم ، كمـا كـان يراهـن علـى اقـدام السلطة الفلسطينية على اعلان دولتهم فى ٤ مايو ، لكى يظهر تشـدده فـى المواجهة أيضاً مما يرفـع أسـهمه لـدى النـاخب الاسـرائيلى ، وهـو مـاحدا بالسلطة الفلسطينية بتفويت الفرصة عليه فى هذه الآونة وقـد أكـد نيتنيـاهو هذا الموقف العدائى لعملية السلام موضحاً تشدده فى كلمته الافتتاحية التى أعلنها من "قلعـة داوود" فـى القـدس الشـرقية فـى بدايـة الحملـة الانتخابيـة لليكود، حيث قال : "إن القدس ستكون للأبد هى العاصمة الموحدة للشـعب اليهودى"، كما إتهم حزب العمل بأنـه سيفرط فـى القـدس التـى سـتتعرض للخطر بسبب تأييده للسلام مع الفلسـطينيين، فـى حالـة فـوزه وفيمـا يتعلـق بالقضايا الداخلية من تدهور الاسـتثمار الأجنبـى فـى اسـرائيل منـذ مجـيء نتنياهو ، وسوء الأحوال الاقتصادية فى عهده ، وزيادة حدة الاضطرابـات من قبل الموظفين والعمال ضده، فأنه يعـول فـى ذلـك علـى الآخريـن مـن وسـائل الاعـلام وأحـزاب اليسـار، وأن هنـاك مؤامـرة تحـاك ضـده دون اعتراف بأى خطأ له والليكود كذلك فقد أكد البرنـامج الانتخـابى الرسـمى ٩٢
لحزب الليكود الحاكم على الغاء اتفاقات أوسلو للحكم الذاتى فى حالـــــة

اعلان الدولة الفلسطينية من جنب واحد، ومعارضة قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة ، وضرورة أن تكون صلاحيات الكيان الفلسطيني محدودة ، خاصة ما يتعلق بالشئون الخارجية والأمن والهجرة وادارة موارد المياه والمجال الجوى والبيئى كما أن السيادة الاسرائيلية على القدس بما فيها الجزء الشرقى غير قابلة للتفاوض . بالاضافة الى تعزيز الاستيطان الاسرائيلى فى هضبة الجولان السورية المحتلة، وامكانية السعى نحو استئناف المفاوضات مع سوريا بدون شروط مسبقة . وقد أكد محتوى هذا البرنامج السياسات العدائية لكتلة الليكود ولنتنياهو ، لعملية السلام . وسوف تسير التصريحات التالية لذلك فى هذا السياق العدائى للسلام ، ومن ذلك تصريح نتنياهو. فى نهاية أبريل الماضى قال فيه : " أنه المرشح الوحيد القادر على ضمان تحقيق سلام حقيقى للمواطن الاسرائيلى قائم على أساس الأمن وعلى منع قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس ، وأنه وعد بذلك قبل ثلاث سنوات وحقق وعده بالتزام".

• وعلى الجانب الآخر ، نجد حزب االعمل بزعامة "باراك" يواجه الأمور بوضوح، حيث أنه يعارض المستوطنات منذ بدء التحرك الانتخابى فى يناير الماضى ويطالب باقتطاع مليار دولار من ميزانية الاستيطان لصالح تمويل لخدمات العامة وفى مقدمتها التعليم ، وأكد هذا المعنى مرة أخرى مع بدء الحملة الرسمية للانتخابات قبل ثلاثة أسابيع من اجرائها، حيث أكد بوضوح" أن المال يجب أن يخصص للتعليم وليس للمستوطنات" وأعلن الحزب أنه سيولى أهمية كبيرة إلى تنشيط الاقتصاد واعادة الحيوية له بعد دماره فى عهد نتنياهو ، حيث تراجعت الاستثمارات الأجنبية بنسبة ٤٠٪ عام ١٩٩٨ عما قبلها . كذلك أعلن باراك آنذاك أن حكومة نيتنياهو قادت إسرائيل الى طريق مسدود على جميع الأصعدة بما فى ذلك عملية السلام، ٩٤

وأن حزبه يؤمن بأن ثمة حاجة لدفع عملية السلام، وذلك دون تجاوز للخطوط لحمراء لأمن اسرائيل ومنها بقاء القدس موحدة تحت سيـــــادة اسرائيل ، وعدم العودة إلى حدود عام ١٩٦٧، ورفض قيام سيادة "أجنبية" فى الضفة الغربية ، وبقاء غالبية المستوطنين تحت سيادة اسرائيل وفى تصريح آخر خلال شهر مارس ٩٩، أكد باراك على "امكانية سحب القوات الاسرائيلية من لبنان قبل يونية عام ٢٠٠٠، اذا فاز فى الانتخابات المقرر عقدها فى ١٧مايو المقبل"، وأكد أيضاً أنه بالا مكان التوصل الى اتفاق مع سوريا يضمن أمن اسرائيل ويعيد قوات الاحتلال من لبنان فى غضون عام " . وفى منتصف أبريل الماضى ، أعلن حزب العمل أنه ملتزم بالاتفاقات الموقعة مع السلطة الفلسطينية ، ولديه الاستعداد لطرح مجموعة أفكار بشأن القدس ، وامكانية الاعتراف بالدولة الفلسطينية دون مطالبة علنية بفاصل جغرافى بين الدولتين ، كذلك يضم البرنامج الانتخابى للعمل، شعاراً هو "عمق الانسحاب من الجولان يوازى عمق السلام مع سورية"، فى الوقت الذى يمكن لباراك أن يلتزم بالانسحاب من جنوب لبنان فى خلال عام.

- ولا شك أن التصريحات المتتالية لباراك ، والبرنامج الانتخابى لحزب العمل تمثل اقتراب من دعم لعملية السلام ولا يتسم برنامجه وأفكار زعيمه بالتشدد لو قورن بنيتنياهو وحزبه "الليكود"، كما يتسم بالمرونة فى أفكاره وسياساته المتوقعة .
- أما موردخاى، وحزبه (الوسط) فيحرص على دراسة تطلع الفلسطينين لدولتهم، وعلى الفصل السياسى والجغرافى معهم، مع التعاون الاقتصادى والأمنى، فى الوقت الذى يشجع على تكوين كتل استيطانية تحت السيادة الاسرائيلية فى الضفة ، ويسعى لحل وسط مـــع سوريـــة بشأن الجولان،

ويميل لاخراج الجيش الاسرائيلى من لبنان وهو بذلك يشجع على دعم الاستيطان اليهودى فى الأراضى المحتلة ويقترب من الليكود، فى الوقت الذى يظهر مرونته واعتداله ازاء القضايا الأخرى على الكفة الفلسطينية، أو ناحية سوريا ولبنان.

- وازاء ما سبق يتضح أن عملية السلام والأمن الاسرائيلى يمثلان حجر الزاوية فى معركة الانتخابات الاسرائيلية الحالية . وأن الناخب الاسرائيلى يقارن بين البرامج المطروحة سواء بين المرشحين الخمس، أو الأحزاب المختلفة البالغة نحو (٣٤) حزبا، ومن المرجح أنه سيميل للمرونة اكثر من التشدد أى نه من المرجح أن يميل لباراك وحزب العمل اكثر من نتنياهو وحزب الليكود . ويؤكد ذلك آخر استطلاعين اللذين أكدا فارق ٨ نقاط لصالح باراك (٥٠٪ لباراك مقابل ٤٢٪ لنتنياهو)، ٤٨٪ لباراك مقابل ٤٠٪ لنيتنياهو)، وهما اللذان أجريا فى بداية مايو الجارى قبل نحو اسبوعين من اجراء الانتخابات .
- ولا زالت كل التوقعات قائمة ، وكل الاحتمالات مفتوحة ، ولكن فى نفس الوقت فان عملية السلام تظل هى محور هذه الانتخابات، والعامل الحاسم فى نتيجتها . فاما أن يكون الناخب الاسرائيلى مع المرونة التى عايشها قبل نتنياهو ، واما أن يكون مع التشدد فى ظل نتنياهو المعادى للسلام ، وعلى هذا الناخب أن يدفع ثمن اختياره فى المستقبل . فلقد كان نتنياهو ضد تيار التاريخ بمعاداته لعملية السلام ، والآن أصبح الأمر فى يد الناخب الاسرائيلى ليقول كلمته لصالح تيار التاريخ المساند لعملية السلام فى المنطقة . وهذا ما أكده جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكى السابق بقوله : "إن فوز نيتنياهو فى الانتخابات القادمة يعد عاملاً سلبياً على مسيرة السلام فى الشرق الاوسط ، وقد كان من الحكمة تحقيق السلام الشامل مالم يتم اغتيال اسحق رابين" .

المبحث السادس

آفاق السلام بعد فوز "باراك" فى مايو ١٩٩٩

يعتبر فوز "باراك" رئيساً للحكومة الاسرائيلية الجديدة، نتاجا لمعركة إستمرت ثلاث سنوات ضد نتنياهو على كافة الأصعدة داخل اسرائيل، ومحيطها الاقليمى ومناخها الدولى. فقد كان الرجل مخلصاً وبحق فى معاداة السلام فاستفز كل من حوله فانفضوا عنه وأعدوا العدة للخلاص منه . ولم يكن نتنياهو إلا أمام احتمالين لا ثالث لهما إما السقوط وإما الدخول فى عملية السلام ، وقد كان يأبى على نفسه أيهما، وحاول الالتفاف حول عملية السلام باتفاق "واى ريفر" الذى وقعه مع عرفات وكلينتون. إلا أن الرجل باعتباره منطقيا مع نفسه فقد فشل فى عمل الضغوط الملائمة داخلياً مع شركائه فى الائتلاف الحاكم الذى كان هشا، فسقطت حكومته ، وكان من الطبيعى أن يسقط فى الانتخابات فى مواجهة "باراك" وهو ما سبق أن تنبأنا به فى مقال سابق .

ويخطىء من يتصور أن قراءة وتحليل المعركة الانتخابية فى اسرائيل التى حسمت بمساء يوم ١٧ مايو الماضى ، والتنبؤ بفوز أحد المرشحين ، يعنى أننا مع هذا وضد ذاك . وتحديداً فان توقعنا بفوز باراك ضد نتنياهو، كان يستند إلى جملة من الظروف الموضوعية والتى تتلخص فى تدهور عملية السلام، وتزايد العنف وعدد القتلى والجرحى الاسرائيليين وتدهور الاقتصاد الاسرائيلى، وافتقاد المصداقية اقليمياً ودولياً، وغير ذلك من عوامل تتسم بالموضوعية . وهذا لا يعنى بالتالى أن "باراك" لابد وأن يكون رجل سلام ، وأنه سيحقق ، ما فشل
٩١ فيه السابقون ، بل ان نجاحه هو افراز لظروف موضوعية بحته

• نشرت فى جريدة "الاتحاد" الاماراتية ، فى : ٢٤ مايو ١٩٩٩.

ولذلك فان التحدى الذى يواجهه هذا الرجل ، يتمحور حول كيفية استيعابه لمجمل الظروف التى أودت نتنيااهو وكتلتـه "الليكـود" إلـى الهاويـة ، والتـى عليـه إذن أن يتجاوزها تجنباً للوقـوع فيهـا ودفـع الثمـن الـذى سـبق ان دفعـه بـيريز مـع افتعـال مجزرة "قانا" ، وبعد نتنياهو الذى أخلـص ضـد السـلام وحـاول افتعـال المعـارك ، واشاعة مناخ التوتر ، والتهديد بشن الحروب !!

- والملاحـظ مـن خـلال متابعـة الخطـاب السياسـى لبـاراك خـلال معركـة لانتخابـات ، أنـه كـان أكـثر مرونـة فـى التعـامل مـع القضايـا الحساسـة والحاسمة فى معركة السلام ، وأن لديه تصورات سبق أن عرضناهـا فـى مقال سابق. وأن التحفظ ازاء ما يتم من معوقات كـان سـمة أحاديثـه. واذا كان هذا هو سمة خطاب الرجل ، فأن المتوقع منه أن يكون على مستوى المسئولية عند تولية مهام منصبه، وأن تكون قراراته واختياراته نابعة مـن مجمل الظروف المحيطة داخلياً واقليمياً ودولياً .

ومن الواجب علينا ألا نقف كثيراً أمام خطابـه أمـام المؤيديـن بعـد تأكد فوزه، والذى عرف ببيان الفوز على نتنياهو ، رغم التصريحات التى اتسمت بالحدة والتطـرف وهزيمـة آمـال المتفـائلين بمجيئـه . فـالرجل فـى غمار فرحته أعلن: أن القدس عاصمة أبدية لاسرائيل ، وأنه لا عودة الـى حدود ١٩٦٧، وفرصة السيادة الاسـرائيلية علـى المسـتوطنات اليهوديـة ، ورفض انشاء جيش فلسطينى فى الضفة الغربية ، وأعلن عـن عزمـه فـى إجراء الاستفتاء قبل توقيع أى اتفاق نهـائى . وهـو مـا فسـره البعـض بـأن هذه هى "لاءات باراك" : لا لتقسيم القدس ، ولا .. لحدود ١٩٦٧، ولا.. لازالة المستوطنات ،.. ولا " لجيش فلسطينى! وقد أودت هذه التصريحات

الفجائية بالشماته العربية والدولية فى سقوط نتنيـاهو ، وبالتفـاؤل بمجيـىء "بـاراك" !! ولم يكن اذن من الكياسة اطلاق هذه العبارات فى هذا الوقت ، إلا أن التحليل السياسى يمكن أن يقودنا إلى ضرورتين : **أولهما: هى ضرورة "التجاوز المؤقت"** عن هذه التصريحات، **والثانية: تتعلق باحتمالات ابراز بعض المواقف التى يمكن** أن تشجع بعض القوى السياسية على الائتلاف معه فى تكوين الحكومة، أو تفويت الفرصة على الرافضين لعملية السـلام برمتهـا، بعدم المزايدة علـى مرونتـه التـى أظهرها خلال معركة الانتخابات والتى أكسبته تعاطفـاً اقليميـاً ودوليـاً . وقد ظهر هذا التعاطف فى تنازل المرشح االعربى (عزمى بشارة) وتنازل موردخـاى زعيم حزب الوسط الجديد المنشق عن نتنياهو والليكـود، وبتشـجيع أمريكـى. وقد تكون هذه التصريحات فى المعنى الأخير هى وسيلة لخلق رقعة مشتركة تجذب اليها كل التيارات للتكتل فى مواجهة الطرف العربى فى معركة السلام القادمة .

وفـى غمـرة هـذه التصريحـات قبـل الانتخابـات وبعدهـا ، نجـد أنفسـنا فـى معركة داخلية على المستوى العربى ، تتمحور حول : **المؤيدين** لهذا أو ذاك من المرشحين ، ونتبادل الشكوك فى مواقف بعضنا البعض ، ونتناسى حقيقة هامة هى أننا جميعاً فى خندق واحد ، وأن الاسرائيليين أيضاً فى خندق واحد، كما أننا ننسى أن "باراك" هو رئيس حكومة اسرائيل ، وكـان رجـلاً عسـكرياً لمجتمـع عسـكرى أساساً ، بصفته رئيساً لأركان الجيش الاسـرائيلى وأنـه لا يمكـن أن يقدم علـى مـا يـؤدى بـالمجتمع الاسـرائيلى إلـى الدمـار أو الإنتحـار ، وأن سياسـاته القادمـه هـى انعكاس لموازين القوى الداخلية فى اسرائيل واقليمياً ودولياً . وأن اللاءات بيـــن القادة الاسرائيليين سـواء مـن حـزب العمـل أو الليكـود تكـاد تكـون متقاربـة ، وأن **الخلاف هو فى الأسلوب فحسب . فلا يمكن أن تقدم "الدولة الفلسطينية " هبـة مـن** اسـرائيل ، ولا يمكـن الرجـوع إلـى حـدود ١٩٦٧، ولا يمكـن تحريـر القدس مـن الاحتلال الاسرائيلى بالرضى اليهودى !! .

ويجب فى هذا الصدد ألا ننسى ، أن تحقيق ذلك كله لا يجب أن يكون مرهوناً بالارادة الاسرائيلية، بل بالارادة العربية أيضاً. ولا يمكن لاسرائيل أن تترك سنتيمتراً واحداً ، إلا اذا أجبرت على ذلك . "فصقور" اسرائيل قبل "حمائمها" – رغم أنهم جميعا صقور – اضطروا للدخول فى المفاوضات ، واضطروا لترك سيناء كاملة بما فيها المستوطنات ، واضطروا لتوقيع "أوسلو" ١،٢ واعترفوا بمنظمة التحرير الفلسطينية، واضطروا للتراجع عن لاءات كثيرة من قبل ، والسبب فى ذلك تعرضهم للضغوط من الداخل الفلسطينى والخارج العربى أساساً. حتى أن العوامل الدولية لا تعمل أثرها إلا نتاجاً لموقف عربى وارادة عربية صلبة.

ومهما قال باراك أو غيره ، الآن أو غدا ، ومهما كانت لاءاته الكثيرة ، فانه سيظل محكوما بمجموعة من الضغوط ، وأن ارادته لن تكون منفردة فى اتخاذ ما يراه دون الآخرين فكلما إستخدمنا لفظ "التنازلات الاسرائيلية"، كلما زادت عنجهيتهم، لأن الذى يتنازل عن شيىء ، هو تنازل عن حق له، فما بالكم والأرض المحتلة عربية يدنسها الاسرائيليون ، ومن ثم فإن المصطلح الأوفق هو "الرحيل الاسرائيلى" عن الأرض العربية والفلسطينية .

- **فعلى المستوى الداخلى** : فان الحكومة الائتلافية المتوقعة سيغلب عليها الطابع المدعم لعملية السلام ، لأن الليكود والأحزاب الدينية المتطرفة واليمين المتطرف لا يتجاوزوا معا ثلث المقاعد فى الكينست، بينما اذا اختار "باراك" السلام طريقاً لأمن اسرائيل وشعبها ، فان هناك ثلثى المجلس يمكن أن يؤيدوه.

- **على المستوى الدولى :** فان المتابع للموقف الأوربى والأمريكى بالذات يلاحظ ارتياحاً عاماً لدى هؤلاء برحيل نتنياهو ومجئ باراك ولديهم المبررات لذلك حيث كان نتينياهو عقبة أمام السلام، باعتراف الأمريكيين. وهنا علينا أن نتذكر مقولة كيسنجر مؤخراً عقب الانتخابات : "على باراك أن يقبل بحقيقة قيام الدولة الفلسطينية التى بدأت ولابد من استكمال المشوار" .

- **على المستوى العربى :** فان الحذر فى التفاؤل والذى سمعناه وقرأناه سواء من جانب (الجامعة العربية)، أو على مستوى كبار المسئولين العرب ، هو السمة السائدة ، دون اخفاء الارتياح الكبير لسقوط نتنياهو واختفائه من المسرح السياسى! وعلينا أن نتذكر أن الارتياح لرحيل هذا ، أو التفاؤل بمجيىء ذاك، لا يعنى شيئاً اذا ما لم يتبلور موقف عربى قوى فى مواجهة باراك وحكومته الجديدة .

وهنا فاننا ندعو إلى ضرورتين فى هذا السياق :

أولاً : عقد اجتماع قمة عربى عنوانه "برنامج لمعركة السلام" ، ولا تتم مناقشة أى بند آخر ، وذلك بهدف التركيز فى صياغة استراتيجية عربية للسلام فى المنطقة .

ثانياً: الاعلان العاجل عن "الدولة الفلسطينية ، تنفيذاً لاتفاقيتى أوسلو ١،٢، وما أعقبها من اتفاقات . وهذا فى حد ذاته سيكون الاختبار الأول لمعرفة رد فعل "باراك" .

•**وختاماً** : نقول أن عملية السلام قد بدأت ويصعب العصف بها ويبدو وأن سقوط نتنياهو دليل حى على قدرة الواقع على تجـاوز الذيـن يقفـون فـى مواجهـة حركة التاريخ نحو السلام. واذا ما لم يسهم باراك فى التجـاوب مـع سـلام عادل يتم بمقتضاه اقامة الدولة الفلسطينية، فان أمن اسـرائيل أولا سـيكون فى خطر ، والأمن العربى سيصبح فـى مـأزق، وعلينـا أن نسـتعد لسلسـلة من الحروب تزعزع الاسـتقرار الاقليمـى إلـى الأبـد . فهـل سـيعى بـاراك الدرس، أم سيظل سائراً على درب نتنياهو فى معاداة السلام؟

الخيار مطروح أمامه ، والنتيجة أيضاً معروفة . ومهما حدث فـان السـلام سيظل يحفر مجراه دون توقف .

** ** **

المبحث السابع

"تسويق" باراك للسلام عبر الولايات المتحدة !!*

المجتمع الأمريكى يمثل سوقاً رائجة لكل السلع الاستهلاكية، وكذا الأفكار. فهو مجتمع يشجعك أينما تذهب فى أى جزء منه على الاستهلاك لكل شيىء ولذلك فان المتنافسين يسعون جاهدين على عرض بضاعتهم بالصورة التى تتفق ومزاج ورغبات المستهلكين . فيكسب من ينجح فى ذلك ، ويخسر من لم يستطع أن يفعل ما يريح هؤلاء، والذى عليه آنذاك أن يسعى للفهم حتى يصمد فى المنافسة أو فان الخروج من الحلبة هو النتيجة النهائية لذلك فاذا كان هذا هو منطق السلع ، فان الأفكار أيضاً لا تخرج عن ذلك كثيراً .

ولذلك فقد جاء "ايهوداً باراك" ، زعيم اسرائيل الجديد بعد نجاحه فى الانتخابات الأخيرة والتى تغلب فيها بصورة ساحقة على خصمه "نيتنياهو"، إلى الولايات المتحدة لتسويق أفكاره عن السلام ليكسب الادارة والحكومة الأمريكية بل والمجتمع الأمريكى نفسه إلى جواره . وحسبما نشرت الصحف الأمريكية الرئيسية فى تقاريرها عن بدء الزيارة مثل الواشنطن بوست، والواشنطن تايمز، والنيويورك تايمز ، يو .إس. توداى ، فان هذه الزيارة تأتى لكى تعيد الدفء مرة أخرى للعلاقات الأمريكية الاسرائيلية. والذين لم يقولوه هو أن نيتناياهو تسبب فى برودة هذه العلاقات نظراً لعدم قدرته على الوفاء بالتزاماته واتفاقياته التى قام بالتوقيع عليها فى حضور الرئيس الأمريكى كلينتون وبمساندته شخصياً ، ومن ذلك اتفاق "واى بلانتيشين " ، مما تسبب فى حرج بالغ للولايات المتحدة وللرئيس الأمريكى أمـــام الفلسطينين والعرب!. كما أنه كان يسعى دائماً إلى ممارسة الضغوط على

---

* نشرت فى جريدة "الاتحاد" الاماراتية ، فى : ١ أغسطس ١٩٩٩.

الرئيس الأمريكي، ومن عباراته الشهيرة : " إنني أستطيع أن أحرق العاصمة الأمريكية واشنطن كلها" . وهذه اشارة إلى قدرة نيتنياهو على التأثير على دوائر صنع القرار الأمريكي كما يتصورها، وتناسى أن هناك "سقف" لهذه المسألة يجب استيعابه . فقد حضر "يهود باراك" إلى واشنطن مساء الأربعاء ١٤ يوليو الماضي، والتقى بالرئيس كلينتون صباح الخميس ٧/١٥ لمدة ساعتين ونصف وعقدا مؤتمرا صحيفاً مشتركا ثم التقى به على مائدة عشاء على شرف باراك ، ثم عقد لقاءً رسمياً ثانياً قبل مغادرته واشنطن ، وذلك يوم الاثنين ١٩ يوليو أعقبها مؤتمراً صحفياً ثانياً وبيان ختامي أمريكي اسرائيلي . فضلاً عما أتيح لباراك من لقاءات رسمية أهمها لقاء وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت والعديد من المسئولين في الادارة الأمريكية ، والكونجرس على مدار أسبوع كامل منذ وصوله وحتى مغادرته لواشنطن في ٢٠ يوليو ١٩٩٩، في الطريق إلى لندن وأسبانيا قبل عودته إلى تل أبيب .

ومن خلال تحليل الخطاب الاسرائيلي الجديد الذي ورد على لسان "باراك" خلال لقاءاته المختلفة فيّ واشنطن ونيويورك ، اتضح أنه جاء الى الولايات المتحدة بهدف اشاعة مناخ جديد لحكومة اسرائيلية جديدة يسوده الميل لتحقيق السلام الذي بدأ مشواره خصوصاً مع الفلسطينين حزب العمل الذي يمثله باراك . وأراد بذلك أن يؤكد على مقولات " السلام " الذي يؤدي الى استقرار اسرائيل والمنطقة والفلسطينيين ، وأن هذا يأتي في صالح الولايات المتحدة التي تسعى للاستقرار بالقدر الذي يتفق أساساً مع المصالح الاسرائيلية التي هي امتداد للمصالح الأمريكية . ولذلك فقد لعب "باراك" على الأوتار العاطفية في بداية رحلته عندما قال : "أن الأباء والأمهات والأطفال في الشرق الأوسط مشتاقون لحقبة جديدة ، ونحن لا نستطيع أن ندع آمالهم تسقط". وأكدت السيدة "نافا" زوجة باراك هذا المعنى حينما قالت في حفل غداء للسيدات نظمته زوجة

السفيــر الاسرائيلى فى واشنطن : "أننا اليوم قد أتينا لننجز شـيئاً مـا، لأن الأمهـات والزوجات لم يعدن فى حاجة إلى الانزعاج ازاء أبنائهم وأزواجهم" وقد قالت ذلك لايضاح جهود زوجها باراك من أجل السلام .

ومن ثم فـان هـذا المدخـل الجديـد لرئيـس حكومـة اسـرائيلية كـاان رئيساً لأركان الجيش، وشارك فى عدة حروب، قـد – للاحتمـال– يشـير إلـى أن معانـاة الحروب وانعكاساتها النفسية قد تمثل قيدا عليه فـى اتخـاذ قراراتـه السياسـية، وقـد يكون فى المعنى الأخير بداية لانقلاب جديد فى الفكر الاسـتراتيجى قوامـه : دولـة قويـة آمنـة مسـتقرة وسـط محيـط مسـتقر وآمـن ولكـن أضعـف، قـد يكـون أفضـل الخيارات لاسرائيل فى هذه المرحلة . وربما قـد يشـير هـذا المدخـل العـاطفى إلـى الدهاء السياسى حيث يسهم فى المزيـد مـن "تحذيـر" الشـخصية العربيـة والقيـادات الحاكمة تمهيداً لفرض السلام الاسـرائيلى المدعـوم أمريكيـا طالمـا أن العـرب فـى حالة استرخاء وتمزق وعدم قدرة حتى على الاتفاق على مجرد عقد قمة عربية!!.

- وعلى أية حال، فان باراك أتى لواشنطن لتسويق أفكار السلام الذى ينشـده لكسب المجتمع الأمريكى فى صفه تمهيداً لدعمه فـى مواجهـة المفـاوضين العرب، ومن النقاط الرئيسية لخطابه السياسى ما يلى :–

١ – فى مواجهة الدور الأمريكى : فان باراك فى لقاء مـع شـبكة "NBC" : واجه الصحافة "Meet the press"، أكد على أنه يريد أن تكون الولايـات المتحدة "دولة حليفة" لدولته ، ووسيط أميـن حسـاس بالاحتياجـات العربيـة فى مفاوضات السلام. وأكد ذلك فى تصريحات عديدة مشيراً إلى أنه يـأمل أن ينخفض الدور الأمريكى، وتعطى لاسرائيل الفرصة الأكـبر والاتصـال المباشر بالعرب بدون وسيـط أمريكى، بحيث تصبح لاسرائيل الاستقلالية

الكاملة فى ادارة عملية السلام ولا شك أن هذا يتعارض مع الاتفاقيات السابقة التى تجعل من الولايات المتحدة وروسيا راعيين للسلام فى المنطقة، ومع نسيان "روسيا"، فان الولايات المتحدة حريصة على الانفراد بالدور الوساطى ورعاية عملية السلام والتدخل ان لزم الأمر، فى حين يصر العرب على أن تكون المفاوضات مع اسرائيل بمشاركة أمريكية ضمانا الاسرائيل لعدم الخروج عن أى التزام . وهذا ما دعا كلينتون يقول: أنه ليس لديه مانع من اعطاء الاستقلالية لاسرائيل، بشرط أحتفاظ الولايات المتحدة بالتدخل عندما ترى ذلك لازما . إلا أن الأطراف العربية وخاصة سوريا أصرت على استمرار الدور الأمريكى شريكاً أساسياً وراعيا لا ضمان من غيره فى عملية السلام. كما أن هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى الأسبق دعا فى مقال له بالواشنطن بوست يوم ٩ يوليو الماضى، إلى ضرورة استمرار الوساطة الأمريكية باعتبارها ضرورة خاصة فى الفرصة غير المسبوقة من أجل دعم عملية السلام فى هذه المرحلة .

٢ - فى مواجهة المفاوضات مع الفلسطينيين : فإن باراك أشار إلى امكانية تنفيذ اتفاق واى ريفر وسيبدأ فى الانسحاب من الضفة الغربية وفقاً لذلك، وأى تعديلات يراها يمكن الاتفاق بشأنها مع "عرفات" . وألمح أيضاً إلى امكانية اقامة الدولة الفلسطينية، وإلى قبوله مبدأ الأرض مقابل السلام "Land for peace"، ويفضل التحرك نحو الاتفقات بخصوص المرحلة النهائية مع الفلسطينيين .

٣ - في مواجهة المفاوضات مع سوريا ولبنان : فان باراك فى خلال مؤتمرين صحفيين فى وجود الرئيس كلينتون، أشار إلى امكانية التحرك على هذه الجبهة والبدء فى المفاوضات من حيث انتهت فى اطار الأرض مقابل للسلام ، مع امكانية الاتفاق على المشاركة فى مصادر المياه والتعاون المشترك والأمن المشترك أيضاً. ولذلك فقد استقبل باراك مع كلينتون بارتياح كامل، تصريحات سورية بأنها على استعداد لتشجيع الجماعات الفلسطينية الرافضة للسلام لقبول هذا الخيار ، ودعوة مقاتلى حزب الله إلى وقف الهجوم على اسرائيل وأوضحا أنهما يتمنيان أن تكون هذه المعلومات صحيحة .

- وعلى الجانب الآخر ، فقد رفض باراك أى تنازلات بشأن القدس التى هى عاصمة موحدة لاسرائيل وستبقى للأبد، وأن أقامة دولة فلسطينية تتوقف على مسارات االتفاوض ، وأنه طرح اطار زمنى مدته (١٥) شهراً لانجاز التفاوض على كافة المسارات . ورغم شكوك الادارة الأمريكية فى ذلك ، إلا أن كلينتون فى آخر لقاءاته مع باراك، أشار إلى أن الرئيس الأمريكى الأسبق (روزفلت) قال ذات مرة: أن الأقوال لا تكفى، ويجب ترجمتها إلى أعمال !! . واذا كان باراك اختتم زيارته بقوله : أنه لم يكن خائفاً من خوض الحروب من قبل، وهو الآن ليس خائفاً من صنع السلام، فأن السؤال الذى يطرح نفسه هو : هل نجح باراك فى تسويق أفكاره عن السلام، بل وتسويق نفسه كرئيس جديد للحكومة الاسرئيلية فى هذه المرحلة بعد نيتنياهو ؟ أعتقد أنه نجح فى ذلك ، ولعل فى التغطية الاعلامية الشاملة لزيارته تعطى هذا المعنى، ويكفى أن المتحدث الرسمى للبيت الأبيض وصف ذلك بقوله إنها ايجابية جداً جداً (V.very. positive) والسؤال الآخر الذى يحتاج للاجابة : أين العرب مما يحدث؟!.

المبحث الثامن

دعوة "باراك" للسلام تحتاج إلى المواجهة.. *

لا شك أن كل من تابع زيارة "باراك" الأخيرة للولايات المتحدة والتى امتدت نحو أسبوع كامل فى الفترة من (١٤-٢٠ يوليو٩٩) ، يمكن أن يتفق معى على حول نتيجة هذه الزيارة فى أنها نجحت إلى حد كبير فى التسويق لأفكار السلام التى حملها باراك بنفسه إلى المجتمع الأمريكى بأسره ، والادارة الأمريكية. فمن أهم سمات المجتمع الأمريكى الاستهلاك الواسع للسلع وأيضاً الأفكار . ومن خلال وسائل الاعلام "الطاغية" فى هذا المجتمع يستطيع أى سياسى وخصوصاً من دولة اسرائيل أن يطرح أفكاره بمنتهى السهولة ويتم تضخيمها وتمريرها خاصة اذا كانت وسائل الاعلام منحازة لأصحاب هذه الأفكار . وفى المقابل يصعب على "الآخر" أن يطرح أفكاراً مضادة إلا إذا كان على نفس المستوى وله وسائل اعلام منافسة أو متكافئة أو واسعة الانتشار على الأقل. وقد حدثت تغطية ضخمة وواسعة لزيارة هذا الرئيس الجديد لوزراء اسرائيل قبل مجيئه للولايات المتحدة بعدة أيام . فها هى صحف الواشنطن بوست، والنيويورك تايمز ، والواشنطن تايمز، يو.اس . توداى ، وغيرها بالاضافة إلى العديد من محطات التليفزيون الكبرى ، ولمزيعيين كبار مشهورين ، تقوم بهذه التغطية فضلاً عما أشارت اليه من أن هدف الزيارة الأول هو اعادة "الدفء" إلى طبيعة العلاقات الاستراتيجية بين الولايات المتحدة واسرائيل . وذلك باعتبار أن هذه العلاقات قد وصلت فى عهد نيتنياهو (الرئيس السابق لوزراء اسرائيل)، إلى مفترق الطرق، وإلى حد رفض الرئيس كلينتون أن يستقبله فى البيت الأبيض وكذا مادلين أولبرايت

* نشرت فى جريدة الأهرام ، فى ٣١ / يوليو ١٩٩٩.

وزيرة الخارجية نظراً لعدم الالتزام بالاتفاقات المعقودة مع الفلسطينيين وخطة المتشدد ازاء عملية السلام والذى يتعارض مع المصالح الأمريكية والدور الأمريكى المشارك فى هذه العملية ولذلك فقد جاء "باراك" وأمامه مفصلة ضخمة تتركز حول إعادة الثقة مع الولايات المتحدة باعتبارها الحليف الأكبر لاسرائيل، فى نفس الوقت الذى يسعى الى تحريره لأفكار السلام التى يحملها بما لا يضره وحزبه فى الداخل الاسرائيلى . بعبارة أخرى ، فانه يسعى إلى التوازن بين كسب الولايات المتحدة ، وكسب الداخل الاسرائيلى . ولذلك فان المناخ العام فى الولايات المتحدة يشجع باراك على الدعاية لأفكاره باعتباره رسول للسلام بعد ثلاث سنوات بمحاف تعرضت عملية السلام فيها للتوقف والأزمات والانهيار !!.

وفى ظل هذا المناخ طالب باراك فى خطابه السياسى من خلال لقاء له مع برنامج "واجه الصحافة (Meet the press) الذى تبثه شبكة "NBC"، الولايات المتحدة بأن تكون حليفاً ودعما لاسرئيل على طول الخط ، وأن تكون وسيطا أميناً "Honest Broker" بين اسرائيل والمفاوضين العرب، فضلاً عن ضرورة تقليص الدور الأمريكى للمتابعة والرعاية غير المباشرة دون التدخل فى التفاصيل التى يمكن الاتفاق بشأنها مع الأطراف العربية مباشرة . وقد علق الرئيس كلينتون على ذلك بقوله ازاء هذا الضغط الاسرائيلى ، بأنه لا يمانع فى التفكير فى ذلك ، بشرط أن تحتفظ الادارة الأمريكية بحقها فى التدخل فى الوقت المناسب الذى تحدده بأن عملية السلام يمكن أن تتوقف . وهذا هو ما دعا الرئيس كلينتون بنفسه فى احدى المؤتمرين الصحفيين الذى عقدهما مع باراك إلى ضرورة الالتزام الاسرائيلى بما تم الاتفاق عليه من قبل وخلال مدة زمنية معلنة . وهذا هو الذى
دعا باراك الى تحديد اطار زمنى لانهاء المفاوضات مع الأطراف العربية كلها ١٤
خلال مدة (١٥) شهراً من الآن . فكان رد فعل الادارة الأمريكية هو القبول بذلك

شريطة أن تتحول الأقوال إلى أفعال حقيقية لتشجيع جميع الأطراف على مواصلة عملية السلام، وأن تنشيطها مرة أخرى هى من أولويات ادارة كلينتون خلال المدة المتبقية من رئاسته الثانية .

واذا كان "باراك" قد بدأ "هجوم السلام" بالدعوة إلى تقليص الدور الأمريكى ، فان هنرى كينسجر (وزير الخارجية الأسبق)، وصاحب نظرية "الخطوة خطوة" فى عملية السلام بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣، علق على هذا فى مقال هام يدعو إلى التأمل ، نشر فى "الواشنطن بوست" يوم ١٩ يوليو ولم يكن باراك قد غادر واشنطن بعد، باصراره على ضرورة الوساطة الأمريكية "U.S. Mediation"، فى ظل هذه الفرصة السانحة فى عهد باراك من أجل دعم عملية السلام فى الشرق الأوسط ، وأنه لا غنى لجميع الأطراف بما فيهم اسرائيل عن هذا الدور ، تأكيداً للانفراد الأمريكى من ناحية ، وللحيلولة دون تدخلات دولية أخرى تعوق عملية السلام أو الدور الامريكى فى حد ذاته فى نفس الوقت يؤكد أن هذه الوساطة الأمريكية لايمكن أن تتجاهل مصلحة اسرائيل ومطالبها ، وأن الاستقرار والسلام فى منطقة الشرق الأوسط هى من دعامات المصلحة الأمريكية والاسرائيلية فى نفس الوقت.

- وقد حرص "باراك" خلال هذه الزيارة أن يضفى مصداقية على خطابه السياسى الداعى للسلام الدائم . لذلك فقد أعطى اشارات عديدة بشأن تحريك عملية السلام وتنشيط المفاوضات على كافة الأصعدة أو الجبهات. ومن ذلك تأكيده على تنفيذ اتفاقيات "واى ريفر" مع الفلسطينيين ، وأن أية تعديلات يراها باعتباره لم يوقعها فانها ستتم بالاتفاق أو بموافقة ياسر عرفات نفسه، وفى حالة الرفض فأنه سيتم تنفيذها كما هى اشارة منه لالتزامه بما وقع من اتفاقيات سابقة. كما أنه أشار إلى امكانية الانتقال الى مرحلة المفاوضات النهائية مع الفلسطينيين واقتحام المشكلات الصعبة ،

ولـم ينكـر علـى الفلسـطينيين دولتهم ، إنمـا وفقـاً لشــروط واتفاقــات يتــم بمقتضاها ذلك. كما أشار بالنسبة للجبهـة السـورية امكانيـة التفـاوض مـن حيث انتهت المفاوضات فى عهـد"استاذه" رابين، وقبولـه بالانسـحاب مـن الجـولان والسيادة السـوريه عليهـا بشـرط المشـاركة فـى المـوارد المائيــة واتفاقات أمنية مشتركة ، والحد من دعم المتطرفين فى الجنوب اللبنـانى ، والرافضين لعملية السلام من الفلسطينيين المقيمين فى سوريا . ولذلك فقـد رحب بالمعلومات التى أذيعت من سوريا بأنها ستبادر بالحد من النشـاطات الفدائيـة ضـد اسـرائيل ودعـوة الرافضيـن لعمليـة السـلام للقبـول بهـا دفعـاً لتنشيط هذه العملية ودفعها للأمام عدة خطـوات ، وأيده فـى ذلـك الرئيـس الأمريكى قائلاً : نتمنى أن تكون هذه المعلومات صحيحة ودقيقة .

* وعلى أية حال فان هـذه الاشـارات ، لا يمكـن فهمهـا خـارج سـياق أفكـار باراك الرافضة لأشياء محددة ، كرفض لتقسيم القـدس باعتبارهـا عاصمـة اسـرائيل للأبـد ، ورفضـه الانسـحاب الـى حـدود مـا قبـل ٤ يونيـه /٦٧ ، ورفضه لعودة اللاجئين الفلسطينيين فى الخارج والـذى يزيـد عددهـم عـن المليـون مواطـن ، ورفضـه تفكيـك المسـتوطنات . ولكنـه أراد بارشــاداته السريعة وغير التفصيلية أن يكسب المجتمع الأمريكـى والادارة الأمريكيـة إلى جواره فى نفس الوقت حصل على المزيد من المكاسب العسكرية على وجـه الخصـوص بزيـادة المخصـص إلـى نحـو ٢,٥ مليـار دولار خـلال السنوات القادمة، فضـلاً عن استمرار برامـج التسليح المشـترك ، ومنـح اسرائيل الدعم الاقتصادى المقابل لتنفيذ اتفاقيـات واى ريفـر . وفـوق هـذا وذلـك تأسـيس مجلـس استشـارى تنسـيقى مشـترك بيــن رئيـس الحكومــة الاسرائيلية والرئيس الأمريكى له اجتماعات دورية ويضم كبار المسئولية من الجانبين. ١١

ولذلك فان التقييم النهائى لهذه الزيارة يتركز فى نجاحها فى ضوء أهدافها. فالواضح أن "باراك" أصبح مبعوثِ السلام الجديد فى الشرق الأوسط، وأن أفكاره سيكون لها صدى ودعم من المجتمع الأمريكى والادارة الأمريكية وهذا هو ما شبهه أحد الكتاب الكبار فى واشنطن بأن ما فعله باراك هو "الهجوم الجديد للسلام فى الشرق الأوسط" ، وهذا هو بيت القصيد" حيث أن هذا سيمثل عقبة أمام المفاوضين العرب فى المرحلة القادمة تحتاج إلى مراجعة كبرى، واعادة تنظيم الصف العربى لمواجهة هجوم باراك الأخير.

فالمسألة لا تستدعى "الاسترخاء" لمجرد اعطاء هذه الاشارات التى يمكن أن تسهم فى تحذير البعض ، والذى يعتبرها علامات طيبة ومشجعة وكأن الطرف الاسرئيلى هو الفاعل الوحيد فى عملية السلام. فالنتيجة النهائية هى محصلة ارادتين ، فان وجدت الأولى وهى الارادة الاسرائيلية ، وغابت الثانية وهى الارادة العربية ، فان هذه النتيجة ستعتبر خسارة فادحة للعرب . وهذا ما يستدعى استعجال عقد مؤتمر عربى عاجل حتى لا تغيب الإرادة العربية حال تحريك عملية المفاوضات ، وهذا هو المحك فى مصداقية اشارات باراك ، آنذاك .

•• •• ••

الفصل الثالث

الانتخابات الأمريكية وقضية السلام

١٤

المبحث الأول

الحضور العربى فى الانتخابات الأمريكية (*)

والعالم كله يترقب نتيجة الانتخابات الرئاسية الأمريكية، لما لها من تأثير بالغ الأهمية على مسار العالم خلال السنوات الأربع القادمة، أصبح من الواضح أن معركة هذه الانتخابات قد حسمتها أولوية العوامل الداخلية عن العوامل الخارجية . ولذلك فإن كل مرشح استطاع أن يجيد التعامل مع أوتار الشعب الأمريكى بطرحه برنامج سياسته الداخلية يتفق والمزاج العام لهذا الشعب، وفى هذه اللحظة التاريخية – هو الذى سيكسب نتيجة المعركة. فى نفس الوقت لم تشكل السياسة الخارجية وجوداً حقيقياً فى معركة الانتخابات الحالية، والتى لم يعد يتبقى عليها سوى عدة أيام – حتى كتابة هذا المقال – إلى الحد الذى يتردد بين أوساط المحللين والمراقبين السياسيين بأن رؤى كل من الرئيسيين المرشحين (بوش وكلينتون) إزاء القضايا الدولية تكون متقاربة ، إن لم تكن شبه متطابقة . وعندما طرحت قضية الصراع العربى الإسرائيلى – على سبيل المثال– بين المرشحين سعيا لكسب الصوت اليهودى أساساً ، لاحظنا بعض المزايدة بين بوش وكلينتون ، حيث وافق الأول على الموافقة على ضمان قروض العشرة مليارات ترضية لإسرائيل، ووافق الثانى على الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل وإمكانية نقل السفارة الأمريكية إليها فيما بعد، بالاضافة إلى مطالبته للعرب بأن يقدموا تنازلات لإسرائيل لاستمرار عملية السلام . وعلى العكس من ذلك، فقد وافق الطرفان على صفقة الأسلحة للسعودية فى إطار المصلحة الاقتصادية الأمريكية، واعتبار السعودية ومصر حليفين فى منطقة الشرق الأوسط .

---

* نشرت بجريدة صوت الكويت بتاريخ ١٩٩٣/١١/١ .

وأياً كانت الأمثلة التى تدلل على صحة ما نقول، وهى كثيرة، إلا أن التساؤل الذى يطرح نفسه مع قرب انتهاء معركة الانتخابات الأمريكية هو : أين الحضور العربى سواء أكان مباشراً أم غير مباشر فى هذه الانتخابات الرئاسية ؟

ونستهدف من وراء طرح هذا التساؤل ، والوقوف على مدى هذا الحضور العربى فى هذه المعركة بالذات، وهل كان الصوت العربى مسموعاً؟ وإمكانية تطوير هذا الوجود العربى فيما بعد ؟ والذى لاشك فيه، ومن أول وهلة، فإن الحضور العربى المباشر فى هذه المعركة، بمعنى الإتصال المباشر من جانب الزعماء العرب أو ممثليهم من وزراء الخارجية أو غيرهم بالمرشحين الأمريكيين الثلاثة (بوش وكلينتون وبيرو) لم يكن مطروحاً .

ولكن لوحظ فى نفس الوقت حضور عربى وإلى مدى معين من جانب الجاليات العربية المختلفة المنتشرة فى أرجاء الولايات المتحدة ، وهو ما تعتبره حضوراً غير مباشر، وذلك بالمقارنة برئيس الوزراء الاسرائيلى (رابين) وبعض ممثليه من الوزراء وغيرهم، والذين حرصوا على الذهاب للولايات المتحدة ومقابلة المرشحين للرئاسة ، وإجراء الحوار معهم وأخذ بعض التعهدات والالتزامات إزاء أمان إسرائيل وأمنها .

الحقيقة المؤلمة هى أن الوجود العربى فى الولايات المتحدة من حيث الكثافة السكانية قد اقترب من خمسة ملايين نسمة، وهو ما يقترب طبقاً للمعلومات المتاحة لدينا، من كثافة الوجود اليهودى فيها . ولكن الفرق بين الطرفين هو فرق فى التأثير والنفوذ الناجمين عن التغلغل فى المجتمع الأمريكى ، وفهم آليات الديمقراطية فى هذا المجتمع، وإجادة التعامل معها سعياً نحو ضمان المصالح العربية عامة لدى كل من الحزبين الجمهورى والديمقراطى من جانب، ومن جانب آخر:محاولة تقييد المرشحين للرئاسة فى تصريحاتهم المؤيدة لإسرائيل على طول الخط والتى قد تستخدم فى إطارالمزايدات الانتخابية سعيا لكسب الصوت اليهودى.

والسؤال هنا : متى يمكن للجاليات العربية أن تمارس نفس الدور اليهودى وتتجاوزه، فى إجبار المرشحين الأمريكيين على أخذ ثقل الجاليات العربية فى الاعتبار ، خاصة أن المجتمع الأمريكى قائم على فكرة الأقليات وجماعات الضغط، التى تلعب كل منها دوراً تأثيرياً فى مسارات السياسة الخارجية الأمريكية بما يتفق والقدرة على التأثير . ومن ثم فإن النجاح الحقيقى للجاليات العربية يكمن فى إمكان تشكيل جماعة أو جماعات ضغط عربية من داخل الولايات المتحدة تضارع - إن لم تكن تفوق - اللوبى اليهودى أو الصهيونى، فى ظل متغيرات العصر الذى نعيشه، خاصة مع اختفاء الاتحاد السوفيتى ككيان قوة عظمى منافسة للولايات المتحدة، انحسرت معه الأهمية الاستراتيجية بعض الشىء طبقاً لما تشير إليه أغلب مراكز الدراسات الاستراتيجية الأمريكية .

وبالنظر إلى حجم وطبيعة الحضور العربى غير المباشر فى المعركة الانتخابية على الرئاسة الأمريكية ، نلاحظ أن هذا الحضور تمثل فى تحرك الجاليات العربية داخل الولايات المتحدة، وإجراء الإتصالات مع المرشحين، وإرسال دعوات لمناقشتهم فى القضايا التى تهم العرب، وعقد المؤتمرات الصحفية للتعبير عن وجهة النظر العربية، والمشاركة بكتابة المقالات فى الصحف الكبرى للإدلاء بالرأى العربى فى معركة الانتخابات ... ألخ

وقد أمكن رصد توجهين رئيسيين للجاليات العربية داخل الولايات المتحدة خلال المعركة الانتخابية : الأول : يضم كلا من المعهد العربى الأمريكى والذى يديره جيمس زغبى، وأيضاً اللجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز، ويرأسها / ألبرت مخيبر، وهما معاً ديمقراطيان ولهما اتصال مباشر بل وعضوية بالحزب الديمقراطى ، ومن ثم يشاركون فى تأييد الديمقراطيين ومرشحهم كلينتون

للرئاسة . أما التوجه الثانى : فهو يضم كلا من اللجنة الوطنية للعرب الأمريكيين، ويرأسها جورج سالم، وقد شكلت لجنة العرب الأمريكيين لإعادة انتخابات بوش وكويل / ١٩٩٢ ، وكذلك مجلس العرب الأمريكيين الجمهوريين لمنطقة واشنطن ورئيسه د.جميل شامى، والتوجه الثانى يشير إلى تأييد الجمهوريين ومرشحهم جورج بوش، باعتبار أنه يساند العرب ، وسعياً نحو تأييد واستمرارية عملية السلام بين العرب وإسرائيل ، وإنه قال لإسرائيل لا ، فإن المصلحة العربية تقتضى المساهمة فى إعادة ترشيحه مرة أخرى . ويستندون فى دعواهم بتأييد المرشح الجمهورى إلى أن ٩٠٪ من اليهود الأمريكيين أعضاء بالحزب الديمقراطى. أما التوجه الأول، فيشير إلى - وعلى حد قول الممثل الرئيسى لهذا التوجه وهو/ جيمس زغبى: أن كلينتون يشدد على قبوله بقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، ويتفق مع بوش فى موضوع الإستيطان اليهودى فى الأراضى المحتلة، وفى الوقت نفسه يحبذ مبدأ الأرض مقابل السلام. ولذلك فإنه "بالقدر" الذى لا يرى بوش إلى جانب العرب كما يتصورورن فإنه لا يرى كلينتون ضد العرب كما يعتقدونه" .

كما أن زغبى يشير فى أحد تصريحاته الصحفيه بالقول، إلى أن على العرب أن يعرفوا أن نصف اليهود الذين يريدون كلينتون ينتمون إلى منظمة الأمريكيين من أجل السلام الآن "وهؤلاء يتبنون موقفاً تجاه عملية السلام لا يختلف عن موقفنا، والنقاش بين هؤلاء وبين الآخرين داخل حملة كلينتون الانتخابية دائر حالياً .. وكما أنه لا يوجد موقف محدد لليهود الامريكيين تجاه الشرق الأوسط، فإن نصف اليهود الذين يحيطون بكلينتون حالياً يؤمنون بإقامة دولة فلسطينية وإنهاء الاحتلال. وتأكيداً لوجهة نظر هذا الاتجاه، فإن "مايكل ماندلبارم" - أحد مستشارى كلينتون المحابين لإسرائيل وبشكل استفزازى، تمت تعريته ورفض أفكاره عندما ذهب لمحاورة جماعة الأمريكيين من أجل السلام

الآن .. فى يوليو الماضى أثناء انعقاد المؤتمر القومى للحزب الديمقراطى . بالإضافة إلى أن كلينتون أرسل إلى الفلسطينيين رسائل يؤكد فيها أن عدداً كبيراً من القيادات التى عملت معه سيسند إليهم مناصب فى إدارة كلينتون للتعامل مع عملية السلام ، ومن بينهم الرئيس السابق كارتر ، الذى قد يعهد له بمهمة الإشراف على عملية السلام .

وفى الوقت الذى كانت الجهود تبذل فيه من جانب الجاليات العربية لتأييد كلينتون داخل الحزب الديمقراطى ، فقد نجحت الصحافة اليهودية الأمريكية من أمثال (المجلة الأسبوعية إلى الأمام) بعد هجومها المستمر على الأمريكيين من أصل عربى فى الحزب الديمقراطى فى إزاحة النائبة الديمقراطية من ولاية أوهايو من أصل عربى – من منصبها كرئيس مشارك للجنة البيان الانتخابى للحزب فى أخر لحظة، ولم تعط الفرصة للتحدث خلال المؤتمر . وهذا يدل على مدى وحجم الصراع العربى اليهودى داخل الحزب الديمقراطى الذى ينتمى إليه غالبية اليهود الأمريكيين .

وعلى أية حال، فإنه يلاحظ، إذن ، حضوراً عربياً فى هذه الانتخابات الأمريكية بصورة تكاد تكون أفضل من المعارك السابقة، ولكن المشوار لازال طويلاً، ويحتاج إلى جهود كبيرة، وقدرة عالية على التغلغل داخل المجتمع الأمريكى ، وتوافر القدرة على التعامل مع آليات النظام الأمريكى الديمقراطية. واستخدام كافة السبل لتكوين جماعات مؤيدة للحق العربى داخل كل المستويات الإعلامية والسياسية والحزبية ، وداخل جماعات الضغط المختلفة من الجاليات الأخرى ، وإجادة التعامل مع منطق الأقليات الذى يسود الولايات المتحدة . وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا برؤية عربية مباشرة تستطيع أن توظف الجاليات العربية المنتشرة فى الولايات المتحدة بما يخدم قضايا العرب ومصالح أمنهم القومى .

ولا نرى فى توزع الجاليات العربية بين الانتماء لأى من الحزبين الجمهورى والديمقراطى أية غضاضة، بل على العكس : يمكن فقط استثمار هذا الوضع فى ضوء فهم قواعد اللجنة والتعامل بوعى مع مبدأ توزيع الأدوار للجاليات العربية داخل النظام الأمريكى .

ولا يجب أن نتناسى أنه لا يزعجنا من ينجح فى الانتخابات الأمريكية، لكن الذى يزعجنا هو أن نتغافل عن حقيقة مؤداها بأن العرب هم وحدهم القادرون على التأثير فى مجريات عملية السلام، ولن يقدم لهم ما يشتهون ، إلا بالقدر الذى يبذلون فيه من الجهد ، والقدرة على توظيف قدراتهم الفعلية، وهى جد كثيرة وبلا حدود . وطالما أن السياسة لها أبعاد متعددة ، وليست بعداً واحداً ، لذلك ، فلا خوف من المستقبل طالما ادركنا ذلك .

** ** **

المبحث الثانى

السلام فى "الشرق الأوسط"

بين الجمهوريين و الديمقراطيين (*)

يبدو أن إعصار "أندرو" الأخير الذى عصف بولايتين ودمر ما دمر فيهما، جاء ليحدد الدائرة الأكبر فى التنافس الانتخابى بين بوش وكلينتون ، على أنها الدائرة الداخلية . ومن ثم فإن الإهتمام بالشئون الخارجية للولايات المتحدة فى هذا الوقت لا يشكل مساحة كبيرة لدى الناخب الأمريكى ، ولذا فإن احتمالات فوز الذى يهتم جداً بالسياسة الخارجية على حساب السياسة الداخلية تتضاءل كل يوم ، وهذا ما سبق لنا الحديث عنه فى مقالين سابقين .

ومع ذلك ، فإن التنافس الحادث الآن بين الجمهوريين والديمقراطيين على "الشرق الأوسط" خاصة على مصلحة إسرائيل، هو تنافس فى الواقع على صوت الناخب اليهودى ، وليس على صوت الناخب الأمريكى عموماً .

ويهمنا فى هذا المقام أن نشير إلى أن آراء المرشحين للرئاسة إزاء الصراع العربى الإسرائيلى فى هذا الوقت ترتبط كثيراً بالعملية الانتخابية، وهذا لا يجب أن يدعونا إلى التكاسل والتراخى ، على أن نكون بلا وجود فى الانتخابات الأمريكية .

فالمعلومات التاريخية تشير إلى أن التأييد المطلق لإسرائيل كان من نصيب الجمهوريين ، خاصة أنهم يحكمون أكثر. فمنذ الستينات ، لم يحكم الولايات المتحدة رئيساً ديمقراطياً سوى جون كيندى الذى قتل بعد فترة قليلة من حكمه للفترة الأولى، وأكمل جونسون فترته ، والرئيس كارتر (٧٦-١٩٨٠)، بينما حكم الجمهوريون الولايات المتحدة طوال هذه الفترة (حوالى ربع قرن) .

---

* نشرت بجريدة "صوت الكويت" بتاريخ ١٩٩٢/٩/١٦.

والحديث عن الديمقراطيين الذين حكموا مـن قبل لـه دلالـة ، حيث أعلن "جون كيندى" تأييده للقضية الفلسطينية ، وأسهم "كارتر" فـى إتمـام أول اتفـاق بيـن مصر وإسرائيل فيما يعرف باتفاقيتى كامب ديفيد والمعـاهدة الإسرائيلية المصريـة عامى ١٩٧٨ و ١٩٧٩، وذلك فـى إطـار الصـراع العربـى الإسرائيلى. والمتـابع لتصريحات الديمقراطيين خلال حملاتهم الانتخابية يجدهم وقـد أسـرفوا فـى التـأييد والوعود للإسرائيليين بهدف كسب أصـوات اليهـود . ولـو نظرنـا إلـى تصريحـات "دوكاكيس" المرشح للرئاسة فى عام ١٩٨٨ فى مواجهة بوش الجمهورى ، نجده وقد أسرف كثيراً فى وعوده لإسرائيل ، ومنها اعترافه بالقدس عاصمة لإسرائيل.

ووسط المعركة الحالية "بين بوش وكلينتون" ، نجد الرئيس بوش يعلن مـن خلال برنتامج حزبه الجمهورى : ضرورة توفير المسـاعدات الأمنيـة علـى نطـاق واسع لإسرائيل ، ومعارضة قيام دولة فلسطينية أو كيان فلسطينى جديد يهدد أمن إسرائيل ، والاعتراف بـالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فـى الوقت الـذى يتحقق فيه أمن إسرائيل ، والتركيز على أهمية استمرار دعم عملية السلام بالشرق الأوسط . فى نفس الوقت الذى يبذل الرئيس بوش كل جهده فى سبيل إنجاز شـىء ملمـوس بيـن العـرب وإسـرائيل لدعـم موقفـه الانتخـابى ، باعتبـار أنـه إنجـاز فـى السياسة الداخلية . ولهذا ، فقد وافق على منح ضمان القروض لإسـرائيل والبالغـة عشرة مليارات ، وذلك لكسب الصوت اليهودى داخل الولايات المتحدة. .

وهو بهذا يحاول أن يقدم سلوكاً للجمهوريين فى تحقيق إنجاز على طريـق إنهـاء الصـراع العربـى الإسرائيلى ، يمكـن أن يفـاخر بـه تاريخيـاً ليقضـى علـى الإنجاز التاريخى السابق للديمقراطيين إبان فترة حكم الرئيس كارتر .

أما كلينتون الديمقراطى ، فهو يسرف فى تـأييد إسـرائيل، وذلـك باعترافـه بأن القدس عاصمة إسرائيل ، وأنه يؤيد إسرائيل باعتبارها حليفة الولايات المتحـدة الوحيدة فى الشرق الأوسـط ، ويطـالب بإنهـاء المقاطعـة العربيـة لإسـرائيل ، كمـا يطالب العرب بتقديم تنازلات لإسرائيل فى محادثـات السـلام الجاريـة الآن حفاظـاً على أمنها . ومما أشار إليه خلال الأيام الأخيرة أن أمريكا بـاعت كميـات ضخمـة جداً من الأسلحة للدول العربية ، وأن ذلك يهدد أمن إسرائيل "التى يجب أن تظـل أقوى دولة فى المنطقة كما وكيفا" ، ووصـف إسـرائيل بأنهـا رمـز الحريـة وواحـة التحرر ومأوى المهاجرين ، "وأن المقاطعة العربية غـير مشـروعة وغـير قانونيـة وهى حـرب اقتصاديـة ولابـد أن تنتهـى ، ولذلـك فـإن إنهـاء هـذه المقاطعـة شـرط لحصول السعودية على صفقة الطائرات التى تعـاقدت علـى شـرائها مـن الولايـات المتحدة" . ولمحاولة إثبات تناقض كلينتون إزاء إسرائيل ، ذلك الاتهام الأخير الذى وجهته زوجة نائب الرئيس الأمريكى الحالى (دان كويل) إلى زوجة كلينتون بأنهـا سبق لها تمويل الفلسطينيين خلال رئاستها لمؤسسة العالم الجديد فى الفترة مـا بيـن ١٩٨٧و١٩٨٨ . وفى الوقت الذى حققت إسرائيل بعد فوز إسـحق رابيـن برئاسـة الوزراء ، بعض الإنجازات بحصولها على موافقـة بـوش علـى ضمـان القـروض ذات العشرة مليارات مقابل السعى نحو الاسراع بانجاز اتفاق مـا مـع العرب قبـل الانتخابـات الأمريكيـة ، وتـم ذلـك بعـد زيـارة بيكـر لإسـرائيل، ثـم زيـارة رابيـن للولايات المتحدة ومقابلة الرئيس بوش ، فى نفس الوقت الذى سعى رابيـن لمقابلـة كلينتون المرشح المنافس لبوش على الرئاسة ، وذلك سعياً نحو كسب وده والحفاظ علـى تصريحاتـه وتـأييده لإسـرائيل فيمـا لـو فـاز فـى الانتخابـات القادمـة . أى أن إسرائيل تسعى للكسب والحفاظ على مصالحها من خلال الاتصال بكافة الأطـراف المتنافسة فى الانتخابات الأمريكية دون قيد على حركتها أو حساسية مـا كمـا هـو معهود لدينا كعرب .

ومن ثم يتضح أن الديمقراطيين وإن أسرفوا فى وعودهم المؤيدة لإسرائيل، إلا أن الثابت تاريخياً تأييدها للدولة الفلسطينية فى عهد كنيدى بعد تولية الرئاسة ، وتحقيق أول اتفاق مصرى إسرائيلى فى عهد كارتر .

ولذلك فلا يمكن التحرك على أساس أن كلينتون إذا فاز فى الانتخابات المقبلة سيكون مع إسرائيل وضد العرب طبقاً لتصريحاته ، وإنما ستحكم سلوكياته ومواقفة فيما بعد متغيرات عديدة، ومن أهمها أن يكون هناك موقف عربى قوى فى مواجهته ، ثم الظروف الإقليمية والدولية، كما أنه فى الوقت الذى يتضح أن الجمهوريين يسعون إلى إنجاز اتفاق تاريخى بين العرب وإسرائيل أو بين الفلسطينيين وإسرائيل على عكس مواقفهم التاريخية المدعمة لإسرئيل منذ الستينات إلا أن الرغبة فى هذا الإنجاز تأتى فى إطار دعم موقف الرئيس بوش فى الانتخابات المقبلة .

وهكذا، يتضح أن الموقف بين إسرائيل واليهود عموماً - من جانب كل من المرشحين للرئاسة الأمريكية- يأتى فى إطار السعى نحو كسب أصوات اليهود الأمريكيين ، وليس بالضرورة عداء للعرب . وهو ما لا يجب أن يزعجنا كثيراً . وهذا ما يقودنا إلى ضرورة لفت أنظار العرب إلى سرعة الحركة خلال الأيام القادمة داخل الولايات المتحدة ، وذلك من خلال الاتصال بالديمقراطيين ، والحوار مع كلينتون لإشعاره بالوجود العربى عند اتخاذ قراراته بشأن إسرائيل والعرب . ومن ثم فإن جعل الساحة خالية دائماً أمام إسرائيل داخل الولايات المتحدة ليس فى صالح العرب ، والأمل أن يتحقق يوماً ما أن تكون التصريحات الصادرة من المتنافس على الرئاسة الأمريكية متوازنة بين العرب وإسرائيل فحسب .

•• •• ••

المبحث الثالث

احتمالات السلوك الخارجي لكلينتون ازاء السلام والقضايا العربية (*)

من الثوابت فى تحليل الانتخابات الأمريكية ، واتجاهات الناخب الأمريكى تجاه المتنافسين على مقعد الرئاسة فى البيت الأبيض، أن السياسة الخارجية لا تمثل قضية قابلة للجدل والعراك ، إلا اذا تداخلت فى إحدى جزئياتها مع القضايا الداخلية التى تمثل بؤرة اهتمامات الرأى العام الأمريكى بصفة رئيسية . ولذلك مفادة لا يرهق المرشحون أنفسهم فى ضرورة بذل الجهد لتحديد رؤاهم فى كل القضايا الخارجية على العكس من القضايا الداخلية . واذا كانت هذه المقولة قد تصاعدت درجة صوابها منذ تفكك الاتحاد السوفيتى فى نهاية ١٩٩١م، وانعكس هذا على أول انتخابات أجريت فى الولايات بعد هذا الحدث ، وذلك فى نوفمبر ١٩٩٢ ، واستطاع المرشح الشاب كلينتون أن ينجح آنذاك ببرنامج عمل داخلى فى مواجهة بوش صاحب الانتصارات الضخمة فى السياسة الخارجية ، إلا أن ذلك قد تأكد أيضاً فى انتخابات عام ١٩٩٦م ، حيث تأصلت مقولة سيادة القضايا الداخلية وهيمنتها على القضايا الخارجية. وقد كانت الانجازات الاقتصادية فى المجال الداخلى والتى استطاع كلينتون أن يحرزها خلال السنوات الأربع الماضية وأحرزها خفض عجز الموازنة ، وتوفير حوالى (١٠) مليون فرصة عمل جديدة لمواجهة شبح البطالة .. ألخ ، ورغم محدودية هذه المنجزات ، إلا أنها كانت الوسيلة لتمسك الشعب الأمريكى باعتباره القادر على المزيد من هذه الانجازات فى السياسة الداخلية وعلى هذا النحو فان الوضع الخارجى يتيح للرئيس الأمريكى

(*) نشرت فى السياسة الدولية،عدد يناير ١٩٩٧،والملف الاستراتيجى فى ديسمبر ١٩٩٦.

مجالاً أكبر للحركة، وحرية اكبر في العمل ، وذلك بشرط أن ينجز فيه انجازاً يستطيع أن يفاخر به من جانب ، ومن جانب آخر لا يتعارض مع أى انجازات داخلية ، ومن جانب ثالث لا يؤدى إلى فقدان ضحايا أمريكيين فى الخارج لعدم تأليب الرأى العالم على الرئيس . وهذه هى حدود سقف الحركة فى المجال الخارجى للرئيس الأمريكى بصفة عامة .

وفى معركة ١٩٩٦، حاول المرشح الجمهورى روبرت دول، أن يبرز أهمية السياسة الخارجية فى المعركة الانتخابية ، بأن وجه للرئيس كلينتون انتقادات عنيفة خلال الأشهر الست السابقة على الانتخابات. حيث بدأها بخطاب فى ٩ مايو نشرته صحيفه واشنطن بوست ، اتهم فيه ادارة كلينتون بالفشل فى سياسته الخارجية تجاه آسيا والصين خصوصاً دون بقية مناطق العالم . وفى خطاب آخر فى ٢٦يونيه خصصه للسياسات الخارجية، هاجم دول سياسة كلينتون تجاه أوروبا ، ووصفها بالتردد والضعف وعدم الحسم ، شأنها شأن بقية مناطق العالم الهامة والحيوية وفى لقاءات عديدة أخرى انتقد القرار السلبى فى الصومال ، والفشل الذريع فى البوسنة ، وعدم الانجاز لأى سلام حقيقى فى الشرق الأوسط .. الخ وأن هذا يرجع إلى سياسة كلينتون الخارجية التى تتسم بالضعف والازدواجية والتردد والافتقار إلى التكامل مما يسهم فى تقويض المصالح الأمريكية ويضر بمصداقية الولايات المتحدة وعلى الجانب الأخر فان كلينتون كان يتجاهل الرد على الانتقادات الموجهة له فى مجال السياسة الخارجية ، إلا أنه قد وجد نفسه مضطراً للرد ازاء تصاعد الهجوم وحملة النقد الواسعة والمخططة من جانب الجمهوريين . حيث خصص خطابا للشئون الخارجية فى "ديترويت" فى ٢٢أكتوبر ١٩٩٦م للرد وتوضيح قراراته ، وأشار إلى رأيه فيما يتعلق بتوسيع عضوية حلف شمال الأطلنطى بحلول عام ١٩٩٩م المواكب للذكرى الـ٥٠ لتأسيس الحلف ..ألخ.

وقد اتضح حجم السياسة الخارجية وقضايا العلاقات الدولية فى المناظرتين اللتين عقدتا بين المرشحين "دول" ، وكلينتون يومى ١٧،٧ (اكتوبر) . حيث استغرقت القضايا الخارجية حوالى نصف وقت المناظرة الأولى ودار فيها قضايا الدور الأمريكى الدولى بين الاستمرارية والانعزالية، وكذلك قضايا الشرق الأوسط، والعراق ، والصومال ، والبوسنة ، وايرلندا .

بينما المناظرة الثانية لم تشهد - رغم طول وقتها بالمقارنة بالأولى - أية اشارة لأى قضية خارجية باستثناء سؤال واحد فقط تعلق بالشرق الأوسط دار حول رد كل منهما فى حالة طلب الرئيس الفلسطينى عرفات لقوات أمريكية للتواجد فى الضفة الغربية .

ومن ثم فقد تأكد من خلال المناظرتين وحجم الصراع بين المرشحين فى انتخابات ١٩٩٦، المدى الكبير الذى ذهبت اليه درجة انحسار السياسة الخارجية فى خضم عملية التنافس على معركة الرئاسة الأمريكية وهذا ما أكدته مجلة التاسم الأمريكية فى عددها الأخير السابق على الانتخابات ، حيث أشارت إلى أن الناخب الأمريكى ويبقى السؤال هنا : ماذا بعد أن نجح كلينتون ؟ أو بلغة أخرى ماذا بعد أن استمر كلينتون لفترة ثانية فى حكم الولايات المتحدة الأمريكية ؟ ما هى الخطوط العامة التى ستحكم حركته فى السياسة الخارجية تجاه المنطقة العربية ومشاكلها المختلفة ؟ هل ستستمر فى نفس الاتجاه الذى كان سائداً فى فترته الأولى؟ أم يمكن أن نلحظ تغييراً ما فى الفترة الثانية ؟ واذا كان هذا محتملاً فما هى الأسباب وتداعياتها . ويمكن تناول ذلك كما يلى :

أولاً : حدود حرية الحركة أمام كلينتون :

فى ضوء الافتراض السابق الذى يعززه الواقع، وخصوصاً فى تجربتى ١٩٩٢م، ١٩٩٦م الانتخابيتين، حيث سادت القضايا الداخلية، وانحسرت القضايا الخارجية، فان للرئيس الأمريكى عموماً مهما كانت توجهاته ستكون له حريـــــة

حركة أكبر فى مجال السياسة الخارجية بصفة عامة وبغض النظر عن منطقة دون أخرى . ويعزز من ذلك أيضاً عدد من النقاط هى :

١ - أن الرئيس كلينتون سيحكم فترة ثانية ، ومن المعروف؛ أن أى رئيس أمريكى يكون فى الفترة الثانية أقل رضوخاً للضغوط، وأكثر ميلاً لأن يتخذ القرارات الكبيرة والتحولية بما يسهم فى دخوله سجل التاريخ الأمريكى لتذكره الأجيال باستمرار ولذلك فان كلينتون سيكون أكثر ميلاً للفعل فى المجال الخارجى والمبادرة بما يمكن أن يترك له أثراً باقياً فى سجله .

٢ - توافر قدرة لدى الرئيس كلينتون على اكتساب مهارات فى الحركة والخبرة فى السياسة الخارجية، لم تكن موجودة لديه من قبل. حيث كانت اهتماماته داخلية قبل ترشيح نفسه لمنصب الرئاسة بصفته حاكماً لولاية أركانسو، وأن توافر هذه الخبرة لديه واكتسابه لهذه المهارات على مدار السنوات الأربع السابقة (طوال فترة حكمه الأولى) ربما تكون قد أعطته الفرصة لتكوين رؤية شبه متكاملة - أن لم تكن شاملة - عن الأوضاع العالمية وقضايا النظام الدولى والاقليمى . وهذا بدوره تسمح له بالحرية فى الحركة والمبادرة أيضاً فى المجال الخارجى .

٣ - عدم وجود خلافات كبيرة مع الكونجرس (النواب والشيوخ)، فى السياسات الخارجية ، وان وجدت، فهى خلافات هامشية ومحدودة، قد تتعلق بالميزانية والمعونات، وبإرسال الجنود الأمريكين، وبعض الخلافات المحدودة فىالشرق الأوسط خاصة اسرائيل وضرورة المزيد من دعمها وبالتالى فان محدودية هذه الخلافات قد تؤدى بدورها إلى عدم وجود قيود ٨ على حركة الرئيس كلينتون فى مجال السياسة الخارجية، وتتيح له الفرصة لمزيد من حرية الحركة متى أراد أن يمارس ذلك .

٤ - أن القضايا الدولية التى تشغل عالم اليوم تدور حول محورين هما الاقتصاد وما يتعلق بالتجارة الدولية من ناحية ، والناحية الأخرى هى الأمن ومقاومة الارهاب وفرض السلام . وأن فرصة كلينتون للتفاعل مع هاتين القضيتين العالميتين واحراز مكسب فيهما ستعطى له فرصة كبيرة فى تحقيق أهدافه كصانع سياسة متميز من ناحية ، ومن ناحية أخرى سيستطيع أن يخدم أهدافه فى السياسة الداخلية بدرجة أكبر مما ستسهم فى تعزيز فرص المرشح الديموقراطى القادم ، وهو هدف استراتيجى لا أعتقد أنه يغيب الآن عن مخططى الحزب الديموقراطى ولا عن صناع سياسة كلينتون نفسه .

ثانياً : مجالات الحركة الخارجية فى المنطقة العربية :

لا شك أن ما أثير فى خضم الحملة الانتخابية من جانب كلينتون ازاء المنطقة العربية تمحور حول قضيتين أساسيتين هما : الأولى هى قضية الشرق الأوسط والسلام بين العرب واسرائيل وقد كانت شغله الشاغل حتى عشية التصويت على كرسى الرئاسة فى الخامس من نوفمبر الماضى، والثانية هى قضية العراق وكيفية التعامل مع النظام العراقى وجوانب هذه المشكلة وهو ما ظهر فى المناظرة الأولى بين المرشحين يوم ٧ أكتوبر الماضى . وبالتالى لم يحدث أى تناول للقضايا الأخرى كقضية ليبيا والحصار المفروض عليها، أو قضية السودان، أو قضية ايران، أو قضايا الأرهاب أو التعاون الأقليمى وغير ذلك. فبالنسبة لمجال العمل فى قضية السلام فى الشرق الأوسط ، أشار كلينتون فى مناظرته الأولى إلى "أنه لدينا سياسة ثابته لدعم وَسائدة السلام وأمن اسرائيل، وأن المفاوضات قد بدأت، وأن عملية السلام تتحرك، وأن كل القادة فى الشرق الأوسط لن يتوقفوا عن بذل الجهد لحل المشاكل بينهم، بمساندتنا، فالأساس عندنا:

"وقف العنف، وبدء المحادثات، والالتزام بالمفاوضات" وعلى المستوى العملى فإن الرئيس كلينتون كلف وزير الخارجية كريستوفر، ومساعده "روس"، وذلك لدفع المفاوضات بين الاسرائيلين والفلسطينين لانجاز اتفاق حول "الخليل"، واستمر هذا الوضع حتى قبيل اجراء الانتخابات الامريكية بساعات. وهو ما يعكس إصرار كلينتون على حيوية قضية الشرق الأوسط بالنسبة له كمجال حركة . فضلاً عن سبق دعوته لما سمى بقمة واشنطن دعى إليها "الرئيس الفلسطينى ورئيس وزارء اسرائيل وملك الأردن (حسين)، بينما اعتذر الرئيس مبارك عنها من أوائل اكتوبر الماضى، وذلك فى اطار قوة الدفع لهذه القضيه بغض النظر عما آلت اليه. وهذا يذكرنا بنفس الوضع فى عام ١٩٩٢، حيث كانت قضية الشرق الأوسط لدى الرئيس السابق (بوش) ذات أهمية حتى آخر لحظة كمجال للحركة .

أما بالنسبة لقضية العراق، فإن كلينتون أشار إلى أن التصرف. "[illegible] من الناحية الاستراتيجية كان هو أن نقلص قدرة صدام على تهديد جيرانه وقد فعلنا ذلك بتوسيع ما يسمى منطقة حظر الطيران وبزيادة الرقابة التى يقوم بها الحلفاء للمجال الجوى لتمتد من حدود الكويت الى ضواحى بغداد، وكان هذا هو التصرف السليم الذى فعلناه. فضلاً على أننا تعلمنا من التجربة أنه عندما نعطيه بوصة واحدة فسوف يأخذ لنفسه ميلاً كاملاً، وأن ما حدث هو أن بعض حلفائنا لم يؤيدوا ما فعلناه فى البداية، وأعتقد أن معظمهم يعتقدون الآن أننا فعلنا الشيىء المناسب .

وهذا يشير إلى أن كلينتون كان يعتقد فى صحة ما فعله، لكن دون نكران، لرفض الحلفاء لما فعله، ولهذا تأثيره على قراراته فيما بعد عند التعامل مع هذه القضية .

ثالثاً : احتمالات الحركة الخارجية فى المنطقة العربية :

أمام الرئيس كلينتون عدد من القضايا الهامة فى المنطقة العربية ، عليه أن يحسمها فى خلال فترة حكمه الثانيه، وهى قضايا لها ملفات مفتوحة ، لا أعتقد من البداية أن الفترة القادمة يمكن أن تنتهى بدون حسمها . ولننظر فى احتمالات مسار هذه القضايا من زاوية الفعل الأمريكى فى عهد الفترة الثانية لكلينتون وذلك على النحو التالى :-

١ - **قضية السلام فى الشرق الأوسط :** من المتوقع استمرار منهج الرئيس كلينتون فى التعامل مع القضية وذلك بالتوازن بين التشدد العربى من جانب ، والتشدد الاسرائيلى فى عهد نتنياهو من جانب آخر .وأن الانجاز الشامل فى هذا الطريق قد يعتريه بعض العثرات ويستلزم بعض الوقت. لكن قد يمكن لتشجيع الأطراف العربية على المزيد من الاندماج فى عملية السلام بمختلف جوانبها الأمنية والاقتصادية ، وأن يتم ثمة انجاز على الجانب الفلسطينى، ويمكن أن يتم البدء بالانسحاب الاسرائيلى من الخليل، مع دعم السلطة الوطنية الفلسطينية. وستستمر فترة الرئيس كلينتون الثانية فى الأنجاز التدريجى على مسار هذه القضية ، ولابأس من ممارسة بعض الضغوط غير المحسوسة على الطرف الاسرائيلى لادخاله فى الاتفاقات مع الأطراف العربية مع مزيد من الدعم الأمنى والاقتصادى على غرار ما حدث فى مرحلة المصالحة مع مصر ويمكن أن تستمر فترة التردد فى العلاقات بين أمريكا كلينتون واسرائيل نتنياهو، حتى يعدل الأخير مساراته ويخفف تشدده، أو يرحل لتأتى حكومة العمل الأقل تشدداً والأكثر حماساً للسلام من الليكود .

٢ - **قضية العراق :** من الممكن أن يتم تخفيف الحصار تدريجياً بعد قبول الولايات المتحدة لاتفاق "النفط مقابل الغذاء" ، وهو ما أكده الرئيس كلينتون فى مؤتمره الصحفى عقب نجاحه فى الانتخابات . ولكن الاصرار الأمريكى على اسقاط نظام صدام قد يكون أحد الأهداف الأساسية خلال المرحلة القادمة من ناحية، وقد يكون الوسيلة لانهاء الحصار على العراق، والمبرر الذى يستطيع أن يخرج به كلينتون أمام الرأى العام لحل "المشكلة العراقية" .

٣ - **قضية "ليبيا وأزمة لوكيربى" :**
فى ضوء التغييرات التى يمكن يشهدها فريق العمل للرئيس كلينتون فى الفترة الثانية، وفى ضوء تزايد الدور الأوربى فى المنطقة ، وخاصة الدور الفرنسى المؤيد لحل القضية الليبية وانهاء الأزمة ، والذى يتلاقى مع الرغبة العربية ممثلة فى قرار مجلس جامعة الدول العربية بالحل الوسط للموضوع، فأنه من المتوقع أن تشهد هذه القضية انفراجه تدريجية وتغيراً فى السياسة الخارجية الأمريكية ازائها . وان كنت أتوقع أن يرتبط ذلك بالانفراجة فى قضية الشرق الأوسط خاصة وأن ليبيا من أشد المعارضين للمنهج السلامى مع اسرائيل حيث أن المسألة تمثل منظومة متكاملة فى الادراك الأمريكى .

٤ - **قضية السودان والحصار المفروض عليه :**
ليس من المتوقع ، فرض المزيد من الحصار عليه فى ضوء توافر المعلومات عن رحيل أو هروب الاشخاص المتهمين بمحاولة الاشتراك فى اغتيال الرئيس مبارك إلى خارج السودان . فضلاً عن أن الولايات

المتحدة فى اطار محاولاتها احكام الخناق على الأنظمة المساندة لعمليات العنف ، فأنه ليس من المتوقع أن تحسن من علاقتها مع النظام السوداني، بل ستستمر فى حالة توتر ، وأن المسألة يمكن أن ترتبط شأنها شأن ايران فى ضوء منظومة المصالح الأمريكية الثابته أو المتغيرة حسب الظروف ودوام الحال أو تغيره .

٥ - **قضايا التعاون الاقليمى والاقتصادى :**

من المؤكد أن الولايات المتحدة فى عهد كلينتون ستساند وتدعم هذا التعاون بكل ثقلها ، باعتباره أحد الآليات لترسيخ عملية السلام فى المنطقة حاضراً ومستقبلاً . وأن هذا التعاون قد يرتبط بقضايا الأمن والسلام ، ولذلك فان الانجاز على مسار السلام قد يسهم فى دعم هذا المحور . ولذلك فهما مرتبطان، وربما تمارس السياسة الأمريكية فى الفترة الثانية لكلينتون ضغوطها على اسرائيل وبعض الأطراف الشاردة من هذه الزاوية .

وختاماً : فان المتوقع (إجمالاً) أن تشهد الفترة الثانية لعهد كلينتون، فى مجال السياسة الخارجية ، حرية حركة أكبر ستنعكس بالتالى على المزيد من المبادرات، والتى ستتسم بالإيجابية ، وسيظهر ذلك بشكل فعّال فى المنطقة العربية لما تتسم بالحيوية والديناميكية . ولذا فأننى أميل إلى أن السياسة الأمريكية ستشهد بعضاً من التغيير فى منطقتنا ، والمسألة رهن بالمزيد من التغيير فى حالة أن يشعر العرب أن ارادتهم قائمة وأن لهم فعالية فى التأثير على القرار الأمريكى ازاء المنطقة . ١

•• •• •• ••

٢٤

الفصل الرابع

الدولة الفلسطينية القادمة

المبحث الأول

أبعاد التوجه الفلسطيني نحو الشرق (اليابان والصين)

أضحى الشرق يمثل بؤرة صراع دبلوماسي بين أطراف الصراع العربي الإسرائيلي، وعلى الرغم من تنبه إسرائيل لهذه المنطقة منذ الخمسينات، وبذلها جهوداً ضخمة في تدعيم علاقاتها بهذه البقعة من العالم، إلا أن حجم علاقاتها بدولها اتسم بالمحدودية.

واقتصرت العلاقات على تبادل الخبرات، وتبادل السلع الإقتصادية، وتعاون عسكري سواء ببيع السلاح أو المساهمة في إنتاجه، وتبادل الوفود السياحية، والبعثات التعليمية، في نفس الوقت فإن التنبه العربي لدور هذه المنطقة اتسم باليقظة في أوج الدعوة لعدم الإنحياز في منتصف الخمسينات وخلال الستينات، ولكن لم يستمر طويلاً حتى تراجع في السبعينات والثمانينات، حيث أصبح الاهتمام بالغرب الأوربي والأمريكي هو الوجهه المقصودة على حساب الاهتمام بالشرق عموماً، والشرق الآسيوي في اليابان والصين وجنوب شرق آسيا بصفة خاصة.

ولكن في السنوات الأخيرة نما الاهتمام بالشرق الأسيوي ليصبح مكاناً لاختبار القدرات الدبلوماسية لكلا الطرفين: العربي، والإسرائيلي.

ومن هذه الزاوية، فإنه يمكن فهم المغزى الحقيقي لزيارة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات لكل من اليابان والصين في الأسبوع الأول من أكتوبر الماضي.

فقد تمت الزيارتان بناء على دعوة رسمية من الحكومة اليابانية، ومن الحكومة الصينيـــة والرئيس الصيني أيضاً، وقد سبق للزعيم عرفات زيارة اليابان

---

* نشرت في مجلة المنار، عدد (٥٩)، أكتوبر ١٩٨٩، ص ٢٠:٢٢.

فى عام ١٩٨١م بناء على دعوة غير رسمية وجهت له من رابطة الصداقة اليابانية – الفلسطينية – البرلمانية. ومن ثم فإن الدعوة الرسمية له تعد تطوراً هاماً فى طبيعة العلاقات اليابانية الفلسطينية، بل تأتى ترجمة عملية للموقف اليابانى من الصراع العربى الإسرائيلى والقضية الفسطينية، وهذا هو ما أوضحه وزير خارجية اليابان أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة قبل زيارة عرفات مباشرة، حيث أكد على ضرورة الانسحاب الإسرائيلى من جميع الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧، والاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى بما فيه حقه فى إقامة دولة فلسطينية، مع الاعتراف بحق إسرائيل فى الوجود أيضاً، وكذلك يتم التوصل إلى السلام عبر المفاوضات وعلى أن يكون المؤتمر الدولى إطارا لها، وأن منظمة التحرير الفلسطينية هى التى تمثل الشعب الفلسطينى، ومن ثم يجب اشتراكها فى عملية السلام فى الشرق الأوسط، وأن اليابان ستتعاون بشكل نشط مع جهود الأطراف المعنية من أجل السلام.

إذن ما هى الأبعاد الحقيقية لهذه الزيارة؟ الواقع أنه من خلال استعراض رؤى وأهداف الطرف الفلسطينى، والطرف اليابانى يتضح التالى:

(١) أن الطرف اليابانى يستهدف من خلال الدعوة الرسمية ممارسة دور ما فى أحداث المنطقة العربية من خلال القضية الفلسطينية – بغض النظر عن حَجم هذا الدور. ويتضح هذا الهدف من خلال رفض اليابان ضغوط إسرائيل واحتجاجاتها، سواء على لسان وزير خارجية إسرائيل فى لقائه بوزير خارجية اليابان خلال جلسات الجمعية العامة الأخيرة، أو على لسان المتحدث الرسمى للسفارة الإسرائيلية فى اليابان، وذلك لمنع الزيارة ووصف إتمام الزيارة بأنه إشاعة وانتشار للعنف وتعزيز له، كما أن مقابلة رئيس الوزراء اليابانى بنفسه ووزير الخارجية ورؤساء المجالس النيابية وغيرهم من رؤساء الأحزاب، تأكيد للأهمية التى توليها الدولة اليابانية لهذه الزيارة وتأييدها. ١٢

(٢) أن الطرف اليابانى فى ممارسته لهذا الدور يتسم بالتوازن، فعلى الرغم من الإستقبال الرسمى للزعيم عرفات، ومناداته فى اللقاءات العامة "بسيادة الرئيس" طبقاً لما تناقلته وكالات الأنباء، إلا أن الحكومة اليابانية لم تعترف بالدولة الفلسطينية رسمياً، وإنما اكتفت برفع درجة التمثيل الفلسطينى إلى "البعثة العامة الدائمة لفلسطين" بدلاً من مكتب منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى الرغم من أن الفارق بين البعثة العامة، وبين السفارة هو توافر الحصانات الدبلوماسية، إلا أن رفع التمثيل فى حد ذاته والتعامل مع اسم فلسطين بدلاً من منظمة التحرير هو اعتراف ضمنى فى تقديرنا. وفى تعقيب لأحد مسئولى الخارجية اليابانية عن عدم اعتراف طوكيو بدولة فلسطين المستقلة، أشار إلى "أننا لا نعتقد أن دولة فلسطين لها المستوى التمثيلى نفسه للدول فى القانون، ومن الناحية القانونية، فإن اليابان تعترف بالدولة التى تبسط السيادة على أرضها وشعبها".

ولكن يلاحظ أن اليابان فى هذه الخطوة تأتى فى إطار الموقف الغربى بصفة عامة، فقد سبقتها إلى هذه الخطوة فرنسا فى يناير الماضى، وإيطاليا فى مايو الماضى أيضاً. علاوة على أنها تأتى فى إطار التوازن النسبى بين إسرائيل والفلسطينيين، فى إطار طبيعة العلاقة الخاصة بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية.

(٣) استهدف الطرف الفلسطينى بالإنفتاح على الشرق وزيارة اليابان أولاً: الرغبة فى رفع التمثيل الفلسطينى، إن لم يكن الإعتراف الكامل بالدولة الفلسطينيـــة، وإن كان هذا لم يصبه النجاح فى الوقت الحاضر، ومحاولة إشعار الحكومة اليابانية بأهمية دورها السياسى فى المنطقة ليتوازى مـــع

الدور الإقتصادى وطبيعة العلاقات مع الأطراف المختلفة فيها. ولذلك لوحظ لهجة متشددة فى كثير من لقاءاته الرسمية حملت معنى التحذير، وقد اتضح ذلك من خلال كلمات عرفات دور أخلاقى واقتصادى: "إن اليابان لم تقم بعد بالدور الذى من المفترض أن تقوم به فى عملية السلام، على اعتبار أنها ثانى دولة اقتصادية فى العالم، ومن لا يشارك فى عملية السلام الآن لن يشارك فى أى شئ بعد إقرار هذا السلام، كما أشار إلى أن اليابان كقوة اقتصادية عالمية، لها دور أخلاقى واقتصادى مهما يكن يجب أن تلعبه فى الشرق الأوسط.

وذكر منبهاً ومحذراً: "إن العلاقات التجارية بين اليابان وإسرائيل نمت بصورة كبيرة فى الآونة الأخيرة، حيث تضاعفت خلال السنوات الأربع الماضية وارتفعت من ٣٨٥ مليون دولار عام ١٩٨٥، إلى ١,١ مليار دولار العام الماضى حسب الإحصاءات اليابانية، وهو ما يجعلنا لا نطالبكم بإعادة النظر فى ذلك من أجلنا، بل من أجلكم أنتم، وعليكم أن تضعوا نصب أعينكم الميزان التجارى بين بلادكم والأمة العربية. فمثل هذا التطور ليس من مصلحة اليابان، التى ترتبط بالدول العربية فى الجزء الأكبر من وارداتها النفطية، وإنه لمن الإنصاف التام لليابان أن تنشد الربح بصفتها بلداً مكيفاً نحو التجارة، ومن الإنصاف التام أيضاً أن توازنوا بين هذه المصالح ومصالحكم مع الشعب الفلسطينى".

وهكذا يتضح أن الرئيس عرفات واجه الحكومة اليابانية برؤية مدروسة أشعرت اليابانيين بمتابعة مضمونية لسياساتهم من جانب الطرف الفلسطينى، وهو ما يعكس مواجهة شجاعة، وفى نفس الوقت التحذير ولفت النظر لأهمية توازن الموقف اليابانى إزاء الطرف العربى الفلسطينى، والطرف الإسرائيلى.

(٤) أكد الطرف الفلسطينى على رغبته فى التخطيط من الآن لبناء الدولة الفلسطينية، ولذلك فقد ركز فى مباحثاته على البعد الإقتصادى والتباحث بشأن الدعم اليابانى لإقامة الصناعات والبنية التحتية من مرافق وغيرها فى الدولة المزمع إقامتها فعلياً، وأن التخطيط لذلك يبدأ من الآن مشيراً للطرف اليابانى بضرورة تزويد الدولة بالتكنولوجيا الحديثة والمساهمة فى إقامة قاعدة صناعية كبرى فى فلسطين، كما كانت هناك مطالبة من الفلسطينيين بضرورة التعامل اليابانى مع السلع الفلسطينية بنفس تعاملهم مع السلع الإسرائيلية من حيث الإفضليات وغيرها، وكذلك فقد طالب الطرف الفلسطينى بضرورة زيادة الدعم اليابانى الحالى والمقدر بعشرة ملايين دولار إلى أكثر من ذلك. وقد وعدت الحكومة اليابانية بدراسة ذلك والتفاعل معه فى أقرب فرصة ممكنة.

ونفس الأبعاد المستهدفة من وراء زيارة عرفات لليابان هى نفس الأهداف بشكل كبير المستهدفة من وراء زيارة الصين التى تصر على عدم تبادل التمثيل الدبلوماسى مع إسرائيل إلا بعد انسحابها من الأراضى العربية المحتلة، وكذلك تؤيد الكفاح المسلح للفلسطينيين لإقامة دولتهم، مع التأكيد على أمكانية التوصل لسلام من خلال المفاوضات بقصد المؤتمر الدولى، وضرورة الإعتراف المتبادل بين الطرفين.

وقد استقبل الرئيس الصينى ياسر عرفات فور وصوله، واستقبله أيضاً رئيس الوزراء الصينى استقبالاً رسمياً، وعقدت محادثات رسمية مع المسئولين فى الصين. وهى زيارة تأتى فى إطار تدعيم العلاقات الفلسطينية الصينية الحالية إلى الأفضل.

ولاشك أن الزيارة فى حد ذاتها - سواء لليابان أو للصين - هى محاولة جادة من القيادة الفلسطينية تعكس رؤية متكاملة لها على الصعيد الدبلوماسى بهذا الانفتاح الفلسطينى على الشرق بمحاولتها جذب الدب الصينى لممارسة دوره الحقيقى وبشكل إيجابى تجاه المنطقة، وفى نفس الوقت محاولة خلق التوازن لدى العملاق الاقتصادى اليابانى فى تعامله مع أطراف المنطقة.

وفى حقيقة الأمر، فإن الشرق مرشح لأن يشهد معركة وصراعاً دبلومسيين بين الطرف العربى والإسرائيلى، فمع نهاية شهر نوفمبر ١٩٨٩م، سيقوم أرنيز وزير خارجية إسرائيل بزيارة اليابان، وهو مانتوق لمعرفة نتائجه، ولكن ستعكس هذه الزيارة مدى القلق الإسرائيلى لزيارة عرفات التى تمت بناء على دعوة رسمية من الحكومة اليابانية.

والأمر لا يجب أن يتوقف عند هذا الحد - أى عند مجرد زيارة عرفات - ولكن لابد من مواصلة الجهود الدبلوماسية، وتبادل الزيارات على أعلى مستوى، وممارسة الضغوط الممكنة من الطرف العربى تجاه الشرق لكسب المعركة الدبلوماسية فى هذه المنطقة الحيوية التى يرشحها كثير من المراقبين ومحللى السياسة المرموقين لأن تكون القوة الجديدة على الخريطة الدولية مع مطلع القرن الحادى والعشرين.

** ** **

المبحث الثانى

القدس .. واشكالية إقامة الدولة الفلسطينية (*)

تعتبر قضية القدس من القضايا الرئيسية فى ادارة عملية السلام العربى/ الاسرائيلى، وذلك لاعتبارات عديدة. ومن بين هذه الإعتبارات ما يتعلق بالمركز الدينى لهذه المدينة المقدسة التى تضم مواقع لها قدسيتها فى نفوس أصحاب الديانات السماوية الثلاث (الاسلام - المسيحية - اليهودية)، فضلاً عن وضع هذه المدينة من حيث أنها أراضى محتلة من عام ١٩٦٧م، كجزء من الضفة الغربية، من عدمه. فاسرائيل تصر على احتكار الوضع الدينى فى هذه المدينة من حيث أنها الأصل فيها باعتبار أن اليهودية أسبق من الديانتين الأخرتين. كذلك فإن هناك فريق يسعى إلى تعميق الخلاف بين الطرفين المسلم واليهودى من زاوية أن المدينة لا تتعلق بالمسيحيين، وذلك ضماناً للمساندة الغربية لاسرائيل فيما تفعله فى هذه المدينة الدينية. ومن ثم فإن اسرائيل تصر أيضاً على أن هذه المدينة تم تحريرها لصالح الاسرائيليين واليهود فى يونيه ١٩٦٧م، حيث كان قد أحتلها العرب وتم استردادها منهم. على عكس الفلسطينيين العرب الذين يصرون فى المقابل على أن القدس عاصمة الدولة الفلسطينية وهى محتلة منذ عام ١٩٦٧ ولابد من تحريرها كاملة. ولدى بعض الاتجاهات الفلسطينية فإنه يمكن اقتصار التحرير على القدس الشرقية التى تضم المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمى فى الخليل لكى تكون عاصمة الدولة الفلسطينية الجديدة.

وعلى الرغم من السير فى مباحثات عديدة، وخاضت الأطراف العربية فى مواجهة اسرائيل مشواراً فى عملية السلام تبلور فى التوصل إلى اتفاقية مدريد

---

* نشرت بمجلة "القادة"، المجلس الأعلى للشباب، مايو ١٩٩٧، ص ٣٢،٣٣ .

السـلام فـى أكتوبـر ١٩٩١ كإطـار مرجعى لعملية السلام، ثـم اتفـاق أوسـلو ١، وأوسلو ٢، ثم اتفاق الأردن/ اسرائيل، إلا أن اسرائيل بعد وصول نتنياهو للحكـم ورئاسـة الحكومـة الإسـرائيلية فـى نهايـة مـايو ١٩٩٦م، بـدأت السير فـى طريـق مختلـف ملئ بالأشـواك، والصعـاب ممـا كـان لـه تـأثيره السـلبى علــى اسـتمراية المفاوضات بين العرب واسرائيل. فبنيامين نيتنيـاهو، رئيـس الحكومـة الاسـرائيلية الحـالى، وهـو مـن كتلـة الليكـود، جـاء ببرنـامج يحمـل "لاءات" كثيرة ، منهـا: لا للقدس، ولا للمستوطنات، ولا للانسحاب من جنوب لبنان، والجـولان، ولا لتوسـيع سـلطة الحكـم الذاتــى الفلســطينى، ولا لاقامـة الدولـة الفلسـطينية المسـتقلة، ولا للانسحاب واعادة الانتشار فى "الخليل". بعبـارة أخـرى انـه يقـول "لا" لكـل عمليـة السـلام، حيث يطـرح مفهـوم جديـد هـو: "الأمـن مقـابل السـلام"، بدلاًمـن مفهـوم "الأرض مقابل السلام". وهو بالتالى يقـول: لا - أيضـاً لاتفـاق مدريـد فـى أكتوبـر ١٩٩١م الذى انطلق اسـاس مفهـوم الأرض مقـابل السـلام، ومـن اعتبـار قـرارات الأمم المتحدة رقم (٢٤٢،٣٣٨، ٤٢٥)، أساس عملية التفاوض. وبالتالى فقد قـال: لا - لاتفاق أسلوبين الفلسطينيين واسرائيل.

ولاشك أن هذه الكثرة الغالبة من الـلاءات الشـهيرة لنيتنيـاهو، قـد فرضـت ظلالا مـن الشـكوك علـى عمليـة السـلام، خاصـة وانهـا جـاءت فـى خضـم عمليـة الانتخابات الأمريكية الأخيرة. حيـث نجـح الرئيـس كلينتـون، الـذى اسـتثمر بدايـة عملية السلام فى عهد خلفه الرئيس بوش، ليستكمل المشوار، وقد أحرز فيهـا عـدة اتفاقات بين الطرفين العربى والاسرائيلى ، كـانت بمثابـة خطـوات علـى الطريـق. وقد أسهم نجاح كلينتـون وعوامـل ضغـط اقليميـة ودوليـة، فـى مقدمتهـا الضغـوط العربية التى تبلـورت ابتداءً مـن مؤتمـر القمـة العربـى فـى يونيـة ١٩٩٦م، إلـى احراز اتفاق الخليل فى فبراير الماضى، على الرغم من عدم توافـق كـل مـا اتفـق عليـه مـــع الطموحات الفلسطينية، ولكن يكفى أن يكون نتنياهو نفسه هو الذى وقع

الاتفاق، بعد أن كان يقول: "لا لذلك". ويبدو أن نتيجة هذا التصرف، هو تعرض نيتنياهو لضغوط داخلية، أبرزت تناقضاته وهزيمته فيما سبق أن قال "لا" فيه. ولمحاولة اثبات عدم الخضوع للضغوط العربية والفلسطينية، فإنه سرعان ما وقع الاتفاق، وسرعان ما بدأ يثير المتاعب في تنفيذه وحتى يصل إلى وقف كل المباحثات والمفاوضات إلا على طريقته الخاصة التى من الواضح أنها لا يمكن أن توصل الأطراف إلى شئ، قام بإثارة ورقة القدس لاثبات مقولته "لا" للتباحث بشأن هذه المدينة. فقام باجراءين متتاليين : غلق المكاتب الفلسطينية فى القدس الشرقية وطرد ممثلى السلطة الفلسطينية منها، بالإضافة إلى الإعلان عن بناء مستوطنة جديدة على جبل "أبو غنيم" وكان هذان الإجراءان المتتاليان لهما من وقع رد الفعل الكثير. فقد تحركت السلطة الفلسطينة ازاء الأمر ولم تسكت على هذا الوضع الردئ والتصرف غير العقلانى المعوق لعملية السلام، وتواكبت هذه الإجراءات مع زيارة الرئيس مبارك إلى الولايات المتحدة، مما كان له تأثير فى تصريحات الرئيس التى رفضت بشكل قاطع مسألة المستوطنات، واية مستوطنات جديدة، واستنكر هذه التصرفات الاسرائيلية غير المسئولة، إلى حد أنه طالب نتينياهو بالاستقالة بعد رد الفعل السيئ ضده. فما كان من نتينياهو إلا أن تراجع على أحد الاجرائين (الأقل أهمية)، وهو اعادة فتح المكاتب الفلسطينية فى الأرض الشرقية للقدس، فى نفس الوقت الذى تحدى فيه الرأى العام الأقليمى والدولى والعالمى، وبدأ فعلاًفى ايجاد مستوطنة أبو غنيم، وتسوية الأرض تمهيداً لانشائها.

وبكل أسف، فإن الولايات المتحدة قد أسهمت فى تشجيع اسرائيل على المضى قدماً فى هذا الطريق، وذلك باستخدامها "الفيتو" مرتين خلال أسبوعين فى مجلس الأمن لتجهض كل الجهود والاجماع الدوليين على ادانة اسرائيل. وكانت تصريحات كبار المسئولين الأمريكيين فى الولايات المتحدة غير حاسمة عندما أعلنت "سياسة بناء المستوطنات عملا لا يشجع على عملية السلام". واكتفى الموقف الأمريكى بأن أصبح فى دور المتفرج.

إلا أن الجهود نجحت على الصعيد الاسلامى فى عقد قمة اسلامية طارئة فى باكستان، ناقشت الأمر، وأصدرت بيانات حاسمة ازاء هذا الموضوع بالأدانة الكاملة لاسرائيل، واقرار وقف كل اجراءات التطبيع مع هذه الدولة التوسعية. كما نجحت المجموعة العربية فى استصدار قرار فى الجمعية العامة للأمم المتحدة بادانة هذه التصرفات الأسرائلية، وهناك فى الطريق قرار آخر بعد الاستخدام الثانى للفيتو من قبل الولايات المتحدة فى مجلس الأمن.

والواقع أن سياسة الاستيطان فى القدس، كانت من أفكار حزب العمل. حيث يوجد (١٧) مستوطنة داخل القدس بدأهم جميعاً حزب العمل، وتعتبر المستوطنة الجديدة رقم (١٨) فى القدس من جانب الليكود، هى بداية لتأكيد تلاقى الطرفين هو مصير القدس لتصبح بيد الاسرائيلين تماماً. وكان من إصرار نتينياهو على المضى قدما فى هذا الطريق، أن تفجرت أحداث عنف من جانب القوى المتشددة الفلسطينية (الجهاد – حماس) فى داخل تل أبيب، وفى الضفة الغربية. فضلاً عن عودة الانتفاضة مرة أخرى فى مواجهة الاحتلال الفلسطينى .

- وازاء كل ذلك يثور السؤال : ما العمل ازاء هذه التصرفات الاسرائيلية التى تتسم بالعنف ومعاداه السلام؟ وفى تقديرى أن الخطوات التالية قد تقود إلى الطريق الصحيح.
- انشاء جهاز أو صندوق لتمويل فكرة شراء الأراضى فى القدس لصالح الفلسطينيين لتوسيع نفوذهم مستقبلا، وترجيح كفة التفاوض فى مواجهة اسرائيل، ومجابهة المشروع الاستيطانى لها.
- التفكير فى اثارة " الورقة القبطية " للمسيحيين الغربيين، لتشجعيهم على تأييد الموقف العربى الفلسطينى فى القدس باجراءات عملية. ٦٧

- ترجمة الموقف العربى لاجراءات عملية، تزرع المصداقية لدى كافة المستويات الاقليمية والدولية، لتسهم بالتالى فى توليد ضغوط على اسرائيل للتراجع عن هذه السياسة الاستيطانية.
- تشجيع المقاومة الفلسطينية فى الداخل لتكون اداه ضغط على اسرائيل باعادة النظر فى هذا الطريق غير السلامى.
- استمرار مؤسسة القمة العربية، لأنها تثير رعب اسرائيل، ولنتذكر رد الفعل الاسرائيلى ومن نتنياهو نفسه عندما تم عقد القمة العربية الأخيرة فى يونيه ١٩٩٦م.
- والأمر جد خطير، ويحتاج إلى تركيز من جانب العرب ازاء هذه القضية الحساسة دينياً والتى تحتاج إلى أدوات عديدة للتعامل معها وبدون ذلك فان "العوض على الله" فى قدسنا الشريفة ومع ذلك فإن الأمل يحدونا فى نجاح الموقف العربى بإذن الله.

** ** **

المبحث الثالث

هل آن لهذا الجيل أن يرى الدولة الفلسطينية؟*

كان إعلان الدولة الفلسطينية فـى ١٥/ نوفمبر/١٩٨٨ حدث غير عـادى ولابد من الوقوف أمامه تـأملاً وتحليلاً واستشـرافاً للمستقبل. فقد جـاء فـى نهايـة جلسات المجلس الوطنى الفلسطينى وهو المؤسسة التشريعية للفلسـطينين التـى لهـا السلطة الكاملة فى اصـدار مثل هـذه القـرارات الكـبرى، وجـاء أيضـاً فـى أعقـاب انتخابين هامين، وهى الانتخابات الاسرائيلية، ثم الانتخابـات الأمريكيـة، ومـن ثـم فان مسألة ميقات إصدار هذا القرار يمثل أهمية كبرى وقد حالفها التوفيق إلـى حـد كبير. ولاشك أن هذا التاريخ الذى أعلـن فيـه هـذا القـرار سـيظل محـوراً لأحـداث كبرى قادمة، ومركزاً رئيسياً للتفاعلات القادمة فى هذه المنطقة .

وفى ضوء هذه المقدمة يمكن تناول عدد من النقاط الهامة :

أولاً : أن هذا القرار جاء نتاجاً لجملة أحداث كبرى فى المنطقة محورها الرئيسى انتفاضة الشعب الفلسطينى فى داخـل الأرض المحتلـة منـذ مـا يقـرب مـن عام، وإستمرارها بدون إنقطاع، وكثافتها بدون إنخفاض، مما كان له أبلـغ الأثر فى ميل ميزان القوى فى أحد أبعاده لصالح الفلسطينين فـى مواجهـة إسـرائيل. عـلاوة علـى ذلـك القـرار الأردنـى بفـك الروابـط بيـن الأردن والضفة الغربية فى ٣١ يوليو الماضى الذى اختلف حوله الكثيرون مؤيداً ومعارضاً ومتحفظاً، وفى جميع الأحوال سيبقى لهذا القرار دلالاته الكبرى فى تاريخ القضية الفلسطينية إيجاباً بغض النظر عن النوايا الموجودة لـدى الطرف الأردنى، وقد عجل هذا القرار بتواتر الأحداث وإندفاعهـا ناحيــة ١٩

* نشرت بجريدة الجمهورية، ١٩٨٩/٦/١٥.

فكـرة إعـلان الدولـة الفلسطينيـة متجـاوزاً الآراء المطروحـة كالإكتفـاء بحكومة فى المنفى، أو استمرار الأوضاع كما هـى عليـه،... إلـخ ثـم تلـك الجهود الفلسطينية لتهيئة البيئة العربية والدولية للأفكار الفلسطينية المُزمـع إعلانها والتى من أبرزها لقاء العقبة بين (مبارك، وعرفات، وحسين) ممـا ساعد إلى حد كبير على إعداد المسرح الإقليمـى والدولـى لقبـول قـرارات المجلس الوطنى الفلسطينى .

ثانياً : أن قـرارات المجلس الوطنـى الفلسـطينى جـاءت ترجمـة لمجمـل العوامـل الداخلية لصفة أساسية. فالعامل الداخلى فى نظرنا هو الأساس فى تحريـك الصراع وبدونه تبقى الأمور كما هى دون أن يحركها ساكن مهمـا كـانت قوة العوامل الخارجية. فقضايا التحرير والإستقلال الوطنى لدول العالم لـم تأت إلا بفعـل عوامـل داخليـة فيهـا وليـس بفضـل عوامـل خارجيـة أهدت الإستقلال للشعوب على طبق من ذهب أو حتى فضة أو حتـى علـى طبـق صفيح !! .

ومن هنا فإن تقدير الإنتفاضة ووضعها فى النصاب الصحيـح فـى الصراع العربى الإسرائيلى، يجعل من هذه الإنتفاضة الشعبية الفلسطينية- والتى إعتبرها ثورة شـعبية حقيقيـة - محـور التغيرات التـى أعقبتهـا فـى مسـار القضيـة الفلسـطينية بصفـة خاصـة، ومسـار الصـراع العربـى الإسرائيلى بصفة عامة .

ومن ثم فان فهم مجمل التطورات التى شهدتها المنطقـة يـأتى فـى إطار قوة وتأثير العوامل الداخليـة وهـى لُـب القضيـة بمجملهـا. فهـل كـان يتصور أحد السعى الدءوب من الولايات المتحدة خلال عام الإنتخابات فى القضية الفلسطينية بغـض النظـر عـن المقـاصد، لـولا تفجر الإنتفاضـة أو الثورة الشعبية فى داخل فلسطين المحتلة ؟ وهل يتصور أحد ذلك التطور

فى الموقف الأوربى والحديث عن حقوق الشعب الفلسطينى فى إقامة وطن له وهو ما سمعناه من بعض قادة الدول الأوربية كفرنسا على سبيل المثال؟ ألم يتحرك العرب - ولو على استحياء - كرد فعل للانتفاضة بغض النظر عن حصاد هذا التحرك البطئ؟ .

ومن ثم فإن العامل الداخلى سيظل هو المتغير الأساسى فى الصراع العربى الإسرائيلى حاضراً ومستقبلاً، وأن العوامل الخارجية ما هى إلا هى رد فعل مُجبر له .

ثالثاً : أن قرار إعلان الدولة الفلسطينية يمثل أملاً كبيراً لجيل بل أجيال مختلفة. فالكثيرين يعانون من جراء إستمرار هذه القضية طيلة الفترة الطويلة الماضية بدون حل، ولكن مع هذا الإعلان عن إقامة الدولة تنفس الكثيرون الصعداء، وشعروا بأنه من الممكن الحديث عن دولة فلسطينية، بل يمكن لهم أن يروا مثل هذه الدولة حقيقة واقعة قبل أن يرحلوا إلى مثواهم الأخير. فتتابع الأحداث طيلة العام الماضى بايقاع سريع ومتلاحق وبكثافة غير معتادة خلق الأمل عند الشعب العربى، وجدد حيويته فى التفاعل مع مسارات هذه القضية بعد ماخبت مؤقتاً منذ إحدى عشر عاماً، وأشعل فى نفوسنا كجيل وسط بأنه من الممكن تحقيق الحلم الذى ظل يراودنا وإستنزف الكثير من طاقاتنا وهو إقامة هذا الكيان الفلسطينى مرة أخرى بعد أربعين عاماً حاول الإسرائيليون ومن يساندهم أن يطمسوه.

رابعاً: أن هذا الإعلان يثير تحديات كبيرة فى الأيام القادمة أى فى المستقبل، وأن الأمر لا يقف عند مجرد الاعلان، وإلا أصبحنا واهمين. فهناك حتمية للسعى نحو استمرارية كافة الضغوط على اسرائيل والمجتمع الدولى ومحورها استمرارية الثورة الداخلية فى الأرض المحتلة لإجبار اسرائيل على ترك هذه الأراضى، وإلى جانب ذلك يستدعى الأمر ضرورة التئام

الجسد الفلسطينى وتـأكيد اسـتقلاليته ووحدتـه درءًا لهـدر طاقاتـه فـى صراعات جانبية، وضرورة إلتئام الجسد العربى من الطعنـات والجـروح التى أصابته طوال السنوات الاحدى عشر الماضيـة لاعـادة حشد طاقاتـه الحقيقية لتمكين اقامة الدولة الفلسطينية فعلياً، حتى يتمكن العرب من بحث قضايا مستقبلية لم يعد هناك من مكان لتجاهلها ومن أهمها الكيـان العربـى فى مواجهة الكيانات العالمية الأخرى – أى فـى مواجهـة عـالم يتجـه إلـى التوحد فى قطاعاته المختلفة كمـا سيحدث فـى ١٩٩٢ عندمـا تعلن أوربـا الموحدة .

وأخيراً: فإنه على الرغم من الفرحة الكبرى التى عمت الجمـاهير العربيـة فـى كـل مكان فـى أعقـاب اعـلان قيـام الدولـة الفلسطينية فـى الخـامس عشـر مـن نوفمبر ١٩٨٨ حيث تـراءى لهذا الجيـل أن يتحـدث عـن دولـة فلسـطينية كانت مجرد سراباً من قبل، إلا أن الأمر يقودنا إلى تحديات كبيرة وهمـوم أكبر يحملها الشعب العربى على أكتافه تتمثل فى إيجاد الدولـة الفلسطينية على الأرض العربية المحتلة فعلياً، بل هناك من التحديات ومـا يـدور فـى الأفق الكثير ولكن لهذا حديث آخر حتى لا تسرقنا الأحـلام. فـاذا كـان قد تراءى لهذا الجيل فى هذه الأيـام أن يتحـدث عـن " إعـلان " اقامـة الدولـة الفلسطينية، فهل يمكن لهذا الجيل أيضاً أن يرى الدولة الفلسـطينية العربيـة كياناً ذات سيادة حقيقية على أرضه؟ هذا هو ما سيكون محـوراً لأحـاديث الأيام القادمة .

١٠

** ** **

المبحث الرابع

مأزق إعلان الدولة الفلسطينية وضرورات التأجيل (*)

يمثل اعلان الدولة الفلسطينية رسمياً فى الرابع من مايو القادم، مُعضلة كبرى أمام القيادة الفلسطينية فى هذه الآونة. فالصحيح أن الإعلان فى الموعد المحدد بالرابع من مايو ١٩٩٩م يأتى تجسيداً لاتفاقات رسمية سابقة رغم سبق تأجيلها من قبل فى ضوء سياسة التعنت الإسرائيلية فى عهد نتنياهو والمساندة الأمريكية له. ومن ثم فإنه وفقاً لما استقر عليه فى القانون الدولى، فإنه من الضرورى احترام الاتفاقات المعقودة بين الدول والموقع عليها بإرادة شعبيها. وكما سبق أن تم الاتفاق بين الدولتين منذ أوسلو ١ وما أعقبها، فإن اعلان الدولة الفلسطينية مسألة اجرائية أكثر مما تحتاجه إلى موافقة جديدة بين الدولتين (فلسطين – واسرائيل) ولذلك فإنه طبقاً لمقررات المعاهدات الدولية، فإنه يجوز للطرف الفلسطينى أن يعلن عن دولته المستقلة فى الموعد المتفق عليه دون انتظار لموافقة الطرف الثانى وهو اسرائيل.

فالحديث اذن عن "الشرعية القانونية" لاعلان الدولة الفلسطينية فى الرابع من مايو القادم، هو حديث عن شرعية سليمة ولا تحتاج إلى جدل، وهى فى المعنى الأخير مسألة تحصيل حاصل دونما حاجة إلى جهد فى التفكير والنقاش.

- لكن ما هى المعضلة إذن إذا كان أمر الإعلان هو بهذه الصورة البسيطة والتى يغلب عليها الطابع الاجرائى أكثر منه طابعاً ذات مضمون؟

فى اعتقادى، أن المعضلة الرئيسية فى الموضوع تكمن أساساً فى "الشرعية السياسية" لفكرة اعلان الدولة الفلسطينية فى الموعد المحدد سلفاً –

* نشرت فى جريدة الاتحاد الامارائية فى ٤ أبريل ١٩٩٩م.

ونعنى بالشرعية السياسية القبول الفعلى بهذا الإعلان من جانب الفلسطينيين عن دولتهم. فهل يمكن تصور أن يتم قبول دول العالم لهذه الدولة الجديدة أم يصعب التفاعل الدولى مع هذا القرار الفلسطينى فى وسط الظروف الاقليمية والدولية؟ وهل يمكن الذهاب إلى أن القبول الدولى من القوى الكبرى هو أساس الشرعية السياسية فى هذه الظروف الدولية الحالية أم لا؟ وهل لو أعلنت السلطة الفلسطينية بزعامة عرفات عن قرار بالإعلان عن الدولة الفلسطينية من جانب واحد فى الرابع من مايو القادم، يمكن أن يقودها إلى مكاسب أم إلى خسائر؟

إن التقدير الفعلى لوزن هذا القرار الفلسطينى بالإعلان من عدمه، ينبع من درجة الإدراك الفعلى للبيئة المحيطة للسلطة الفلسطينية داخلياً واقليمياً ودولياً.

فقراءة البيئة الواقعية للقرار الفلسطينى فى هذا الصدد، تشير إلى وجود عدة عوامل لابد من أخذها فى الإعتبار، ومنها:-

(١) **الانتخابات الاسرائيلية:**

من الملاحظ أن ورقة اعلان الدولة الفلسطينية فى الرابع من مايو القادم، ليست ورقة ذات أهمية كبرى فى معركة الانتخابات الاسرائيلية، والدليل على ذلك هو الاتفاق الاجماعى على تحديد موعد ١٦ مايو لاتمام هذه الانتخابات، بعد فوات الموعد الرسمى لاعلان عن هذه الدولة. والهدف كما هو واضح تفويت الفرصة على الفلسطينيين للإعلان المنفرد عن دولتهم، وتعريضهم لضغوط خارجية تحثهم عن عدم الاصرار على الاعلان عن الدولة فى هذه الآونة. فالصحيح أن بعض القوى السياسية فى اسرائيل ككتلة العمل توافق على الدولة الفلسطينية من حيث المبدأ وهذا يستدعى عدم التعجل فى الاعلان قبل الانتخابات الاسرائيلية، على عكس

قوى سياسية أخـرى فـى مقدمتهـا كتلـة الليكـود والتيـارات الدينيـة ترفـض نهائيـاً مجـرد فكـرة وجـود دولـة فلسـطينية. ولذلـك فـإن سياسـة نتينيـاهو الليكـودى ازاء هـذا الموضـوع، باعتبـاره رئيـس الحكومـة حاليـاً، يرفـض اعلان عرفات عن دولته فى الرابع من مـايو، فـى الوقـت الـذى يتبـع فيـه منهجـاً لتوظيـف الولايـات المتحـدة فـى ممارسـة الضغـوط علـى عرفـات لاقلاعه عن أى قرارات انفراديـة. بالإضافـة إلـى ذلـك نلاحـظ التهديـدات المتتاليـة مـن نتينيـاهو، بـالاقدام علـى اعـادة احتـلال أراضـى السـلطة الفلسـطينية، وطـرد عرفـات، ومعـاودة فكـرة الحصـار للفلسـطينيين مـرة أخرى، فضلاً عن وجود خطط عديدة لمقاومة هذا الاتجاه الفلسطينى.

وبالتالى فإن مسألة مناخ الانتخابـات الاسرائيلية تسـاهم فـى خلـق معضلة أمام القيادة الفلسـطينية التـى عليهـا أن تـدرك حقـائق هـذا الوضـع لكيفية القفز عليها بما فيه المصلحة الوطنية الأفضل للشعب الفلسطينى فـى هذه المرحلة.

(٢) **الضغوط الأمريكية فى اتجاه تأجيل الاعلان عن الدولة الفلسطينية :**

فقد لوحظ على المستوى الرسمى أن هناك اشـارات عديـدة وردت علىَ لسان وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت وعـدد مـن مسـاعديها، تشـير إلى ضرورة تأجيل الاعلان الفلسطينى عن دولتهم فـى الرابـع مـن مـايو القادم. وقد نوحت أولبرايت بإمكانية الاعتراف الفورى من جانب الولايات المتحدة للدولة الفلسطينية فور الاعلان عنها فى الموعد الجديد الذى يمكـن الاتفاق عليه، مع التهديد بوقـف المسـاعدات للسلطة الفلسـطينية فـى حالـة اصرار قيادتها على الاعلان من جانب واحد فى ظـل هـذه الظـروف وقـد دخـل الكونجرس الأمريكى دائرة الضغوط على الفلسطينين ومسانـــدة الاسرائيلين، بمطالبة السلطة الفلسطينية رسمياً بتأجيل الاعلان عن الدولة

فى الموعد المقرر، والتهديد رسمياً بوقف المساعدات لها من جانب، واعادة النظر فى وضع التمثيل الدبلوماسى للسلطة الفلسطينية داخل واشنطن الذى يتجدد سنوياً. والصحيح أن الإدارة الأمريكية لم تعلق على هذه القرارات من الكونجرس، إلا أنها تراعى ما يتخذ فى هذا الشأن من جانب الكونجرس عند الاعلان عن قراراتها بصفة نهائية. وتوقعاتى أن تستمر الادارة الأمريكية فى الاستجابة لقرارات الكونجرس، وممارسة الضغوط على الفلسطينيين لاضعاف موقفهم واحراجهم أمام النظام الدولى بعدم اختفاء الشرعية السياسية على هذا القرار الانفرادى. ومن ثم فإن الولايات المتحدة رسمياً وغير رسمياً، تمارس سياسة "العصا والجزرة" فى هذا الشأن.

(٣) **مواقف الدول الكبرى الأخرى:**

لقد قام الرئيس ياسر عرفات بجهود كبيرة فى الأيام السابقة، بزيارته لعدد من الدول العربية، وعدد كبير من دول أوربا الغربية وروسيا، وبعض دول آسيا، وكلها تصب فى محاولة التعبئة الدبلوماسية للدول الكبرى المؤثرة فى النظام الدولى، للموافقة على اعلان الفلسطينيين عن دولتهم فى الموعد المقرر فى الرابع من مايو القادم. إلا أن متابعة مواقف الصين وروسيا وفرنسا بالذات، تشير إلى أن هذه الدول تؤيد اعلان الدولة الفلسطينية، بشرط توافر الظروف الأفضل لهذا الاعلان منعاً لأية خسائر، ودعماً للسلطة الفلسطينية والاستقرار فى المنطقة. وقد عبر عن ذلك بوضوح:(هوبير مندرين) وزير خارجية فرنسا الذى قال : "ان **للسلطة الفلسطينية الحق فى اعلان دولة طبقاً للاتفاقات السابقة التى انطلقت على أساسها عملية السلام سواء فى(مدريد أو أوسلو وواى ريفر). ولكن يجب أن يتم هذا الاعلان عن الدولة فى أفضل الظروف الممكنة لمستقبل الفلسطينيين"**

ولذلك فإن أخذ هذه المواقف المشروطة بتوافر الظروف الأفضل فى الاعتبار، تسهم فى ضرورة مراعاه ذلك فى اختيارات السلطة الفلسطينية فلم يلاحظ موقف حاسم لهذه الدول فى تأييد الاعلان المنفرد عن الدولة الفلسطينية فى مايو القادم.

(٤) **الاتجاهات المتباينة داخل السلطة الفلسطينية ازاء هذا الموضوع:-**

يلاحظ وجود فريقين، **أحدهما:** يؤيد الاعلان الانفرادى والفورى عن الدولة فى الموعد المقرر سلفاً وفقاً للاتفاقيات المبرمة، **والثانى:** يسعى إلى التفكير فى التأجيل سعياً نحو خلق ظروف أفضل، وتحقيق مكاسب أوسع للسلطة الفلسطينية والدولة المتوقعة. والصحيح أن الجانب الأقوى هو فى الاعلان عن الدولة فى الموعد المحدد دعماً للمصداقية فى شرعية النخبة الحاكمة فى فلسطين. وهناك قوى كبيرة منها الجهاد وحماس، وان كانت مع الاعلان الفورى، إلا أنها ترى أن ياسر عرفات غير قادر فى هذه المرحلة على الاعلان الانفرادى. والمتابع لتصريحات ياسر عرفات فى الوقت الحالى، فإنها وان كانت تميل إلى التشدد فى الاعلان عن الدولة الفلسطينية فى موعدها المقرر فى الرابع من مايو القادم، إلا أنه يترك مجالاً للنقاش والتراجع فى الوقت المناسب، والتلميح بامكانية التأجيل يتضمنها خطابه الحالى وان كان بصورة غير مباشرة. كما يلاحظ أن لهجة ياسر عرفات ازاء تهديدات نتينياهو بضم مناطق السلطة الفلسطينية، تتسم بالتحدى حيث يرد بقوله: **"أننا مستعدون لخوض معارك كرامة كل يوم لمواجهة أى محاولة لانتقاص حق الفلسطينين فى اقامة دولتهم المستقلة".**

• وعلى أية حال فإن هذه العوامل المختلفة تشير إلى ضرورة تأجيل الاعلان عن الدولة الفلسطينية فى الرابع من مايو ١٩٩٩م سعياً نحو تعظيم المكاسب واستثماراً لموجة التعاطف الدولى والعربى مع ضرورة اعلان الدولة الفلسطينية ولكن فى ظروف أفضل مما هو عليه الآن. حيث تكون الانتخابات الاسرائيلية قد انتهت ويكون نتنياهو المعوق لعملية السلام أساساً قد رحل، وربما يكون المناخ أصبح مواتياً لتفاوض أفضل مع الاسرائيلين. ولذلك فإننا نرى أن يستمر الرئيس عرفات فى توظيف فكرة الاعلان الانفرادى حتى آخر لحظة مع بداية مايو القادم للحصول على المزيد من المكاسب والوعود المضمونة لا المعسولة، باعتبار أن هذه الفكرة ورقة تفاوضية مهمة فى هذه المرحلة. ثم تأتى مرحلة الاعلان عن تأجيل اعلان الدولة الفلسطينية لمدة يقدرها المفاوض الفلسطينى، وتكون محددة وحظيت بتأييد دولى، وأعتقد الا تزيد عن ثلاثة أشهر فقط حرصاً على تماسك الداخل الفلسطينى حول قيادته واستثماراً للوعود العربية والدولية، وقبل الدخول فى دائرة الانتخابات الأمريكية التى قد يؤدى بنا الأمر إلى تأجيل الأمر برمته إلى ما بعد عام ٢٠٠٠. وفى المعنى الأخير، فإذا كانت الضروريات تفرض التأجيل، الا أننا نرى أن هذا التأجيل لابد أن يكون مؤقتاً ومحسوباً بدقة.

•• •• ••

المبحث الخامس

حدود التأثير الأوربي في مسارات اعلان الدولة الفلسطينية!!(*)

في تطور إيجابي من الاتحاد الأوربي تجاه عملية السلام بين العرب ويمثلهم الفلسطينيون الآن، وبين اسرائيل، قد يكون له تأثير على مسارات الأسابيع القادمة بلا شك، صدر عن قمة الاتحاد الأوربي في ختام اجتماعاتها في برلين مساء يوم ٢٥ مارس الماضي، بياناً، وصفة المحللون والمراقبون بأنه بيان تاريخي لما يتضمنه من عناصر ايجابية لصالح الطرف الفلسطيني في هذه المرحلة الحاسمة. وقد تضمن هذا البيان الهام ست نقاط محددة، أولها تتعلق بالدعوة للحل التفاوضي على أساس الأرض مقابل السلام، وضرورة الالتزام بتطبيق مذكرة واي ريفر بالكامل وفوراً. والثانية تتعلق بدعوة الأطراف إلى تأكيد التزامها بالمبادئ الأساسية في اطار قرارات مجلس الأمن مروراً بمدريد وحتى أوسلو. والثالثة تتضمن الدعوة إلى استئناف المفاوضات بشأن الوضع النهائي وبسرعة وعلى أن تنتهي في غضون سنة فقط وان الاتحاد لديه الاستعداد لتسهيل ذلك بسرعة. والنقطة الرابعة تتعلق برفض أي نشاطات تؤثر عل مفاوضات الوضع النهائي خاصة ما يخالف القانون الدولي بما في ذلك أي نشاط استيطاني ومحاربة الاستفزازات والعنف. أما النقطة الخامسة تنص على : "يعرب الاتحاد عن اقتناعه بأن اقامة دولة فلسطينية ديموقراطية مسالمة قادرة على الاستمرار على قاعدة الاتفاقات الحالية وعبر المفاوضات ستكون الضمانة الفضلى لأمن اسرائيل وبقبول اسرائيل كشريك متساو في المنطقة"، كما يعرب الاتحاد عن

---

* نشرت في جريدة "الاتحاد الاماراتية، ١٩٩٩/٤/١٤م.

استعداده لبحث الاعتراف بدولة فلسطينية فى الوقت المناسب مع المبادئ الاساسية السابق ذكرها. وأخيراً : فإن النقطة السادسة يدعو فيها الاتحاد إلى إستئناف سريع للمفاوضات على المسارين السورى واللبنانى فى عملية السلام وذلك تطبيقاً لقرارات مجلس الأمن ٢٤٢،٣٣٨، ٤٢٥.

وقد جاء هذا البيان كمرحلة أخرى فى سلسلة المواقف المعلنة لتأييد الحق الفلسطينى والدعوة إلى الالتزام بالقانون الدولى وبما أصدرته الأمم المتحدة وخاصة مجلس الأمن وقراراته التاريخية، فضلاً عن مقررات المؤتمرات الدولية والاتفاقات التى تمخضت عنها. حيث كان قد سبق للإتحاد أن أصدر بيانين هامين أولهما يتعلق بالرفض الأوربى الواضح لسياسة الاستيطان الاسرائيلية، ورفض اقامة أى مستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة لعدم شرعيتها وتأثيرها على عملية السلام ومساراتها. والثانى: تتعلق بتأكيد الاتحاد على الوضع الخاص لمدينة القدس والالتزام بشدة بما قرره القانون الدولى ازائها، ويرفض بالتالى سياسة اسرائيل وموقفها الداعى إلى اعتبار القدس عاصمة لاسرائيل، حتى الجزء الغربى منها يرفض الاتحاد اعتباره كذلك.

- ومن ثم فإن المحلل السياسى لا يجد أمام هذا البيان الأوربى الأخير الداعم لاستمرار عملية السلام وتأكيد اقامة الدولة الفلسطينية وتحديد مدة زمنية بعام واحد لانهاء المفاوضات النهائية لهذه العملية، إلا أن يفسره بأنه تطور هام فى الموقف الأوربى إزاء عملية السلام العربى الأسرائيلى فى هذه المرحلة.

• ولذلك فإن المتتبع أيضاً لردود الأفعال التى صدرت ازاء هذا البيان يجد ثلاثة مواقف هى : الأول وتتضمن الموقف العربى المؤيد لهذا البيان سواء من جانب الدول العربية الرئيسية، أو من الجانب الفلسطينى، أو من جانب جامعة الدول العربية، فضلاً عن العديد من الدول فى انحاء كثيرة من العالم. أما الموقف الثانى فيتمثل فى الموقف الاسرائيلى الرسمى على لسان نتنياهو الذى رفض البيان وندد به بعبارات اتسمت بالقسوة، حيث شبه الموقف الأوربى بالمحرقة االتى ارتكبها النازيون فى حق اليهود. وهو بالطبع موقف انتهازى كالعادة، ولازال يعيش فى وهم الأكذوبة التى صنعتها القوى الصهيونية والتى أثبت المفكر الفرنسى "جارودى" أن "الهولوكست" خدعة استطاع من خلالها الصهاينة استنزاف الألمان والغرب لحسابهم طوال الحقبة الماضية، فى كتابه"الأساطير الاسرائيلية" والتى حوكم لهذا فى بلاد الحرية والديموقراطية !!. لكن فى نفس الوقت نجد فى الموقف الاسرائيلى غير الرسمى ما صرح به "يوسى ساريد" رئيس حركة ميريت الاسرائيلية، منتقداً تصريحات نتنياهو بشأن الاعلان الأوربى المؤيد لقيام الدولة الفلسطينية مؤكداً أن الدولة الفلسطينية ليست عقوبة لاسرائيل ولكنها"وصفة" وحيدة للسلام. والموقف الثالث فهو الموقف الأمريكى، والذى يساير الموقف الاسرائيلى الرسمى بغير ضوابط على الاطلاق، وان كان لذلك تفسيره بالطبع. فقد أعلن جيمس روبين المتحدث باسم الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة تعارض اعلان الدولة الفلسطينية من جانب واحد تماشياً مع اتفاقات أوسلو التى أكدت أن جميع مشكلات الوضع النهائى يجب أن تحل عن طريق المفاوضات فقط، وأن هذه المفاوضات يجب ألا تكون بلا نهاية، ويجب أن تستكمل خلال فترة محددة فى اطار زمنى. وأشار إلى أنه من الواضح أن هناك وجهات نظر لا تتفق الولايات المتحدة والاتحاد الأوربى بشأنها.والموقف الأمريكى ١٥

فى الوقت الذى يرفض فيه البيان الأوربى، يدعو إلى "تمييع" المسألة وعدم وضع ضوابط للمفاوضات التى يراها الأمريكيون أنها هدف - على ما يبدو فى حد ذاته. كما أرادت الولايات المتحدة اجهاض أى تأثير للموقف الأوربى الداعم لاقامة الدولة الفلسطينية والحث على وضع موعد لانجاز المفاوضات النهائية بعام، وهو ما يتناقض تماماً مع الموقف الأمريكى المعلن حتى الآن.

وفى ضوء هذه المواقف المختلفة بين تأييد دولى جارف لهذا البيان الأوربى، وبين رفض أمريكى اسرائيلى مستفز، يبرز تساؤل حول الجدوى الحقيقية لمثل هذا البيان وانعكاساته على المستقبل؟ فمن خلال متابعة التحرك الأوربى بعد بيان القمة، استرعى الانتباه ذلك الاعلان عن قيام المبعوث الأوربى لعملية السلام فى الشرق الأوسط وهو "ميجيل موارتينوس"، بزيارة لعدد من دول المنطقة لمدة يومين خلال الفترة من ٨ - ١٠ أبريل الجارى، وذلك بهدف المتابعة الدورية التى يقوم بها مع الدول المعنية بعملية السلام، وأيضاً فإن هذا التحرك يندرج فى اطار التحضير لمؤتمر وزراء الخارجية لدول الشراكة الأوربية المتوسطية الذى سيعقد فى شتو تجارت فى منتصف أبريل، وهو المؤتمر الدورى الثالث. ومن المقرر أن تشارك اسرائيل فى المؤتمر لتحقيق مكاسب اقتصادية ومالية من الدول الأوربية دون الاسهام فى تحريك عملية السلام وبعيداً عن مسارات الشراكة الأوربية المتوسطية. كما أنه فى تصريح فى ندوة دولية فى باريس بنهاية مارس الماضى، أكد موراتينوس أن إعلان برلين الصادر عن الاتحاد الأوربى يؤكد أن أوربا ليست خارج عملية السلام وأن له تأثير سياسى فى الشرق الأوسط، ولا يقتصر دوره على

التمويل والجوانب الاقتصادية فقط كما يريد البعض. ووصف المبعوث الأوربى هذا البيان بأنه "تاريخى"، وأنه عكس ارادة أوربية موحدة ظهرت لأول مرة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وفى المعنى الأخير فسر البيان بأنه جاء انتصاراً من أجل السلام.

ولاشك أن هذا التحرك والتأكيد الأوربى يعكس اصراراً على التواجد فى قلب عملية السلام، مستغلاً فرصة الانشغال الاسرائيلى بالانتخابات الداخلية، ومستثمراً ما يمكن المزايدة على ذلك مما قد يسهم فى تحريك عملية السلام فى مسار ايجابى . وكما هو معروف فإن التحرك الأوربى يأتى دائماً "لملء الفراغ الأمريكى" الذى يبدو بين حين وآخر. وأنه من الواضح أن الولايات المتحدة لا تريد اظهار معارضتها ل نتنياهو علانية كما حدث فى انتخابات ١٩٩٦، بل يمكن ممارسة الضغوط عليه من خلال موقف أوربى متشدد، لا بأس من معارضة أمريكية له فى المعلن فى ضوء توزيع الأدوار. كذلك فإن الموقف الأوربى يمثل قوة معنوية كبيرة للطرف الفلسطينى فى مرحلة الاعلان عن الدولة يحتاج إلى المزيد من الجهد لاستثماره حاضراً ومستقبلاً. ولكن هذا الموقف لا يمكن تطويره بشكل ايجابى وعلى المستوى الحركى فى ممارسة الضغوط الفعلية على اسرائيل إلا بربطه بالمصالح الاقتصادية لاسرائيل، والتى من خلالها تمارس الضغوط لجعل اسرائيل تلتزم بالحقوق الفلسطينية والعربية. وإلا سيظل هذا الدعم المعنوى الأوربى قولا بلا فعل، وحدود التأثير محدودة فى مسارات السلام واعلان الدولة الفلسطينية.

** ** **

الفصل الخامس

تحديات الجنوب اللبنانى والجبهة السورية وثقافة المقاومة

١٦٤

المبحث الأول

الحصاد العربى المُر فى "قانا": محاولة لفك الحصار !!*

الوضع قد ازداد مأساوية فى عالمنا العربى – ان شئنا أن نسميه هكذا – لأننا نحب أن نسميه بعالم عربى ولكن بكل أسف فالواقع يشهد بأنه لا يوجد فعلاً ما يعكس هذا الوجود لهذا "العالم العربى" . ورغم أن الجغرافيه باعتبارها تعكس تقارب المساحات والشعوب الناطقة باللغة العربية إلا أن الواقع يشهد تناحراً فى المصالح، ومن ثم فان التاريخ الذى يعكس مرآة الزمن بأطواره المختلفه هو الذى نعيش فى هيامه أننا أمة واحدة وشعب واحد وتاريح واحد !!

وهذا لا بأس به فالوجدان لابد وأن يمتلأ بمجموعة من القناعات حتى ان ظهر الفعل فى أرض الواقع (يصبح) له تجسيدا حيا وقبولاً جماهيرياً . ودون الدخول فى متاهات نكرية قد لا يرضى بها القارىء أولاً تشبع زاده ، فقد يشعر بالمأساه كل من تابع المجزرة الاسرائيلية التى استمرت لمدة (١٦) يوماً متواصلة على قرى لبنان وخاصة قرية "قانا" ، وفى الوقت الذى تم تدمير منازل المدنيين وسكانها من أطفال وشيوخ ونساء وشباب، فقد تم تدمير مركز الأمم المتحدة عن آخره . وفى آخر تقارير الأمم المتحدة المنشورة فى واشنطن ان أحد العاملين فى مركز قيادة قوات الأمم المتحدة فى لبنان قد أبلغ الاسرائيليين قبل الهجوم بأن قرية "قانا" بها مدنيون وجذرهم من الهجوم عليها تحت أى مبرر . وبالتالى فان هجوم الاسرائيلين عل المدنيين كان متُعمداً وبالمناسبة فإن تصريح الأمم المتحدة هذا قد أغضب الاسرائيلين وأغضب الأمريكيين وسبباً لنقد الأمين العام للأمم المتحدة واتهامه بالتحيز للعرب واللبنانيين بل والمسيحيين ، وارتفعت أصوات لاستبداله فى المرة القادمة !!

---

* لم تنشر ، وتمت كتابتها فى ٨ مايو ١٩٩٦م.

وقد راح ضحية هذا الهجوم الاستفزازى الاسرائيلى على لبنان على مدار (١٦) يوماً ، ما يقرب من (١٠٠) قتيل ، وأكثر من (٥٠٠) جريح وتدمير آلاف المنازل ولم تقدر الخسائر الاقتصادية والنفسية والاجتماعية بعد . والسؤال هنا الذى نبحث عنه فى هذا المقال هو هل اصبحت الأرض العربية مستباحة فى أية لحظة يفكر فيها العد الأسرائيلى ! ثم ما هى جريمة هذا الاعتداء الاسرائيلى الغاشم، وجزاء قائد اسرائيل الملقب بصانع السلام وهو الآن صانع المجزرة ؟ هل يمكن أن يفلت بجريمته دون محاكمة ؟ هل يتذكر أحد أحدى الفدائيات وهى تُحاكم الآن فى ألمانيا بتهمة خطف طائرة ألمانية فى السبعينات إلى الصومال رغم محاكمتها فى الصومال وسجنت لمدة عامين ثم أُفرج عنها وانتهى الموضوع ، وهى فدائية فلسطينية، ومن يجرؤ اذن على المطالبة بمحاكمة بيريز الذى تسانده أمريكا بكل ثقلها فى هذه الفترة بحجة أنه من أنصار السلام، ودون أى توجيه نقد له أثناء هجومه على لبنان !! كذلك ، ما هو حجم الحصاد العربى فى هذه العملية الموجهة لجسدنا والطاعنة له بخنجر مسموم دون أن نشعر على ما يبدو بآلام؟!

• والحقيقة المرة التى أصبحت واضحة أمام الجميع، أن امكانيات الآخرين للعمل على مسرح الأرض العربية أكبر وأن فعل الآخرين أكبر وأن مساحة حرية حركتهم اكبر، وأنه لا تقارن بأى حال بامكانيات حركتنا أو فعلنا فرادى أو حتى فى حالة التنسيق – عندما يحدث فى حالة الضرورة . كما أن رد فعلنا بطىء ، ولا يحدث إلا بعد وقوع الكارثة وهذا الاستخلاص نابع من الدروس والعظات التى نجمت عن أزمات عديدة ، هاج فيها العقل العربى وبعض صانعى القرار من باب الحياء، واجتمع البعض ، وقد ينغض الاجتماع قبل عقده عندما تجيىء رسالة من العم يام تطيب خاطرهم – أن لم تكن بقصد الضحك عليهم أساساً – فهل يتذكر أحد، هجرة اليهود السوفييتى إلى إسرائيل ، وماذا تم فيها ؟! الآن وصل تعداد اسرائيل الرسمى فى ١٩٩٦ إلى ما يقرب من (٦) مليون ولم يكن عددها فى عام ١٩٩٠ يتعدى ٢,٥ مليون !!

وهؤلاء يفرضون عليك واقعاً !! هل يتذكر أحد مذبحة الحرم الإبراهيمى بالقدس وماذا تم فيها ؟! حيث يتباكى الاسرائيليون على عدد منهم فى انفجار أتوبيس ويدمرون ازاءه مدن كاملة !! وهل تتذكرون تهويد القدس وشراء الأراضى من الفلسطينين لصالح اليهود ونزع الملكيات الفلسطينية وثار العرب ودعوا لاجتماع قمة محدود ثم ألغى لمجرد رسالة العم سام وقرار اسرائيل بايقاف "مؤقت" – لاحظوا مؤقت– للموضوع . على الرغم من استمرارية اسرائيل فى تحدى الرأى العام والعرب والعالم الاسلامى بأن القدس هى عاصمة اسرائيل وستظل موحدة وخاضعة لها، ولذلك فهى تسير فى قراراتها بهدوء !! ثم نجد الأردنيين ينطلقون بسرعة الصاروخ فى التطبيع وكأنهم وحدهم فى الساحة دون ادراك أن القرار الأردنى جزء من القرار العربى ، كذلك نجد قطر تستقبل بيريز وقبلها سلطنة عمان ، وتونس والمغرب .. أى أن عدداً من العواصم العربية ، وبغض النظر عن أية ضغوط خارجية للاجبار فى التعامل مع اسرائيل فانه فى نفس اللحظة التى كانت اسرائيل تضرب لبنان ، فان أراضى عربية كانت تستقبله ، إلى حد أن ياسر عرفات كان يجتمع للنظر فى تعديل ميثاق المنظمة !! فكيف ننظر إلى الصورة العربية ؟ أليست بحق صورة مأساوية ؟! كما نجد أن الرئيس ياسر عرفات يرى أن دخوله البيت البيضاوى هو مكسب كبير نتاجاً للنظر فى تعديل ميثاق المنظمة ، فى نفس اللحظة التى صرح فيها كلينتون بأن أمريكا لا توافق على قيام دولة فلسطينية مستقلة !!

فى هذه الصورة "الميلودرامية" – ألا يحق لاسرائيل أن تعتبر من أرض العرب فى أى لحظة لها أرضاً مستباحة تدخلها وقتما تشاء ، وتضربها وقتما تشاء وستظل دائماً خسائرها محدودة؟! بالطبع نعم . أن بيريز عندما فكر فى ذلك – أى فى ضرب لبنان لتحقيق عدة أهداف ، منها اشعار العرب جميعاً بعجزهم وأن

اسرائيل هى الأقوى فى المنطقة، وثانياً تخويف سوريا من خلال احراجها مع لبنان وورقة حزب الله وقد لا يكون موفقاً فى هذا الى حد بعيد قد تحدث فتنة فيما بعد، فضلاً عن احراج مصر باستثمار مؤتمر "شرم الشيخ" باعطائه الضوء الأخضر – أى لإسرائيل – فى ضرب الأرهاب ومن نماذجه حزب الله كما جاء على لسان بيزيز فى حديثه لشبكة (CNN) خلال غارات اسرائيل على لبنان، حيث أن مصر أعلنت أن المؤتمر هو قمة صانعى السلام وليس للارهاب !!، وأخيرا هو قد أراد فى المعنى الأخير أن يحل مشاكله الداخلية فى الانتخابات لترجيح كفته على الليكود على حساب العرب بضرب أضعف الحلقات فى لبنان !!

والسؤال ماذا كان رد الفعل العربى ؟! لا يستطيع أحد أن يزعم أن هناك فعلاً عربياً استطاع أن يجعل أحد يتحرك فى العالم . أن النقد اللاذع نتيجة ضرب اسرائيل للمدنيين من الرأى العام الدولى كان اسبق من الموقف العربى فى الضغط على أمريكا التى أجبرت على تغيير موقفها من مساندة علنية الاسرائيل إلى مطالبة اسرائيل بوقف الغارات وارسال كلينتون لوزير خارجيته إلى المنطقة كوسيط للوصول إلى اتفاق بشأن ذلك وهو ما تم فعلاً بعد مجازر ١٦ يوم كما أن هناك وسيط فرنسى وجهود مشتركة؛ وهذا دور طبيعى لفرنسا فى الشام عموماً ولبنان خاصة ولكن هناك اهتمام فرنسى فى عهد شيراك بالوطن العربى ظهر فى هذه الأزمة، وتحركت فرنسا باهتمام بحكم مصالحها فى المنطقة . لكن (وزراء الخارجية) العرب اجتمعوا فى الجامعة العربية وتعاركوا بالكلام ولم يصلوا إلى شيىء ، والحال بكل أسف يندى له الجبين والشعوب فى ضيق وضجر مما يحدث!! ففى واشنطن دعت الجاليات العربية إلى مظاهرة للاحتجاج لدى البيت الأبيض على ما يحدث من اسرائيل ، وبمجمع نحو ألفين من العرب فقط!! ، وبالمناسبة فان عدد العرب – حسبما سمعت هنا فى واشنطن قد يصل إلى ما بين (٣-٥) مليون ولكن الوزن النسبى والسياسى لهم لا يذكر ، وهو ترجمة لوزنهم فى المنطقة العربية بكل أسف !!

• فالحصاد العربى اذن مرير ، والأرض العربية مستباحة أمام الاسرائيليين فى أى لحظة سواء عقدت معاهدات "سلام أم لا .. فهى أمور ورقية لكن القوة هى القوة فى النهاية !!، والفعل العربى غير موجود وغير مؤثر بالتالى ، والمواقف الرسمية مخزية وليست لها أية تبريرات وغير مقبولة، والأمر يحتاج إلى فك هذا الحصار لأن المنطقة لايمكن لها أن تظل هكذا فى وضع السجين مدى الحياة ولذلك فان الأمل يحدونا دائماً أن ينتصر العقل وخياراته فى ترجيح الخطوات التالية :

- وقف خطوات التطبيع مع اسرائيل من أى دولة عربية خاصة دول الخليج والأردن، الى حين الانتهاء من الانسحاب من سوريا ولبنان التزاما بقرارات جامعة الدول العربية والشرعية العربية .

- عدم تمكين ما يسمى الشرعية الدولية من الشرعية العربية ممثلة فى الدول الثلاث (ليبيا - والعراق والسودان) حتى لا يزداد الحصار الدولى الغربى للمنطقة العربية ويزداد ازلالها تاريخياً أكثر من ذلك لأن هذا يضر بالأمن القومى العربى ويرجح من كفة اسرائيل . مع ممارسة الضغط عربياً على هذه الأنظمة الثلاث ، لعدم الوقوع ثانية فى ذلك الشرك الدولى.

- الإفصاح عن موقف عربى موحد ازاء ما يسمى بالشرعية الدولية الأذدواجية التى تسمح بتجريم المعرب دون تجريم الاسرائيليين كما حدث أخيراً فى لبنان حيث لم يصدر قرار إدانه لاسرائيل ، بينما الإدانات المتتالية للعرب فى مواقف عديدة ضد ليبيا،وضد جماعة حماس، والعراق ١٤

والسودان .. ألخ، ومحاولة فك حصار عربى محدود على ليبيا والعراق خاصة على المستوى العربى للضغط على النظام الدولى . فهل يمكن السماح من جانب أمريكا للاسرائيليين بأن يمتلكوا السلاح النووى والكيماوى ، ويرفضوا الكيماوى لليبيا ويهددون بضربها بافتراض صحة المعلومات !! هل هذا عدل ؟!

- تعميق العلاقات مع أوربا لاحداث التوزان فى العلاقات الدولية بما يسمى بالبديل الأوربى أو الخيار الفرنسى (شيراك) أو الخيار الألمانى (كول) وهما يسعيان لاثبات وجودهما فى المنطقة . وقد اثبتت فرنسا أن لها رغبة فى ممارسة ذلك خلال أزمة قانا الأخيرة . وكذلك تعميق العلاقات مع الصين تلك القوة والقطب القادم كبديل جديد .

- أن اليوم ، قبل الغد، يستدعى اللحاق بالأحداث وتجاوزها وضرورة أن نتعلم الدرس ولا نتغافله . فالمنطقة العربية معرضة لحصار أبدى، فأن لم ندركه ونحاول فك بقوده بسرعه والافلات منه وتنمية منطقتنا ، فأننى مع كثيرين أخشى ما أخشاه أن تخرج الأمة العربية - صانعة الحضارة ، من التاريخ ، لفترة طويلة يعلم الله مداها .

•• •• ••

المبحث الثانى

جدوى التصعيد الاسرائيلى ضد لبنان وتداعياته *

المتتبع للأمور والأوضاع فى المنطقة العربية ولمسيرة السلام العربى الاسرائيلى فى هذه الآونة ، يلحظ انكسارة شديدة فى الموقف العربى لم نعيش لحظات مماثلة من قبل . فقد ارتفعت حدة التوترات بين اسرائيل وسوريا ، واسرائيل ولبنان ، واسرائيل وفلسطين .

كما أنه لوحظ خطابات التهديد من جانب اسرائيل تجاه مصر ، مما يبعث على القلق فى هذه الظروف على وجه التحديد . وبلغت هذه التوترات ذروتها من خلال القصف المتزايد والمكثف للطيران الاسرائيلى ضد لبنان بصورة غير مسبوقة نتج عنه المزيد من الدمار للبنية التحتية خاصة الكهرباء والمياه والمبانى السكنية ، وراح ضحية ذلك عشرات من المدنيين اللبنانيين بين جرحى وقتلى . ولم يوجد من بين أهل "العروبة" الأفاضل من يهب للدفاع عن لبنان حتى "بالحناجر لا بالسيوف" وهذه هى المأساة التى تبعث على السخرية وتثير فى النفس هو اجس تتعلق بمستقبل هذه الأمة المنكوبة والمغلوب على أمرها كما يخططون لها ، فيما بعد التسوية العرجاء" بين اسرائيل وجيرانها .

فواحسرتاه على هذا الزمن الردىء .. الذى تقوم فيه اسرائيل بالعدوان المستمر على لبنان دون رادع، ودون وجود من يرد ، وكأن ارادة الأمة العربية قد أممت ، ان لم يكن قد انتزع عنها سيف الرجولة والشهامة !!
وها هو السيد باراك الذى يظهر دائماً مبتسماً ابتسامة الأطفال يتحدى ويعلن أنه سيستمر فى ضرب لبنان حتى تخضع ارادتها ويجلس السوريون الى مائدة

---

* نشرت فى جريدة "الأهرام" ، فى ١٥ فبراير ٢٠٠٠م .

المفاوضات مطأطىء الرؤوس !! وها هى الولايات المتحدة راعية السلام فى المنطقة ، تقوم بمساندة اسرائيل وتأييدها فى عدوانها على لبنان بحجة أنها تدافع عن نفسها فى مواجهة حزب الله الذى يعد العقبة الأخيرة أمام عملية السلام!! .

نعم ، إنهم يطالبون بوأد آخر صفحة فى كتاب "اراده الأمة المنكوبة"، أى يطالبون بالقضاء التام على "حزب الله" فى لبنان . ورغم اختلاف التوجهات مع هذا الحزب، إلا أن المحلل السياسى سيقف أمام هذا الحزب وقدرته على الصمود فى وجه اسرائيل، والتصدى لكل الهجمات العدوانية التى تقوم بها اسرائيل وتمارس من خلالها السياسات العدوانية ضد المنطقة العربية ، وتؤكد بالتالى أن السلام المنشود هو السلام الاسرائيلى الذى تنحنى أمامه الأطراف العربية دون ارادة . لا شك أن مشاهدة هذا الحدث العدوانى الضخم لاسرائيل والذى بات مشهدا مستمراً دون رداع ، يؤكد بلا أدنى شك أن عملية السلام مهما شهدت من تطورات إلا أنها فارغة بلا مضمون حقيقى ، ولا تشير إلى وجود نوايا طيبة لدى اسرائيل تجاه المنطقة العربية .

واذا حاولنا تحليل هذا المشهد العدوانى المتكرر والذى يستهدف اخضاع ارادة الأمة، يمكن القول بالآتى : -

- أن التصعيد الاسرائيلى ضد لبنان هو تصرف متعمد من جانبها، تريد من خلاله ارسال رسالة إلى كل من سوريا ولبنان للجلوس معاً وبسرعة إلى مائدة المفاوضات .
- أن الصراع السورى الاسرائيلى يجرى على أرض الجنوب اللبنانى بحجة وجود قوة معوقة لعملية السلام تتمثل فى حزب الله . وبالتالى فإن مشهد استعراض القوة وخلل موازينها أصبح واضحاً فى ظل معادلات مضطربة، ومعطيات متعارضة .

- أنه بالقدر الذى تمارس فيه سوريا قدراً أكبر من المناورة ، وكسب الوقت واستعراض ورقة ضاغطة تجاه اسرائيل هى حزب الله وقدرته على الحركة داخل الحدود الاسرائيلية واثارة الفزع بين سكانها فى الشمال ، بالقدر الذى تبادر اسرائيل بالرد على هذا التوظيف السورى لحزب الله، بالرد العدوانى واسع النطاق لاضعاف هذه الورقة فى يد سوريا واظهارها غير قادرة على الرد المباشر على اسرائيل .
- يسعى كل طرف (سوريا واسرائيل) ، على تعظيم أوراق الضغط التى يمتلكها ، وتقوية موقف كل منهما التفاوضى للحصول على أقصى المكاسب ، خاصة منذ توقف المرحلة الثانية من المفاوضات فى العاشر من يناير الماضى، ولبنان تبدو وهى الوسيلة والهدف لتحقيق ذلك .
- يأتى هذا التصعيد فى ظل فشل "دينيس روسى" منسق عملية السلام من جانب الولايات ، فى الوساطة بين الفلسطينين واسرائيل ، فى الوقت الذى ساندت فيه الولايات المتحدة اسرائيل فى عدوانها بحجة ضرورة كسر شوكة آخر عقبة فى طريق السلام فى "الشرق الأوسط" .
- وهذا يثير بدوره علامة استفهام كبرى حول "السقف النهائى " لهذه التصرفات العدوانية من جانب اسرائيل " فهل وصلت إلى نهايتها أم قابلة للتكرار لحين تحقيق أهداف اسرائيل فى فرض سلامها ، وتمكين هيمنتها؟ أعتقد أن مسألة التكرار واردة ، وأن الدعوة الأمريكية على لسان كلينتون ووزيرة خارجيته (أولبرايت) ، بضرورة عودة سوريا واسرائيل إلى مائدة المفاوضات بسرعة ، هى الرسالة الواضحة بأن هذا هو الهدف من العدوان الاسرائيلى ، وأيضاً الهدف من التوظيف السورى لحزب الله فى
١٠ مواجهة اسرائيل . ولا ننسى استطاعة حزب الله من اغتيال الرجل الثانى (هاشم عقل) الرجل الثانى بعد "انطوان لحد " قائد الجيش اللبنانى العميل

لاسرائيل على الشريط الحدودى فى الجنوب اللبنـانى . ومـع اشـتداد العدوان الاسرائيلى تشتد المقاومـة اللبنانيـة وتلحق خسائر لدى اسرائيل وقواتها، إلا أنها كالغريق فـى وسط البحر يحاول الحركـة ولكن سيظل بعيداً عن الشاطىء!!

* كما يثار الـى أن آفاق هـذا السلوك العدوانـى يظل مرتبطـاً بـدور مصـر الفعال وظهيره العربـى . فـالدور المحـورى لمصـر فـى عمليـة السـلام وترتيب المنطقة فىالمستقبل هو دور لازال منتظر او يتسم بالحيويـة فـى حالة تمكن الدبلوماسية المصرية من تحريك الموقف العربى وحشـده تجـاه قمة عربية طارئة للنظر فى التردى والانقاذ ووقف التدهـور فـى الموقـف العربى ودعم المفاوض العربى السورى والفلسطينى ورغم كـل المآسـى، وما نواجهه فى لبنان التى تتحمل أعباء كبرى من جراء الصـراع العربـى الاسرائيلى، إلا أن الأمل فـى غد أفضـل لازال قائمـاً رغـم القتامـة التـى تظهر حالياً . أن التهديد بالشجب والادانه والاستنكار ، ليس مجديـاً لوقـف التداعيات السلبية لمثل هذه التصرفات العدوانية مـن جـانب اسرائيل تجـاه لبنان والفلسطينيين معاً . فهل من تحرك عربى جاد وسريع هـذه المـرة .. نأمل يارب !! .

•• •• ••

المبحث الثالث

التجسيد اللبناني لفكر المقاومة ..*

رحل العدو الاسرائيلى من الجنوب اللبنانى بغير استئذان أو اتفاق، وبدون قيد أو شرط ، وذلك قبل الموعد المعلن من جانب الحكومة الاسرائيلية فى ظل السيد / باراك بنحو شهرين تقريباً .

وقد شكك البعض فى أن اسرائيل ستنسحب أساساً إلا بشروط واتفاقات أمنيه أو فى ظل مناورة على الجولان السورية من النواحى الأمنية أو الترتيبات المشتركة.. ألخ . إلا أن هذه الشكوك بددها الواقع الذى رأيناه وعشناه فشاهدنا انسحابا اسرائيليا مخزياً وقد خلَّف وراءه عارا لا يمكن نسيانه على الاطلاق . وقد نقلت عدسات الأقمار الصناعية الجنود الاسرائيليين وهم يهرولون إلى داخل الحدود الاسرائيلية ، وغير عابئين أو مهتمين إلا بأنفسهم . كما لاحظنا عدم الحماية الاسرائيلية لجنود الجيش اللبنانى العميل ، وتركوهم لمصيرهم ليقعوا فى داخل السيطرة اللبنانية ليحاكموا بتهمة الخيانة والعمالة .. الخ بدلاً من تحمل أعبائهم المعيشية والأمنية . ولا شك أن هذا جزاء من باع نفسه ضد وطنه من ناحية ، واثباتاً بأن اسرائيل لا تحمى عملاءها ، وهذا درس لكل من يفكر فى خيانة بلاده ، وأن العدو هو العدو مهما أظهر غير ذلك . ثبت أن اسرائيل استطاعت أن توظف هذا الجيش العميل لحسابها طوال السنوات الماضية حتى أصبح وجودها وأصبح هذا الجيش فى الجنوب البنانى عبئاً لا يمكن احتماله .

* وقد يتساءل البعض لماذا قررت اسرائيل ونفذت هذا الانسحاب المخزى دون ترتيبات أو حتى مجرد ثمن بسيط يقضى بالانسحاب المشرف والذى تقضى به الأعراف الدولية ؟! والاجابة على هذا السؤال هى محور

المقال. فالواضح إذن أن اسـرائيل ما كانت تقـرر مثـل هـذا الانسحاب أو إعادة النظر فى أمر مستقر إلا إذا توافق ذلك مع مصلحتها من ناحية ، أو كـان هـذا الشيء قـد أصبـح عبئـاً عليهـا لا يوازيـه وجودهـا . بعبـارة أخـرى فـان الثمـن الـذى تدفعـه اسرئيل نتيجـة وجودهـا فـى هـذه الأرض اللبنانية المحتلة ، أكبر بكثير مما يمكن أن تحصل عليه من جراء وجودها . فضلاً عن ذلك فان هناك اصراراً كبيراً ومتواصـلاً مـن جـانب الطـرف اللبنانى فى مقاومة هذا الوجود ، الـذى لـم تعـد تفلـح معهـا أيـة اعتـداءات عسـكرية علـى المدنييـن لاجهـاض قدرتهـم علـى المقاومـة ، أو علـى العسكريين وحزب الله ومنـاطق عسـكرية لاضعـافهم وشـل قدرتهـم علـى المقاومة أيضاً . وقد قاد ذلك العقل الاستراتيجى الاسـرائيلى إلـى مراجعـة الأمر بسرعة تجنباً لمزيد مـن الخسـائر والاستنزاف المـادى والمعنـوى ، وكان الانسحاب ترجمة لهذه المراجعة بلا تردد .

وعلى الجانب الآخر ، وبعيداً عن توجهات المقاومة اللبنانية، فـأن هذا الانتصار الساحق الذى يشبه زلزال اكتوبر ١٩٧٣، قد أفصح عـن ان إرادة الأمـة العربيـة لازالـت حيـة وقلبهـا ينبـض. وأن كـل المحـاولات المستميته من جانب دعاة "ثقافة السلام" والتى لا تخرج عن كونهـا دعـوة لتكريس "ثقافة الاستسـلام" ، قـد أخفقت عـن النيـل مـن ارادة هـذا الشـعب الأبى الذى يحمل فى أحشائه قدرة على الصمـود ومخـزون نضـالى كبير يستمد قوتة واستمراريته مـن معيـن التـاريخ وفلسـفته، وجغرافيـة الموقـع وعبقريته .

فإسرائيل لا تحترم إلا منطق القوة ، وتعتبر هذا المنطق هو أساس وجودها ، واذا جردت من قوتها فقدت شرعيتها وفلسفة نشوئها . كما أن الذين يتعاملون معها لا تعيرهم اهتماماً يذكر ، أو تأخذهم في الحسبان إلا أذا هددوا باستخدام القوة ، أو لوحوا بذلك صراحة أو اشارة أو ضمنا. وهى تثبت من واقع تصرفاتها سلامة مصطلح "ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة" . فالمحتل الغاصب كالسارق ، يسعى للاستمتاع بما استطاع أن يستولى عليه ، ولا يمكن التنازل عن شيء مما أغتصبه إلا إذا تمت مقاومته بالقوة .

واسرائيل هى ذات النموذج، لم تدخل خندق المفاوضات مع الفلسطينين إلا تحت ضغوط أطفال الحجارة وانتفاضتهم الشهيرة . ولم تدخل فى مفاوضات السلام مضطرة مع مصر إلا بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، ولم ترحل من الجنوب اللبنانى مؤخراً إلا تحت ضغط واستمرارية المقاومة اللبنانية . وهذا هو الدرس الذى يجب أن نتفهمه فى التعامل مع اسرائيل . فالحصول على أقصى المكاسب من المفاوضات مع اسرائيل ، لا يمكن أن يتحقق إلا من التلويح بالقوة والعنف واشعار اسرائيل بالقدرة على تنفيذ ذلك . وحتى يمكن لاسرائيل أن تعيش فى هذه المرحلة من "صراع السلام" فى المنطقة ، فان عليها أن تتجنب الدخول فى دوامة العنف التى لا يعرف أحد مداها عندما تشتعل .

فالتفكير المستمر فى محاولات اجهاض ارادة الأمة العربية ، ومحاولات ترويض الأمة على أن يتجرع أبناؤها "ثقافة الاستسلام" المسماة بـ "ثقافة السلام" ، ومحاولات تطويع مستقبل الأمة لسلام غير آمن وغير عادل وغير شامل ، مآله الأخفاق . فالمخزون الاستراتيجى من ثقافة المقاومة "لدى شعوب هذه الأمة كبير ولا ينضب حتى لو تصور البعض من أصحاب القلوب المريضة أن ارادة الأمة قد

انتهت وعلينا أن نترحم عليها ونذهب بها إلى المقابر !! ان ثقافة المقاومة هى البديل الموازى لثقافة الخنوع والاستسلام ولا تعنى ثقافة المقاومة اعلان الحرب على اسرائيل أو غيرها. ولكنها تعنى قدرة على الصمود والمواجهة واليقظة أمام العدو الذى لا يفضل أبداً . أنها قدرة على أن تظل ارادة الأمة حية ومستقلة وحرة أبية .

لقد استطاع "لبنان" – البلد العربى الصغير – أن يجسد فكر المقاومة بارغام اسرائيل على هذا الانسحاب المخزى الذى لن ينساه التاريخ . وأضاف لبنان وابطال المقاومة تجربة جديدة وحية تعين الأمة على الصمود ومواجهة التحديات فى ظل عالم لا يرحم الضعفاء ويساعد الأقوياء وينحنى مجبراً أمام المقاومة . وأخيراً تحية لك مقاتل عربى قدم حياته فداءً للوطن .

•• •• ••

٨

المبحث الرابع
عملية السلام بعد رحيل "الأسد"

من أبرز القضايا التى ستحدث جدلاً صاخباً ومستمراً طيلة الأشهر القادمة بعد رحيل الأسد ، قضية السلام على الجبهة السورية واللبنانية فى مواجهة اسرائيل . فتغيير القيادة فى الدولة أحد الأسباب الرئيسية الدافعة لاحداث هذا الجدل وما يستتبعه من قلق حقيقى ، بغض النظر عن القيادة الجديدة وتوجهاتها .

فالثابت فى أدب التحليل السياسى أن القيادة الجديدة لا تستطيع التحرك بايجابية كبيرة فى النطاق الخارجى إلا بعد استقرار الأوضاع الداخلية واستيعاب المتغيرات الدولية والاقليمية وينطبق ذلك على النظم الديمقراطية المستقرة ، والنظم التحولية أو غير الديموقراطية . إلا أن الأمر قد يختلف بعض الشيىء فى النظم غير الديموقراطية ، باعتبار أن وصول قيادة جديدة للحكم يستلزم معه خلق حالة من الاستقرار الداخلى يتم بموجبه السيطرة على حالة "التوثب" الكامنة لدى البعض لاقتناص السلطة . فالسيطرة على الأوضاع الداخلية تعطى قوة دافعة للتحرك الايجابى فى المجال الخارجى .

لذلك فانه من الثابت أيضاً فى التحليل السياسى، أن بعض القيادات الجديدة تلجأ للتفاعل الإيجابى والسريع مع الأوضاع الخارجية لخلق تعبئة داخلية حول القرارات فى المجال الخارجى يتتبعها حالة من حالات التوحد خاصة اذا ما كانت هناك قضية وطنية قد تتمثل فى تحرير الأرض من محتل أو غاصب. وفى الأغلب الأعم فان هذا الخيار أو ذاك يتوقف على الظروف والملابسات التى يتولى فيها القائد الجديد وقدراته الشخصية ومحددات حركته فى الداخل والخارج . فهل

ينتظر القائد الجديد حتى يسيطر على مقاليد الأمور فى الداخل لكى يتجه إلى نشاط فعال فى الخارج ، أم ينطلق لسياسة خارجية نشيطة يتحقق من خلالها توحد داخلى للجسد السياسى ؟

هذا هو السؤال الذى يحدد آفاق عملية السلام بعد رحيل الرئيس حافظ الأسد وتولى بشار الأسد قيادة الدولة السورية .

فالأوضاع الداخلية فى سوريا تشير إلى احتمال كبير بعدم الاستقرار السريع فى ضوء تولى بشار الأسد فى وقت لم يكن فى الحسبان أن يتم على هذا النحو السريع . ومن ثم فان على "بشار" أن يبذل بهذا ويعطى أولوية كبيرة للسيطرة على مقاليد السلطة فى سوريا، وأن يحدث حالة من الانسجام والتناسق بين التيارات المختلفة حتى يستوعب هؤلاء وجوده على قمة الدولة دون مزاحمة أو تحدى له . ولا شك أن هذا الوضع قد يأخذ أولوية كبيرة منه وقتا وجهداً قد لا يتناسب معهما أن يعطى أولوية للخارج وخاصة ازاء عملية السلام مع اسرائيل. بل ان عطاءه الايجابى والنشيط فى الخارج وفى مقدمة ذلك عملية السلام يتوقف على درجة سيطرته على الأمور . فبالقدر الذى يسيطر على الداخل ، بالقدر الذى ستكون له فعالية فى ادراته لعملية السياسة الخارجية السورية وهنا فان كيسنجر عندما يعلق على رحيل الأسد بالقول بأن الرئيس القادم لسوريا بعد حافظ الأسد يستطيع أن يوقع اتفاقية السلام فى ضوء سيطرته على الوضع الداخلى بسرعة .

ويكشف ذلك علـى أن هناك أولوية مطلقة للرئيس الجديد بشار الأسد، للأوضاع الداخلية قبل أن ينطلق إلى "قطار" عملية السلام .

وعلى الجانب الآخر ، فان قرب انتهاء مدة الرئيس الأمريكى كلينتون قبل نهاية هذا العام ، ورغبته الجارفة فى انجاز اتفاق ملموس خلال الفترة المتبقية لرئاسته للولايات المتحدة ، قد تكون دافعاً له لمساندة الرئيس الجديد وتثبيت أقدامه حتى يساعد ذلك فى دفعه وتشجيعه على الدخول فى مفاوضات وتوقيع اتفاقية مع اسرائيل ينتهى بموجبها حسب التقدير الأمريكى أكبر عقبة فى خلق حالة مستقرة فى منطقة "الشرق الأوسط" .

كذلك فانه من ناحية ثالثة، يلاحظ أن الخروج الاسرائيلى من الجنوب اللبنانى دون قيد أو شرط أو حتى اتفاق ، تحت ضغوط المقاومة اللبنانية، ويعطى لسوريا الجديدة فرصة لتقوية موقفها التفاوضى مع اسرائيل ، ويساعد على "تسهيل" التشدد الإسرائيلى للوصول إلى "المنطقة الوسط" فى التفاوض بحيث يتم الانسحاب الاسرائيلى الكامل من الجولان فى ضوء ترتيبات أمنية تضمن أمن اسرائيل وسلامة الأراضى السوريه واستقلالها تمهيداً لاقامة علاقات طبيعية بعد ذلك بين الطرفين السورى واللبنانى من جانب ، واسرائيل من جانب آخر . وهنا يجب الاشارة إلى أن السمة الجوهرية التى تركها نظام حافظ الأسد هو قبول منطق التفاوض مع اسرائيل والاقتناع بأهمية وجدوى عملية السلام العربى الاسرائيلى بدلاً من "الصراع" العسكرى .

- وفى المعنى الأخير : فان هناك العديد من المعطيات الاقليمية والدولية التى تشجع على استمرار عملية السلام على الجبهة السورية واللبنانية فى ظل القيادة الجديدة لسوريا والأمر يتوقف على قدرة الرئيس الجديد بشار الأسد على بسط نفوذه واحكام الهيمنة على تقاليد الحكم فى البلاد – بسرعة .وكلما أسرع فى تحقيق ذلك، فان الأولوية التالية هى الدخول فى

عملية السلام خلال الأشهر القادمة وقبل انتهاء فترة كلينتون . فضـلاً عن ذلك فانه بالقدر الذى يهيمن الرئيس "الأسد الثانى" على الأوضاع الداخلية وبسرعة، بالقدر الذى يمكن دخوله لعملية السلام وانهاء المفاوضات المعلقة والوصول إلى اتفاقية عادلة دون تنازلات على الاطلاق . أما اذا لم يستطع الرئيس بشار انجاز السيطرة الداخلية خلال الأشهر الثلاث القادمة فان هناك شكوكاً كبرى حول امكانية دخول سوريا لمفاوضات مع اسرائيل والسير فى طريق الراحل حافظ الأسد قبل عام على الأقل بعد أن تتم الانتخابات الأمريكية فى نوفمبر القادم، وتولى الرئيس الجديد فى نهاية يناير ٢٠٠١ ، وفترة انتقالية يتم فيها استيعاب الرئيس الأمريكى القادم للملفات !! والاحتمالات كلها مفتوحة أمام الرئيس بشار الأسد وكلها محكومة بالزمن والارادة والمتغيرات المحيطة .

•• •• ••

الفصل السادس

المفاوضات العربية الاسرائيلية من كامب ديفيد إلى طابا :
استقراء الآليات ودلالات المستقبل*

* نشر هذا الفصل كاملاً فى جريدة "عكاظ" السعودية، فى ٢ نوفمبر ١٩٩٥م .

مقدمه:

يعتبر توقيع اتفاق طابا الأخير بين الطرفين الفلسيطينى والاسرائيلى حلقة فى سلسلة المفاوضات بينهما على طريق حل القضيـة الفلسطينية برمتهـا، وكذلك يعتبر أيضاً حلقة فى سلسلة المفاوضـات العربيـة الاسـرائيلية منذ أن عقد الاتفاق الأول بين الطرفين المصـرى والاسـرائيلى فـى سـبتمبر ١٩٧٨م نتاجـاً لزيـارة الرئيس السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧ وبترتيب أمريكى مباشر طبقاً لما كشفت عنه الوثائق حتى الآن، ومروراً بسلسلة الاتفاقات بين هذين الطرفين أيضـاً، حتى توصلت جميع الأطراف إلى صيغة مدريد للسلام، حيث عقد مؤتمر دولى فـى ٣٠ أكتوبر ١٩٩١م فـى أعقـاب حـرب الخليـج لبحـث كـل أوجـه "الـنزاع العربـى الاسرائيلى" وكـذا مـروراً بمـا تـم التوصـل إلـى اتفـاق أوسـلو (غـزة/ أريحـا) بيـن الطرفين الفلسطينى والاسرائيلى بعيداً عن صيغـة مدريـد، وذلـك فـى ١٣ سـبتمبر ١٩٩٣م والذى كانت له ردود فعل كبيرة فى الداخل الفلسطينى مثلما فى المحيطين الاقليمى والدولى. كذلك وصلت المفاوضات إلى عقد اتفـاق أردنـى اسـرائيلى فـى أعقاب الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى ، وأيضاً بعيـداً عـن صيغـة مدريـد للسـلام. ولا شك أن جملة هذه الاتفاقات التى تتم تحقيقها خلال ما يقرب من عشـرين عامـاً تمت عبر مفاوضات كـانت لهـا طـابع مختلـف، وفـى بيئـة مختلفـة مـن آن لآخـر، وحملت معها دلالات معينة، بل ان كل اتفاق يتم انجازه كان يمثـل مقدمـة للاتفـاق التالى فى سلسلة متلاحقة، تستدعى الوقوف علـى الـدروس المسـتفادة التـى تركـت ظلالها على كل مرحلة تفاوضية. وفى اطار هذه المقدمة السريعة يمكن تناول عدة نقاط كما يلى:

المبحث الأول
بيئة المفاوضات

لاشك أن تناول بيئة المفاوضات بين طرفين أو أكثر عبر مراحل مختلفة، فى ضوء النظرية العامة للمفاوضات، تمثل صعوبة واضحة خاصة وأن هذه المسيرة الزمنية استغرقت ما يقرب من عشرين عاماً فى ظل صراع عربى إسرائيلى يقترب من نصف قرن. ومن الافتراضات الأساسية لنظرية المفاوضات، أن أى تفاوض بين طرفين أو أكثر يتم سواء بشكل سرى أو علنى فى اطار ظروف معينة، تواضع أساتذة العلاقات الدولية على تسميتها "ببيئة المفاوضات"، وهى التى تعنى بمجمل الظروف على كافة الأصعدة الدولية والأقليمية والداخلية، المحيطة بعملية التفاوض، والتى من شأنها التأثير على المتفاوضين بلاشك. واجمالاً، فإن البيئة الدولية التى صاحبت مفاوضات كامب ديفيد فى أواخر السبعينات كانت تشير إلى وجود قطبين رئيسيين فى النظام الدولى، أى أنه هيكل ثنائى القطبية، وفى تفاعله مع منطقة الشرق الأوسط فإن الولايات المتحدة بعد دورها فى اتمام اتفاقات فصل القوات الأول والثانى فى الجبهة المصرية، والفصل الأول والأخير للقوات على الجبهة السورية، ظهرت فى الساحة باعتبارها منفردة بادارة الصراع العربى الاسرائيلى خاصة وان الرئيس المصرى السادات آنذاك كان يميل لترجيح كفة الفعل الأمريكى على الفعل السوفيتى أو مجرد التوازن بينهما حيث أنه كان من المعروف أيضاً ذلك التصاعد الدرامى من جانب مصر تجاه الاتحاد السوفيتى فأحدث أزمة العلاقات مما ترك أثره فى ادارة الصراع العربى الاسرائيلى لصالح الولايات المتحدة على حساب القطب الدولى الآخر، فضلاً عن الاتحاد السوفيتى نفسه كان يحرك البيئة الاقليمية ضد الاتفاق دون أن تكون له البادرة فى المواجهة مع المنافس الدولى له وهى الولايات المتحدة

الأمريكية . فى نفس الوقت فإن الدور الأوربى فى منطقة الصراع لا يكاد يذكر الا لملأ الفراغ الأمريكى عند اقتراب الانتخابات الأمريكية فى الغالب لكى لا يقوى النفوذ السوفيتى. وعلى المستوى الإقليمى العربى، فإن مصر لم تستطع أن تحافظ على التضامن العربى الذى حدث فى حرب أكتوبر فى اطار استمرارية المكاسب السياسية التى من المفترض أن تتوازى المكاسب العسكرية. ومن ثم فإن المنطقة العربية اتسمت بالركود. ورغماً عن أنه كانت هناك جهود لتقريب وجهات النظر بين الأطراف المتصارعة فى المنطقة (العرب واسرائيل) بعيد أ عن أى حدث مفاجئ، إلا أننا فوجئنا بالأنفراد المصرى بالتعامل مع القضية، وإصرار الرئيس السادات على الذهاب لاسرائيل مما تجاوز بهذا التصرف، الحدود المتفق عليها عربياً، باعتبار أن قرار الحرب كان قراراً جماعياً، ومن ثم فإن قرار السلام لابد وأن يكون فى نفس الطريق. لذلك فإن رد الفعل العربى والاقليمى عموماً ازاء هذا التصرف كان سلبياً، وسعى بعض العرب لارجاع السادات عن هذه الزيارة، إلا أنه أصر على ذلك، مبرراً يأسه من سلبية العرب، والأوضاع الاقليمية المحيطة.

وقد أسهمت هذه البيئة فى الضغط على المفاوض المصرى فى أن يعقد اتفاق كامب ديفيد فعلى الرغم من وجود قطبين فى النظام الدولى، إلا أن الطرف المصرى لم يوظف الطرف السوفيتى، نظراً لاحتواء الولايات المتحدة للطرفين المصرى والاسرائيلى، فى نفس الوقت فإن مصر السادات وثقت تماماً فى الولايات المتحدة فى عهد رئاسة كارتر. كما أن الرئيس السادات لم يوظف البيئة الاقليمية ومعطياتها، بل نظر إليها وأدركها على أنها معطى سلبى، وبذلك فقد أراد أن يخلق بتصرفه الزعامى واقعاً جديداً فى البيئة الاقليمية والدولية، متجاهلاً واقع هذه البيئة، فضلاً عن أنه لم يوظف أى مستوى من مستوياتها، بل سعى لمخاطبة البيئة الداخلية على اعتبار أن القرار الخارجى يمكن أن يسهم فى تحقيق الرخاء الاقتصادى للشعب، ويغلق صفحة الصراع مع اسرائيل.

إلا أنه بظهور صيغة مدريد للسلام، والتى بموجبها عقد مؤتمر مدريد فـى ٣١ أكتوبر ١٩٩١م حضرته جميع الأطراف العربية للتفاوض على عدة مستويات هى: (مستوى جماعى، ومسـتوى ثنـائى، ومستوى متعدد الأطـراف حـول قضايـا مشتركة)، فإنه يمكن القول أن بيئـة هـذه المفاوضـات قد اختلفت، علـى المستوى الدولى وكذا المستوى الاقليمى، مما أسهم فـى التـأثير علـى جـو المفاوضـات. فقد جاءت عمليـة المفاوضـات بعـد انتهـاء حـرب الخليـج بعـدة أشـهر، وانكسـار القـوة الدولية المنافسـة للولايـات المتحـدة وهـى الاتحـاد السـوفيتى، وأصبـح فـى السـاحة الدوليـة، هيكـلاً يتسـم بالهيمنـة الأمريكيـة النسـبية، وان كـان بصـورة مؤقتـة، مـع ضعف واضح واختفاء كامل للاتحاد السوفيتى من خريطة النظـام الدولـى، خاصـة وانه بنهاية عام ١٩٩١ تفكك رسمياً، واختزل فى دولة روسيا الاتحاديـة. وأصبـح الانفراد الأمريكى بأطراف الصراع العربـى الاسـرائيلى ومنطقـة الشـرق الأوسـط مسـألة طبيعيـة فـى ظـل هـذه الظـروف، كمـا أصبـح مـن المنطقـى التفـاعل مـع الصياغـات المطروحـة فـى ظـل المعـادلات الجديـدة وخـروج القـوة العراقيـة مـن الساحة الاقليمية العربية.

فضـلاً علـى أن البيئـة الاقليميـة تشـير إلـى ضعـف واضـح فـى القـدرات التنسيقية نتيجة الغزو العراقـى للكويـت ومـا نجـم عنـه مـن انقسـام عربـى صريـح تعانى منه المنطقة العربية حتى الآن، كما أن المفاوضات بصياغة مدريـد انعقـدت فى ظل موازين قوى مختلة بعد فقدان القدرات العراقية التى كـان يمكـن أن يكـون لها فاعلية كبيرة فى المفاوضات العربية فـى ظـل منـاخ مختلـف، وفـى حالـة عـدم اقدام قيادتها علـى هـذا الفعـل الخـاطئ عندمـا قـرر دخـول الكويـت فـى أغسـطس ١٩٩٠. وفوق هذا وذاك فإن مؤتمر مدريد للسـلام انعقد، فـى ظـل منـاخ عربـى يتسم بدرجة عالية من الشكوك المتبادلة بيـن عـدد كبـير مـن أطرافـه نتيجـة أزمـة الخليج وتراكمات أخرى قد تكون أقل حدة.

•• •• ••

المبحث الثانى

انجازات صيغــة مدريد ..

- وقد أسـهمت صيغـة مدريـد فـى تمكيـن اسـرائيل والولايـات المتحدة، فـى تطويـق الطـرف العربـى بأجنحتـه المختلفـة، أو الأطـراف العربيـة، أيهمـا أفضل، واحتوائهم جميعاً فى هذه الصيغة فى ظل ترويض معين لمـدة مـن الزمن، بموجبها يزداد الانقسام العربى، ثم يتم التلاعب عليهم فرادى فـى ضوء مغازلة مصالح كل طرف على حده، دون اعطـاء أى طـرف سـوى الحد الأدنى وعلى مدى زمنى واسـع. وهـذا هـو مـا حـدث، حيث عقدت (١٠) جولات فى ظل صيغة مدريد، ولم تسفر جميعـاً عـن شـئ محـدد أو ملموس، حتى ضاقت الأطراف المشـتركة بهـذه الصيغـة. واسـتمرت هـذه الجولات العشر عامين فى الفترة من (٩١ – ١٩٩٣).

- كمـا أنـه فـى نفـس الوقـت الـذى كـانت تنعقـد فيـه جـولات مدريـد، كـان الفلسطينيون والاسرائيليون، يتباحثون فى أوسلو بالنرويج فى سرية مطلقة وعلى "طاولة" المفاوضـات بشـأن التوصـل إلـى اتفـاق بعيداً عـن صخـب الاعـلام، وهـو مـا تـم الافصـاح عنـه بعـد مـا تـم الاتفـاق بشـأنه، وبعـد مفاوضات استمرت (٦) ستة أشهر، حيث تم اقـرار هـذا الاتفـاق فـى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣م وما تم بعد ذلك فى مفاوضات متعددة وصلت إلى الاتفـاق الأخير فى بداية أكتوبر/ المـاضى، المعـروف باتفـاق طابـا لتوسـيع نطـاق الحكم الذاتى فى الضفة الغربية. ١٨٩

- وكان هذا بداية لتقويض صيغة مدريد، حيث أعطى ذلك المبرر للأردنيين الذى لديهم الاستعداد المبكر للخروج، لولا جزء من الحياء أمام الرأى العام، لكى يسارعوا وباقبال شديد تجاه اسرائيل ليعقدوا اتفاقهم ويترجموه فى اتفاقات سريعة لم يحدث بشأنها خلافات كبيرة، مثلما حدثت مع مصر فى سيناء، ومثلما هى جارية مع سوريا ولبنان، ودون مقارنة مع ما يحدث مع الفلسطينين، وكأن الاتفاقات كانت جاهزة بين الطرفين وهو ما يرجحه كثير من السياسيين والمراقبين القريبين من دوائر صنع القرار السياسى فى البلاط الملكى الأردنى.

- وقد ظلت كلا من سوريا ولبنان، متمسكتين بصيغة مدريد حتى الآن، رافضتين بذلك صيغة أوسلو، أو الصيغة الأردنية، ومصرين على ضرورة عدم تمكين الطرف الاسرائيلى بالانفراد الاسرائيلى بأى طرف عربى على حده كمنطق يحكم مفاوضاتهم حفاظاً على قوتهم التفاوضية. كما أنهما ترفضا المباحثات السرية مع اسرائيل تحت أية [illegible]ـورة، وانهما مع اجراء المفاوضات بصورة علنية لعدم إلصاق أى تهم بالنظام السورى الذى يستمد شرعيته من حفاظه على الأسس التى يتعامل بها مع الصراع العربى الاسرائيلى حرباً وسلماً. وكما تراهن اسرائيل على عنصر الزمن من استكمال المفاوضات، وضعف الطرف العربى، فإن سوريا أيضاً تراهن على عنصر الزمن من منظور أن الصالح الاسرائيلى يستدعى التصالح مع سوريا باعتبار أن الأخيرة هى صاحبة القدرة العسكرية المتميزة فى المنطقة بعد اختفاء العراق من الساحة وعوامل كثيرة لسنا بصدد الحديث عنها الآن.

وقد أفصحت الأيام على أن صيغة مدريد كانت وسيلة، لاحتواء الغضب العربى بعد حرب الخليج لدرء الشبهة فى عدم الربط بين الحل فى الخليج وعدم الحل فى الشرق الأوسط، ولمحاولة تمرير الصيغ ومشاريع السلام الاسرائيلية الأمريكية، والمقبولة إلى حد كبير من جانب الغالبية العربية حتى الآن فى ضوء المعادلات الاقليمية والدولية بل والأوضاع الداخلية لهذه البلدان.

•• •• ••

المبحث الثالث

الـــدروس.. والـــدلالات

لاشك أن مجمل عملية التفاوض عبر مراحلها المختلفة والتى استمرت ما يقرب من العشرين عاماً، أصبحت لهـا العدد من الأمور اللافتة للنظر، والذى يجب على المتفاوضين مراجعتها بين حين وآخر، لمحاولة الاستفادة بها حرصاً على المصلحة العامة، كما أن الدعوة قائمة للكثير من المشاركين فى عملية التفاوض بكتابة مذكراتهم لافادة من يحل محلهم من المفاوضين، أو من يتفاوض من الدول العربية الأخرى للوقوف على البناء النفسى للمفاوض الاسرائيلى لدلالة ذلك فى عملية التفاوض.

<u>ويمكن اجمال الدلالات والدروس فيما يلى:</u>

- عدم القدرة على توظيف كل معطيات بينة المفاوضات، وقد ظهر ذلك فى مفاوضات كامب ديفيد، حيث لم يستثمر السادات ازدواجية النظام الدولى، أو شرعيته العربية، مما أسهم إلى العداء السوفيتى، والعزلة العربية وتواضع المكاسب من الاتفاق، كما أن مؤتمر مدريد كان نتاجاً لبيئة متردية دولياً واقليمياً وليس فى صالح العرب ولذلك استمر بلا عائد لمدة عامين حتى الآن، مما أدى إلى خروج الأطراف المشتركة فيه طرفاً وراء أخر فى مباحثات سرية.

- الربط بين التطبيع فى العلاقات والانسحاب، كانت من بين الخبرات الايجابية لكامب ديفيد ١٩٧٨، والاتفاق المصرى الاسرائيلى ١٩٧٩، ونتاجاً للرفض العربى والعداء المتأجج لاسرائيل، بينما فى الاتفاق الثانى الذى عقد فى أوسلو بين الفلسطينين واسرائيل كانت سمته (تطبيع لا محدود مقابل انسحاب غير محدد)، وهم بذلك لم يستفيدوا من خبرة كامب ديفيد، وسار على نهجهم الأردنيون.

  بينما يرفض العرب اجمالاً فى المفاوضات متعددة الأطراف هذا النهج الذى سار فيه الفلسطينيون والأردنيون مستفيدين من خبرة كامب ديفيد، وملتزمين بقرار جامعة الدول العربية، لا تطبيع قبل الحل الشامل، وفى المفاوضات المتعددة يصرون على ضرورة الربط بين التقدم فى معالجة قضايا الانسحاب، الاسرائيلى وصياغة اتفاق المرحلة الانتقالية، وبين التقدم فى قضايا المفاوضات المتعددة الخاصة بالمياه والتنمية والتسلح والأمن الاقليمى والبيئة.

- بيئة المفاوضات أجبرت اسرائيل على استيعابها والتعامل معها، حينما أقرت بوزن منظمة التحرير الفلسطينية، فاعترفت بها مبدئياً فى ضمن صيغة مدريد، ثم قبلت التفاوض معها سراً، ثم عقدت معها اتفاق أوسلو فى سبتمبر ١٩٩٣، وانتهى الأمر بتنفيذ الحكم الذاتى فى فبراير ١٩٩٤. وبغض النظر عن أى أضرار قانونية أو مفردات أومصطلحات تجاوزها الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى، إلا أن شرعية المنظمة فى ضوء التعامل الإسرائيلى معها يتوازى مع التعامل الفلسطينى مع اسرائيل فى اطار قراءة المعطيات النابعة من البيئة الواقعية للمفاوضات فى زمن التفاوض ذاته. ١٥

- أن الربط بين فكرة الحل الشامل والحل المنفرد، لا زالت لها معنى ودلالة فى عملية المفاوضات بين الطرف العربى والاسرائيلى. فالدرس المستفاد أن اسرائيل هى المستفيد الأول من الحل المنفرد مع أى طرف عربى، لكن أن يكون ذلك فى اطار البديل وهو الحل الشامل فإن ذلك سيحقق مكاسب أكبر. ولم يتعلم العرب حتى الآن من هذا الدرس. ولذلك نجد أن بعض الأطراف العربية تسارع بمحاولة عقد الصفقات مع اسرائيل فى اطار منفرد وخروجاً عن شرعية الجامعة العربية، وبما يضعف الطرف العربى المتفاوض. فالسعى نحو الحل الشامل، يتطلب جماعية فى الحركة، وموقفاً قوياً فى التفاوض يجبر اسرائيل على الخضوع، لكن موازين القوى، وقراءة الواقع الدولى والاقليمى لا تقود لذلك خاصة مع غياب الفعل العربى، وهو درس لا يتم استيعابه من المفاوضات، ولذلك فإن اسرائيل يسهل عليها ادارة المفاوضات مع كل طرف على حدة، على عكس الأطراف العربية مجتمعه وفى اطار الحل الشامل، وهو ما قد سعت إليه اسرائيل، وحققته بالفعل فى الواقع الفعلى بكل أسف.

- توافر القدرة لدى الطرف الفلسطينى على استثمار البيئة الداخلية، رغم أنها ليست بمنطق توزيع الأدوار، وذلك فى الضغط على المفاوض الاسرائيلى للوصول إلى الحدود الدنيا أو المتوسطة وليس لأقصى ما يحلم به الفلسطينيون فى الوقت الحالى، مستثمرين فى ذلك عناصر ضغط الطرف المصرى، والطرف الأمريكى بعض الشئ. وقد استفادوا بذلك من خبرة مفاوضات كامب ديفيد، حيث كان يستثمر الرئيس السادات هذه النقطة فى الضغط للحصول على بعض المكاسب. وتسعى القيادة الفلسطينية للضغط من خلال ورقة الأصولية وتناميها فى الداخل الفلسطينى.

- المفاوضات السرية كانت أحد السبل للوصول إلى نتيجة معينة بين الفلسطينيين واسرائيل واستفاد منها الطرفان. ولولا السرية فى التفاوض لما استطاع الطرفان أن يتوصلا إلى شئ يذكر. وفى هذه المناسبة فانهما قد استفادا من الخبرة السابقة فى الاتصالات التمهيدية التى سبقت زيارة الرئيس السادات لاسرائيل، حيث عقدت عدة لقاءات بين أحد مستشارى السادات (حسن التهامى)، وبين موشى دايان، فى المغرب، اعتبرت نوع من التمهيد لهذه الزيارة، ولما اسفرت عنه فيما بعد عن اتفاقات كامب ديفيد وغيرها، وكانت بمباركة أمريكية رسمية أفصحت الوثائق عنها.

- ولاشك أن عملية المفاوضات بين الطرفين العربى والاسرائيلى، ستظل محل جدل مستمر، وستظل دلالاتها محل تساؤل مستمر أيضاً، والعبرة هى الدروس المستفادة لأجل المستقبل. وهنا يذكر أنه فى أحد لقاءاتى مع أحد كبار المسئولين المصريين الذين تفاوضوا مع اسرائيل، قال: أن الاسرائيلين دائمى الشكوى بحق من أننا كمصريين نتسم بالعناد الشديد فى مفاوضاتنا، وإننا لسنا من السهولة أن نفرط فى أى شئ، وأعتقد أن هذه هى خبرة جديرة بأن يستفيد بها بقية المفاوضين العرب لتنعكس بالإيجاب على عملية التسوية السلمية من باقى مراحلها القادمة بإذن الله.

** ** **

الفصل السابع

الرؤى المختلفة للقوى السياسية المعارضة ازاء العلاقات المصرية الاسرائيلية(*)

(*) ورقة علمية قدمت لمركز الدراسات الاستراتيجية ببيروت (يونية ١٩٩٧)، ونشرت في مجلة المركز (شئون الأوسط)، عدد ٦٨ ، ديسمبر ١٩٩٧، ص ٦٧: ٨٥.

مقدمة :

لاشك أن هناك ظاهرة بدأت فى التنامى من حيث الدور، ومن حيث درجة التأثير بإعتبارها إحدى مظاهر التغير فى منطقتنا العربيـة، وكذا باعتبارها إحدى أدوات السياسة الخارجية للدولة، ألا وهى ظـاهرة وجـود المعارضـة الرسـمية فـى هيـاكل بعـض النظـم السياسـية العربيـة ، فضـلاً عـن تكتـل المعارضـة فـى بعـض اللحظات أو المواقف المصيرية .

ومن هنا ، فان الكشف عن توجهات هـذه المعارضـة ازاء بعـض القضايـا القومية التى تمس الأمن القومى للدولة، يعكس مدى حيوية النظم السياسية – محـل الدراسة . ولذلك فان هذه المقالة التحليلية تكشف عن توجهات قوى المعارضة فـى النظام السياسى المصرى، ازاء عملية السلام بين العرب وإسرائيل ، كما أن وهـذا التحليل يمكن أن يوضح حدود الإختلاف بين هذه القوى المعارضة بعضها البعض من ناحية، وأوجه التعارض ازاء ما تقـوم بـه السـلطة الرسـمية التـى تتوالـى إدارة الحكم فى البلاد. فضلاً عن ذلك فان هذه الدراسة يمكن لهـا أن تبين مـا إذا كـانت هناك بدائل مطروحة من جانب هذه القوى للتعامل مع عملية السلام، بحيث تتضـح مدى أهمية هذه المسألة فى أولويات هـذه القـوى، ممـا يكشـف بالتـالى عـن طبيعـة العلاقات بين المعارضة والسلطة من حيث المبادرة أو التبعية .

وبتحليـل أولـى لطبيعـة القـوى السياسـية المعارضـة فـى النظـام السياســى
المصرى، يتضح أن هناك قوى رئيسية قد تتوافق مع وجود قنوات حزبية رسـمية ٨
لها، وهناك قوى رئيسية ليس لها وجود حزبى. حيث يوجد فى مصـر حاليـاً (١٤) حزب رسمى، وهذه الأحزاب الرسمية، والقوى غير الحزبية، يمكـن بلورتهـا فيمـا يلى :

- <u>قوى اليمين الليبرالى</u> ، وتتمثل فى (الوفد ، والأحرار) .
- <u>قوى اليسار</u> : وتتمثل فى أحزاب (التجمع ، والناصرى) .
- <u>التيارات الإسلامية</u> : وتتمثل أساساً فى (حزب العمل الاشتراكى وتنسيق مع الاخوان المسلمين ، وكذا حزب الأمة) .

وهذه القوى الرئيسية الثلاث تحتوى على إتجاهات مختلفة من داخل صفوفها، مما يشكل تيارات عديدة ، ولذلك فانه سيتم التركيز على الاتجاه الأكثر تأثيراً من وجهة نظرنا، فى كل اتجاه على حده . كما أنه يمكن بلورة رؤية كل تيار من خلال تناول ثلاثة قضايا أساسية هى : طبيعة الصراع مع اسرائيل وأولوية هذا الصراع فى حركة السياسة الخارجية المصرية، ثم حل هذا الصراع .

•• •• •• ••

المبحث الأول

تيار اليمين الليبرالى

يعتبر حزب الأحرار والوفد هما الحزبان الأشد ميلاً لليمين الليبرالى. فحزب الأحرار هو أحد الأحزاب الثلاث التى بدأت بهم عملية التعدد الحزبى فى نوفمبر ١٩٧٦ بقرار من الرئيس السادات. وقد اعتبر هذا الحزب آنذاك معبراً عن اليمين فى مواجهة حزب التجمع عن اليسار وبينهما حزب مصر - الذى تحول بعد عام ونصف تقريباً - إلى الحزب الوطنى معبراً عن الاتجاه الوسطى . وبعيداً عن تناول كل حزب على حدة، فانه يمكن تضمين آرائهما فى إطار القضايا الثلاث التالية :

١ - طبيعة الصراع مع إسرائيل :

لم يتم إدراج إشارة واحدة بصورة مباشرة إلى طبيعة هذا الصراع، فى برنامج حزب الأحرار، ولكن النظر إلى هذا الأمر كان فى سياق تناول السياسة الخارجية والعربية، بالاشارة إلى نضال الأمة العربية، وضرورة العمل على استرداد أراضيها المحتلة ، واستعادة الحق المشروع لشعب فلسطين وإقامة دولة له على أرضه[1] .

على حين يرى **حزب الوفد** أن منطقة الشرق الأوسط منطقة استراتيجية من الدرجة الأولى، وقد فرض عليها النزاع العربى الاسرائيلى فرضاً ولايزال هذا الصراع قائماً بسبب اعتماد اسرائيل على القوة لتحقيق سياستها التوسعية فى العالم العربى، على أساس أن تبقى دائماً أقوى عسكرياً من جميع الدول مجتمعة، ولابد لمصر والعالم العربى من مجابهة هذه الحقيقة عن طريق قوة عسكرية رادعة تكون من شأنها الحفاظ على السلام وتحقيق الاستقرار الذى يقوم على الشرعية

---

(١) برنامج حزب الأحرار الاشتراكيين ، ١٩٧٧، ص ٦٠، ٦١.

والعدل. كما أن " الوفد " يرى أن غياب الحل العادل الشامل للقضية الفلسطينية هو الذى يعكر صفو السلام والاستقرار فى منطقتنا، وبدون حل هذه القضية لن يكون هناك سلام أو إستقرار. فالقضية الفلسطينية هى قضية أرض وشعب. وأن من حق هذا الشعب أن يقرر مصيره بنفسه، وأن تحرير القدس من الاحتلال الاسرائيلى قضية مقدسة ، كما أن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى(١).

وفى حديث للسيد/ فؤاد سراج الدين، عند بدء إنشاء حزب الوفد بعد إعلان قانون الأحزاب عام ١٩٧٧، قال : " أن الفلسطينين هم أصحاب الحق فى تقرير مصيرهم، وأننا نؤيد موقف الحكومة المصرية فى رفض التخلى عن الفلسطينين ، وفى رفض الصلح المنفرد أو الحل الجزئى، لأن قضية فلسطين مسئولية قومية(٢).

وازاء الظروف المستجدة بعد وصول نتنياهو لرئاسة حكومة اسرائيل،فى أول يونية ١٩٩٦م، وتصرفاته العدوانية فى إعاقة عملية السلام، والبدء فى برنامج استيطانى جديد فى القدس، بمستوطنه جبل أبو غنيم ، فان الوفد سارع برفض هذه التصرفات ، واعتبارها مؤامرة اسرائيلية جديدة، وأكد على نصرة شعب فلسطين وإنقاذ عروبة القدس، فضلاً على التأكيد على أن هذه الهجمة

---

(١) برنامج الوفد الانتخابى ، فى أول انتخابات برلمانية له بعد عودته للساحة السياسية المصرية، وذلك فى ابريل ١٩٨٤، ونشر فى ملحق خاص لجريدة الوفد فى ١٢/٤/١٩٨٤، ص٣.

(٢) حديث لفؤاد سراج الدين مع جلال كشك ، فى كتاب : لماذا الحزب الجديد ، القاهرة، دار الشروق، سبتمبر ١٩٧٧، ص ٩٥.

الاسرائيلية المدعومة بالولايات المتحدة ، من شأنها تقويض عملية السلام[١].

وفى ضوء ما سبق ، فانه يتضح أن حزب الوفد ، يرى أنه يوجد صراع فى المنطقة، وأنه قد فرض فرضاً على الشرق الأوسط ، ولازال قائماً نتيجة الاصرار الاسرائيلى على إكتساب القوة والسعى نحو المزيد منها وهو ما يؤكد الميول التوسعية فى ضوء الاخلال بموازين القوى بينها وبين العرب لصالحها. كما يرى الوفد أن جوهر هذا الصراع هو القضية الفلسطينية ، التى لو لم يتم حلها حلاً عادلاً يراعى حقوق الفلسطينين فى تقرير مصيرهم بأيديهم ، وحقهم فى إقامة دولتهم المستقلة، فإن عدم حل هذه القضية لن يخلق سلاماً أو إستقراراً فى المنطقة. كما أن التصرفات الاسرائيلية الأخيرة فى عهد نتنياهو، تؤكد أن ما تقوم به هو مؤامرة كبرى بدعم ومساندة أمريكية كاملة ، وأن نصرة شعب فلسطين وإنقاذ عروبة القدس هما السبيل لمواجهة هذه المؤامرة .

٢ - أولوية الصراع فى السياسة الخارجية المصرية :

ويقصد بذلك، مدى ما يحتل الصراع من أولوية فى برامج التيارات السياسية المختلفة. فبالنسبه **لحزب الاحرار**، فقد نص برنامج الحزب على أولوية احترام ميثاق الامم المتحدة ، والالتزام بها كهدف استراتيجى، وأنه فى إطار ذلك ، فانه يمكن تطبيق ميثاقها وتنفيذ قراراتها بالنسبه للقضية القومية، ودعم نضال الأمة العربية من أجل استرداد أراضيها المحتلة ، واستعادة الحق المشروع لشعب

(١) يمكن الرجوع لمقالات فى جريدة الوفد، تعبيراً عن رؤية الحزب منها: رأى الوفد فى ٩٧/٤/٢٣ ص١، جمال بدوى، اسرائيل لاتعرف معلهش، الوفد، ٩٧/٤/٢٤ ، إجتماع الهيئة العليا للوفد فى ١٩٩٧/٤/١٠م، والوفد فى ١٩٩٧/٤/١٢م ، ص١، وجمال بدوى : "بوادر الانفجار"، الوفد، فى ١٩٩٧/٤/٣م.

فلسطين وإقامة دولة له على أرضه[١]. ومن ثم يتضح أن " **الأحرار**" يضع الصراع العربى الاسرائيلى - دون إشارة إلى نص هذه العبارة - والقضية الفلسطينية فى أولوية تالية للمنظمة الدولية.

أما حزب الوفد ، فانه فى برنامجه الانتخابى لعام ١٩٨٤، فانه قد أفرد جزءاً تفصيلياً للسياسة الخارجية المصرية وذلك بالترتيب التالى[٢] :

أ - السلام الدائم العادل	ب - اتفاقية كامب ديفيد
جـ - معاهدة السلام مع مصر	د - توحيد الصف العربى
هـ - مصر والعالم العربى والاسلامى	و - القضية الفلسطينية
ز - التكامل المصرى السودانى	ح - العلاقات المصرية الافريقية
ط - الحياد وعدم الانحياز	ك - الوكالات المتخصصة بالامم المتحدة

ويتضح إذن أن هناك أولوية مطلقة فى قضية الصراع العربى الاسرائيلى وان كانت كل **الأولويات** قد سبقت فى الترتيب القضية الفلسطينية التى جاء ترتيبها فى المركز السادس ضمن عشر أولويات، إلى أن البنود الخمسة الأولى كلها متعلقة مباشرة وبصورة غير مباشرة لهذه القضية التى هى فى حقيقة الأمر - كما يرى الوفد - جوهر النزاع العربى الاسرائيلى من حيث المكانة والأهمية .

ومن ثم فإنه يتضح، وجود تباين بين حزبى الأحرار والوفد. حيث أن **الأول** يرى أن هناك ما هو أعم وأشمل ويتمثل فى تأييد ودعم الأمم المتحدة كمنظمة دولية والالتزام بمقرراتها، ثم الانتقال إلى ما هو أخص وتال، ويتمثل فى القضية الفلسطينية والأرض المحتلة. **أما حزب الوفد** فانه يرى أن بداية حركة السياسة الخارجية هى قضية السلام الدائم والعادل بصفة عامة تليها بعض أوجه الحركة فى إطار هذا البند الأول حتى يصل للقضية الفلسطينية بإعتبارها أساس النزاع كله .

---

(١) برنامج حزب الأحرار الاشتراكيين، مرجع سابق، ص ٦٠،٦١.

(٢) برنامج حزب الوفد الانتخابى لعام ١٩٨٤، مرجع سابق، ص ٣ .

٣ - آليات حل الصراع مع إسرائيل :

يرى **حزب الأحرار** ، أن إحترام ميثاق الأمم المتحدة وتنفيذ مقرراته، وقرارات هذه المنظمة العالمية، هو السبيل لحل القضية القومية، واسترداد الأراضى العربية المحتلة، واستعادة الحق المشروع لشعب فلسطين وإقامة دولته على أرضه[١] .

أما حزب الوفد فإنه يطرح رؤى مختلفة ازاء حل هذا الصراع وإدارته والتعامل معه. فازاء الاصرار الاسرائيلى على الاحتفاظ بأكبر قوة عسكرية فى مواجهة العرب، فان مصر والعالم العربى عليهم مجابهة ذلك عن طريق قوة عسكرية رادعة تكون من شأنها الحفاظ على السلام ، وتحقيق الاستقرار، وردع اسرائيل عن سياستها التوسعية وازاء الاعتداءات الإسرائيلية على المفاعل النووى العراقى، واقدامها على غزو لبنان ، والاقدام على ضم القدس العربية وهضبة الجولان السورية، والاعلان عن اعتبار القدس عاصمة لها بالمخالفة لجميع القرارات الصادرة من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، فان حزب الوفد يرى أن اتفاقية كامب ديفيد أصبحت منعدمة من أساسها، و غير ذات موضوع[٢]. وفى هذا، فان حزب الوفد يختلف مع الحكومة المصرية وحزبها الحاكم فى مدى أهمية كامب ديفيد. حيث يقتنع حزب الوفد بأن هذه التصرفات الاسرائيلية هى أنتهاك صريح لهذه الاتفاقية، إلا أن الحزب قد أعلن تأييده للسياسة الحكيمة التى أعلنها رئيس الجمهورية بعدم عودة السفير المصرى إلى تل أبيب قبل أن تنسحب اسرائيل من لبنان ، وتعود إلى المفاوضات الخاصة بطابا وتحقيق الحكم الذاتى الكامل لشعب فلسطين العربى فى الضفة الغربية وقطاع غزة[٣] .

---

(١) برنامج حزب الأحرار، مرجع سابق، ص ٦٠،٦١.

(٢) برنامج حزب الوفد الانتخابى، مرجع سابق، ص ٣ .

(٣) المرجع السابق، ص ٣

كما يرى الحزب أن معاهدة السلام مع اسرائيل لاتنتقص من التزامات مصر بموجب ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة . ولتحقيق الحل العادل والشامل للقضية الفلسطينية والعربية، فان على الأمة العربية تسخير قدراتها على اختلاف أنواعها للوصول إلى تحقيق هذه الأهداف الكبرى التى يقرها القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة[١] .

وفى حديث لرئيس حزب الوفد حول تصوره لحل القضية الفلسطينية قال: "باعتبار أن الفلسطينين هم أصحاب الحق فى تقرير مصيرهم، فان على العرب أن يدعموهم. وإذا كان الجلاء عن سيناء ممكناً فى ظل صلح منفرد، فاننا - فى الوفد- نؤيد موقف الحكومة المصرية فى رفض التخلى عن الفلسطينين، وفى رفض الصلح المنفرد أو الحل الجزئى[٢].

وازاء التطورات الحديثة منذ تصعيد " نتنياهو" للتصرفات السلبية ازاء عملية السلام، فان الوفد، قد حرص على إدانة هذه السياسات التوسعية الاستيطانية لاسرائيل، واعتبارها تمثل استهتاراً بالمواثيق الدولية وإخلالاً بإتفاقيات السلام، وأن الولايات المتحدة تمثل غطاء الشجاعه الاسرائيلية ازاء ما تقوم به من تصرفات وهو ما يستحق الادانة للموقف الأمريكى نفسه، وازاء ذلك فان الوفد يرى ضرورة الجمع بين الوسائل الدبلوماسية، والأساليب العملية. وتتمثل الأخيرة فى ضرورة إعادة النظر فى التطبيع مع اسرائيل، واعلان موقف عربى حاسم ضد أمريكا لاشعارها بأن مصالحها أصبحت محل تهديد نتيجة المساندة غير المبررة لتصرفات اسرائيل، ودعم أبطال الانتفاضة وشباب الحجارة داخل الأرض

(١) برنامج حزب الوفد ، المرجع السابق، ص ٣.

(٢) حديث لفؤاد سراج الدين (رئيس حزب الوفد) ، مرجع سابق، ص ٩٥.

العربية المحتلة ضد اسرائيل واعتبار أن المشاركة الشعبية عنصر حاسم فى تغيير المعادلة[١]. أما الاجراءات الدبلوماسية فتتمثل فى السعى نحو دول العالم وحكمائه باقناعهم بحرص الدول العربية على عدم ذبح السلام على عكس اسرائيل، ودعم قيادة مصر لتيار الرفض ضد اسرائيل إنطلاقاً من قيادتها للأمة العربية، وأن هذا يستدعى ضرورة الدعوة لعقد القمة العربية لردع إسرائيل[٢] .

وفى إجتماع رسمى للهيئة العليا للوفد فى ١٩٩٧/٤/١٠ ، تمت مناقشة عدة موضوعات تتعلق بتطورات الأوضاع فى قضية فلسطين ، وسياسات اسرائيل الاستيطانية، وتهويد القدس العربية. وأكد المجتمعون على التنديد بالانتهاكات الاسرائيلية لمعاهدات السلام،والتى من شأنها إعادة التوتر إلى المنطقة، وطعن مسيرة عملية السلام،وأمن واستقرار الشرق الاوسط . وطالب المجتمعون باتخاذ خطوات فعالة لمواجهة التعنت الاسرائيلى تتمثل فى تجميد التطبيع فى المجالات الاقتصادية والزراعية كخطوة أولى يمكن أن تتبعها خطوات أخرى إذا استمرت حكومتها فى تهديد السلام وسياسة الاستيطان فى الأراضى العربية.

واعتبرت الهيئة المجتمعة أن توصية الجامعة العربية بوقف تطبيع العلاقات مع اسرائيل وأيضاً قرار عدم الانحياز فى هذا الشأن، يمثلان الحد الأدنى من السياسة التى يجب إتباعها مع إسرائيل حتى لاتؤدى سياستها إلى تدمير عملية ١٠
السلام ومسيرتها[٣] .

---

(١) جريدة الوفد فى ١٩٩٧/٤/٢٣، ص ١ .
(٢) جريدة الوفد فى ١٩٩٧/٣/٢٦، ص ١ .
(٣) جريدة الوفد ، ١٩٩٧/٤/١٢، ص ١ .

كما أن الوفد قد أيّد القرار الذى اتخذه رجال الأعمال المصريون بتجميد نشاطهم فى اسرائيل ووقف المشروعات المشتركة التى سبق أن إتفقوا على إقامتها داخل اسرائيل. وذلك باعتبار أن هذا القرار يأتى استجابة للرفض الشعبى الذى أكده شعب مصر برفضه استمرار سياسة التطبيع، وذلك إلى أن تعود حكومة اسرائيل إلى رشدها وإحترام اتفاقيات السلام واحترام المشاعر العربية وحقوق الفلسطينين ، ووقف عمليات تهويد القدس العربية(١) .

كما أعلن حزب الوفد أيضاً تأييده للرئيس مبارك فى إعلانه بأن رئيس وزراء اسرائيل يقود الشرق الأوسط إلى وضع خطير ، ونجح فى تخويف العالم أجمع ، وأن مسيرة السلام تواجه اليوم أسوأ وضع منذ عام ١٩٧٧. ولذلك فانه من الضرورى توقع الانفجار، واعداد العدة، وعدم انتظار المساندة من أحد، خاصةً وأن الولايات المتحدة التى يتم إنتظار العمل الايجابى منها، فانها تميل وتنحاز انحيازاً مطلقاً نحو اسرائيل(٢).

وفى ضوء ما سبق يتضح أن الوفد يطرح آليات عملية لمواجهة هذا التصرف السلبى من جانب إسرائيل ، فضلاً عما يطرحه من ضرورة النهج الدبلوماسى ، مع الاستعداد لأية انفجارات للموقف تهدد عملية السلام كلها، وهو ما يتطلب إعداد العدة دون الاعتماد على أحد لمواجهة إسرائيل بتصرفاتها العدوانية والاستفزازية للعرب جميعاً .

---

(١) جريدة الوفد ، ١٩٩٧/٤/٦ ، ص ١ .

(٢) جمال بدوى، " بوادر الانفجار "، جريدة الوفد، ١٩٩٧/٤/٣. ص ١.

المبحث الثانى

قـوى التيـار اليسارى

يعتبر الحزبان اللذان يقعان على يسار النظام الحاكم، هما : حزب التجمع الوطنى التقدمى، والحزب الديمقراطى الناصرى. **فحزب التجمع** هو أحد الأحزاب الثلاث الأولى فى تجربة التعدد الحزبى الحديثة التى بدأت بعام ١٩٧٦، كما سبقت الاشارة ، بإعتبار الحزب الذى يمثل قوى اليسار وتياراته المختلفة . **أما الحزب الديمقراطى** الناصرى، فانه يمثل التعبير عن التيار الناصرى أو لسان حال تجربة عبد الناصر فى سياق الظروف والمستجدات فى الثمانينات والتسعينيات، أو مرحلة ما بعد وفاة عبد الناصر. وفى ضوء تحليل علاقة هذين الحزبين بقضية السلام، فانه يمكن تناول ذلك فى إطار القضايا الأساسية لهذه العملية على النحو التالى :

١ - طبيعة الصراع مع إسرائيل :

يرى **حزب التجمع** فى برنامجه الرئيسى، أن الصراع مع اسرائيل هو معركة مستمرة مع التسلط الاستعمارى الصهيونى، وأن القضية الفلسطينية هى مفتاح الحرب والسلام فى المنطقة، وأن حرب أكتوبر أكدت أن التضامن العربى هو السلاح. الأول سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وأن دعم القوى التقدمية العالمية هو السلاح الثانى ، كما أن حرب البترول كانت بمثابة بداية معركة هامة ضد التسلط الاستعمارى الصهيونى[١].

أما فى الوثيقة الانتخابية (البرنامج الانتخابى العام لمجلس الشعب عام ١٩٨٤)، فقد تضمنت الاشارة إلى النضال العربى والفلسطينى ضد اسرائيل، حيث

---

(١) برنامج حزب التجمع الوطنى الوحدوى ، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢٨،٢٩.

أن اتفاقيات كامب ديفيد أدت إلى تحول أوضاع المنطقة، مما أدى إلى خلل استراتيجي خطير في معادلة الصراع العربي الاسرائيلي، لصالح اسرائيل، وذلك بتنصيب أمريكا - خصم العرب - حكماً في تسوية الصراع ، بينما تم حجب الدور السوفيتي في تأييد ودعم الأمة العربية في معارك الحرب والسلام ، كما أنها فكت الحصار الذي يضربه الرأى العام العالمي حول اسرائيل، فضلاً عن انها أطلقت بذلك كلمة العنان لقدرة اسرائيل على مواصلة العدوان والضم والاستيطان[١].

وفي البرنامج الانتخابي العام للحزب بعنوان " التغيير بإرادة الجماهير" ، كإطار لحركة الحزب في انتخابات البرلمان لعام ١٩٩٥ ، ورد الربط بين افتقاد التضامن العربي واختلال ميزان القوى في المنطقة لصالح اسرائيل ، وأنه قد استهدف التفكيك العربي لاستثماره في ضمان دور قيادي لاسرائيل، ذات تأثير متزايد ونفوذ بلا حدود على حساب دور مصر ومسئولياتها العربية وأنه يتم صياغة نظام اقليمي جديد شرق أوسطي ، على انقاض النظام الاقليمي العربي، ولذلك فان أولوية التنسيق العربي هو الاطار لمواجهة إسرائيل والمخططات الأمريكية حماية للمصالح العربية المشتركة[٢].

أي أن المسألة تتجاوز النطاق الأرضي " المحدود بين العرب وإسرائيل، إلى نطاق الصراع الشامل الذي يضم الوطن العربي كله وتهديد مصالحه أزاء الوجود الاسرائيلي والمخططات الأمريكية التي تستهدف الأضرار بالعرب عموماً.

---

(١) وثيقة " البرنامج الانتخابي العام لحزب التجمع بعنوان: " برنامجنا لإنقاذ مصر" ، ١٩٨٤، ص٨١،٨٢.

(٢) البرنامج الانتخابي العام لحزب التجمع بعنوان: " التغيير بارادة الجماهير، اكتوبر ١٩٩٥، ص ٣٢.

وبالإشارة إلى بعض الكتاب الراديكالين، فإن هناك إتساق بين مضمون وثائق حزب التجمع السابق الاشارة اليها، وكثير من كتابات هؤلاء . حيث يشير **حلمى شعراوى** فى مقال له، بعنوانه " " لاسلام بدون دولة فلسطينية ديمقراطية علمانية" ، إلى أن الحوار الحالى، وما يستتبعه من اجراءات للتطبيع ، لايمثل الا تطويعاً للجانب العربى وهيمنة للحلول الاسرائيلية. بل أن هذا الحوار وما يطرحه أصحابه من سلام هش، لايمثل إلا محاولة لاستبدال الحل الشامل والجذرى للصراع العربى الصهيونى، برغبات محدودة ، وحوار غير ذات جدوى حقيقية، ويركز على أن الصهيونية التى يمثلها نتنياهو رهن عنصرية فاشية توسعية، ومالم تقام الدولة الفلسطينية العلمانية ، فإنه لا استقرار أو سلام [١].

على حين يشير الكاتب **محمد سيد أحمد** ، فى عدة مقالات ، يشير فيها إلى أن طبيعة الصراع بين العرب وإسرائيل فى طريقها إلى التصفية لا إلى التسوية[٢]. كما أن د.**ابراهيم سعد الدين** ، فى عدة مقالات له يشير إلى أننا أمام تسوية سلمية مفروضه تعبر عن اختلال توازن القوى القائمة بالفعل بين الطرفين العربى والاسرائيلى. وأن الصراع يدور بين طرف يريد أن يتسيد ويهيمن ، وبين طرف لايذهب إلى كسر هذا الوضع مما يخلق تسويات غير متكافئة لتوازن مفقود بين العرب وإسرائيل لصالح الأخيرة ، وبمساندة أمريكية كاملة[٣].

كذلك فقد أشار الكاتب **محمد عودة** ، فى أحد مقالاته ، إلى أن السلام لايتحقق فى صراع كالصراع العربى الاسرائيلى، إلا على أساس موازين قوى دقيقة. حيث أنه عندما يقتنع العدو الاسرائيلى، بأنه لايحقق شيئاً بالحرب يمكنه قبول السلام الذى لابديل له . فالسلام لابد أن يستند إلى قاعدة استراتيجية متكافئة تتناسب مع طبيعة الصراع[٤].

---

(١) حلمى شعراوى، " لا سلام بدون دولة فلسطينية ديمقراطية علمانية، جريدة الأهالى، ١٩٩٧/٣/٢٦.

(٢) من هذه المقالات : محمد سيد أحمد ، " تسوية .. أم تصفية ؟ " ، الاهرام ٩٧/٤/١٧، و(٣) مقالات بعنوان : " حوار لايكون تطبيعا !! " الأهالى ، ٣/١٢، ٣/١٩، ١٩٩٧/٣/٢٦.

(٣) د. ابراهيم سعد الدين ، " لم يعد هناك مجال لخداع النفس" ، الأهالى، ٩٧/٤/١٦.

———— وأيضاً:"التسوية السلمية واستمرار الصراع"،الأهالى، ٩٧/٤/٢٣.

(٤) محمد عودة ، " لمن توجه المدافع .. " ، الأهالى ، ١٩٩٧/٤/٢٣.

كما أن الكاتب **ماجد الكيالى** ، يشير إلى أن مسألة حسم الصراع بين العرب واسرائيل، يتوقف على مدى استعداد اسرائيل للتطبيع مع ذاتها، أى بمدى تحولها إلى دولة لمواطنيها، وإلغاء طابعها العنصرى وتخليها عن دورها السياسى- الوظيفى فى المنطقة، وهو مالم تحسمه اسرائيل داخلياً حتى الآن، وبالتالى يظل الصراع قائماً ، والتطبيع فرضية غير مقبولة[1] .

وهكذا يتضح أن رؤية الاتجاه الراديكالى على مستوى " التجمع " ، لم يشر صراحةً وبشكل مباشر - من خلال ما أتيح لنا - إلى مضمون الصراع العربى الاسرائيلى وطبيعته، سوى بأنه صراع بين أصحاب أرض ، وبين عدو صهيونى ارهابى توسعى، يرغب فى السيطرة على حقوق الآخرين ، ولايعترف هذا العدو ، بحقوق الشعب الفلسطينى فى الوجود وفى إقامة دولته الحرة المستقلة. ويربط كثير مما كتبوا فى هذا الحزب وصحيفته أو على صفحات صحف أخرى، بين امكانية انتهاء أو استيعاب هذا الصراع بل والمواجهة الفعلية للعدو الصهيونى، وبين ضرورة التضامن العربى. أى أن حسم هذا الصراع لصالح العرب، يشترط ضرورة التنسيق العربى، وخلق قاعدة استراتيجية متكافئة مع العدو ، وبدون ذلك فان ما يتم هو سلام هش ، ومعاهدات غير متكافئة .

أما الحزب الناصرى، فانه يرفض رفع شعار أن ما بيننا وبين اسرائيل **هو** مجرد حاجز نفسى حطمته اتفاقيات كامب ديفيد. حيث أن اسرائيل هى العدو الحقيقى، ويرفض هيمنتها أو التطبيع معها ، أو حتى مجرد تفوقها على العرب. كما يرفض التعبئة المصرية للعرب للأقدام على الصلح مع اسرائيل، وينظر الحزب الناصرى إلى " **اتفاقية غزة/أريحا**" على أنها تضع الشعب الفلسطينى داخل

---

(١) ماجد الكيالى، " المثقف العربى ومسألة النسوية " ، الحياة، ١٩٩٧/٣/٢٩.

معتقل تحرسه اسرائيل! . وتأتى هذه النظرة الناصرية فى إطار الحديث عن صراع عربى صهيونى، متعدد المستويات ويقوم على البعد الحضارى أكثر من مجرد مواجهة عسكرية أو معركة سلام قائمة على عدم التكافؤ(١).

وتعبيراً عن اتجاه الحزب الناصرى من خلال ما أسفر عنه المؤتمر القومى العربى السابع الذى انعقد فى الدار البيضاء بالمغرب خلال الفترة من ١٩- ٢١ مارس (١٩٩٧)، فان المؤتمر يرى أن الصراع العربى الاسرائيلى هو صراع وجود ، وليس نزاع حدود، وهذا مايتطلب ضرورة احداث نقلة نوعية فى التعامل العربى مع هذا الصراع(٢). وقد أكد كثيرون على هذه المعانى من الكتاب الناصرين ومنهم، الكاتب عبد الله امام(٣)، ومحمود المراغى(٤)، وضياء الدين داود (الأمين العام للحزب الناصرى)(٥)، وجلال عارف(٦) ، ومصطفى بكرى(٧) ، وأمين هويدى(٨) .

---

(١) البرنامج الانتخابى للحزب الناصرى: " من أجل مجتمع العزة والكرامة "، جريدة العربى، ١٩٩٥/١٠/٣٠، وأيضاً ١٩٩٥/١١/٢.

(٢) عرض لمقررات المؤتمر القومى العربى السابع (١٩-٢١ مارس/٩٧ بالدار البيضاء) جريدة العربى، ١٩٩٧/٣/٢٨.

(٣) عبد الله امام ، " دموع صاحب الجلالة " ، العربى ١٩٩٧/٣/٢٤.

(٤) محمود المراغى ، مصر وحجة باطلة. العربى ، ٩٧/٤/١٤، وأيضاً: بعيداً عن ضجة القدس ، من يضرب اسرائيل !؟ ، العربى ١٩٩٧/٣/٣١، وكذلك: " قولوا " لا" مرة واحدة ، العربى، ١٩٩٧/٥/١٢.

(٥) ضياء الدين داود ، " نواجه بالجماهير الوقاحة الصهيونية، العربى، ١٩٩٧/٤/٧.

(٦) جلال عارف، " بين سلام الجرافات وسلام البوتاجاز ، أحاديث الجهاد لاتكفى" العربى، ١٩٩٧/٣/٣١.

(٧) مصطفى بكرى ، " إنهاء الحرب !! " الأسبوع ، ١٩٩٧/٤/١٤.

(٨) أمين هويدى ، " الصراع العربى الاسرائيلى بين الكراكات والطلقات والبيانات ، الاهرام ، ١٩٩٧/٤/٢١.

وهكذا يتضح أن الحزب الناصرى يرى أن الصراع بين العرب واسرائيل، هو صراع عربى صهيونى ، وهو صراع وجود ، وليس مجرد نزاعات على أراضى محتلة. أى أنه صراع حضارى متعدد المستويات، صراع قائم على أما أن تكون مستقلاً إستقلالاً كاملاً ، أو تابعاً تبعية مطلقة سواء لاسرائيل فى ظل الشرق أوسطيه ، أو سواء للولايات المتحدة باعتبارها القوة العالمية المهيمنة بعد اختفاء الاتحاد السوفيتى ، واختذاله فى دولة روسيا التى أضحت جزءاً من تطور غربى .

٢ – أولوية الصراع فى السياسة الخارجية :

يمثل الصراع العربى الاسرائيلى أولوية قصوى وواضحة فى تصور حزب التجمع وكذا **الحزب الناصرى**. حيث يرى كلاهما المسألة وكافة المتغيرات المرتبطة بها، تدور فى إطار حركة هذا الصراع. وأن تتبع تطورات كل من طرفى الصراع (العرب وإسرائيل) هو الذى يقود إلى فهم لكيفية التعامل معه .

فعلى حين يرى **حزب التجمع** فى وثائقه المختلفة ، حين يبدأ حديثه عن السياسة الخارجية، فانه يبدأ على الفور فى الصراع العربى الاسرائيلى، والسعى نحو تحرير الأرض المحتلة فى عام ١٩٦٧، واعتبار أن القضية الفلسطينية هى مفتاح الحرب والسلام فى المنطقة. فضلاً عن إعتباره لاتفاقيات كامب ديفيد نقطة تحول فى أوضاع المنطقة أدت إلى خلل استراتيجى لصالح اسرائيل الذى أطلق لها العنان فى مواصلة العدوان والضم والاستيطان . وفى ضوء المتغيرات الاقليمية والدولية فان الحزب يرى أولوية الاهتمام بالصراع فى ضوء محاولة استثمار التفكيك العربى واختلال ميزان القوى فى المنطقة لصالح اسرائيل لاعادة ترتيب

الأوضاع بما يضمن لاسرائيل دوراً قيادياً متزايد التأثير والنفوذ على حساب دور مصر ومسئولياتها العربية. وقد وردت هذه الاشارات فى بداية الحديث عن السياسة الخارجية والعربية[١] .

كذلك فان الحزب الناصرى يولى الصراع العربى الاسرائيلى، أولوية محورية، إلى الحد الذى يعتبره مؤثراً على تطورات الأوضاع الداخلية. حيث أن إغفال الأولوية لهذا الصراع ، والتعامل مع بعض المعطيات المطروحة على الساحة من شأنها تطويع الداخل والجماهير العربية، وتغيير منظومة القيم المضادة، لاسرائيل باعتبارها كياناً صهيونياً، ولذلك فان الحزب يرفض الخطاب الحكومى والرسمى الذى يسعى للتطبيع، وتطويع الأنظمة العربية لصالح اسرائيل والتبعية للولايات المتحدة الامريكية. فالصراع العربى الصهيونى. كما يرى هذا الحزب يعتبر هو محور التفاعلات فى المنطقة العربية وعلاقات أطرافها بالنظام الدولى، ومن ثم فانه يمثل أولوية قصوى فى هذا الصدد[٢] .

٣ - آليات التعامل مع الصراع :

ينطلق اليسار فى تصوره لآليات التعامل مع الصراع وكيفية حله ، من استمرارية هذا الصراع لتعدد مستوياته . ويلاحظ أن هناك ثوابت أساسية فى التعامل مع الصراع، وهناك بعض المتغيرات وفقاً للظروف والمستجدات .

---

(١) برنامج حزب التجمع الوطنى، مرجع سابق، ص ٢٩،٢٨ ، وبرنامج "إنقاذ مصر لعام ١٩٨٤"، مرجع سابق، ص ٨١: ٨٨، وأيضاً: البرنامج الانتخابى للحزب "التغيير بإرادة الجماهير لعام ١٩٩٥" ، ص٣٢: ٣٤.

(٢) وثائق الحزب الناصرى ، مرجع سابق .

فحزب التجمع فى أولى وثائقه (برنامج الحزب) ، يشير إلى الآليه الملائمة للتعامل مع هذا الصراع وتتمثل فى السعى لتكوين جبهة عربية تضم مختلف القوى والأحزاب والهيئات والشخصيات التى تؤمن بالنضال العربى فى مساره التحررى التقدمى الاشتراكى والساعى إلى الوحدة[١] . فالاطار الأوسع للتعامل مع هذا الصراع يتمثل فى تحقيق التضامن العربى كسلاح أول ، ودعم القوى التقدمية العالمية هو السلاح الثانى، أما البترول وتوظيفه كسلاح هو بمثابة السلاح الثالث ويعكس معركة ضد التسلط الاستعمارى الصهيونى[٢].

وفى وثيقة ثانية وهى البرنامج الانتخابى لعام ١٩٨٤، أشار إلى دور مصر فى تحمل مسئولية التعامل مع هذا الصراع، وذلك بإسقاط كامب ديفيد، وما يستتبع ذلك من التخلى عن أباطيل التطابق الاستراتيجى مع الولايات المتحدة، بالاضافة إلى التوقف التام عن تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل، ووقف تصدير البترول المصرى إلى إسرائيل والتصدى الحازم لأخطار التسلل الصهيونى إلى فكر ووجدان الشعب المصرى، ومقاومة كل محاولة تجعل من اتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح مع الحكومة المصرية وإسرائيل قيداً على حرية الارادة الوطنية فى الداخل والخارج. فضلاً عن ضرورة النضال من أجل تصحيح توازن القوى بالمنطقة الذى اختل لصالح اسرائيل، والحيلولة دون امتداد سياسة الصلح المنفرد إلى باقى أجزاء الوطن العربى ، والوقوف بجانب لبنان فى مواجهتها

(١) برنامج حزب التجمع ، مرجع سابق ، ص ٢٨، ٢٩.
(٢) المرجع السابق.

لاسرائيل، وكذا التمسك الحازم بحق الشعب الفلسطينى فى استخدام كافة أشكال النضال وحقه فى تقرير وإقامة دولته المستقلة بقيادة المنظمة[١].

أما البرنامج الانتخابى لعام ١٩٩٥، فقد أشار إلى كيفية التعامل مع هذا الصراع، وتتمثل فى ضرورة قيام مصر بدور فعال وفورى لتجاوز الحروب والصراعات العربية/ العربية، واستعادة التضامن العربى، وتهيئة الأساس الكافى لاستئناف العمل العربى المشترك لإقامة تكتل اقتصادى عربى تأكيداً لمبدأ الاعتماد الجماعى العربى على النفس، وكرد على مخططات السوق الشرق أوسطية، وذلك فى إطار أولوية التنسيق العربى فى مواجهة اسرائيل والمخططات الأمريكية حماية للمصالح العربية المشتركة، بالاضافة إلى تصفية الآثار المدمرة لكامب ديفيد ، ورفض التطبيع مع إسرائيل، ودعوة الشعب لمقاطعة اسرائيل اقتصادياً وثقافياً إلى أن تعلن كافة الحقائق المتعلقة بجريمة قتل الأسرى المصريين ، وكذا تحقيق سلام عادل وشامل فى المنطقة أساسه حق الشعب الفلسطينى فى قيام دولته، وحماية المقدسات الاسلامية والمسيحية والسيطرة عليها والتصدى للمحاولات الاجرامية التى تستهدف العدوان عليها. كما يشير البرنامج إلى المطالبة بمحاكمة دولية لمجرمى الحرب الصهاينه الذين قتلوا الأسرى المصريين ، وإنهاء الأوضاع التى تنتقص من سيادة مصر على سيناء، ورفض توصيل مياه ترعة السلام إلى اسرائيل[٢] .

١

(١) البرنامج الانتخابى لحزب التجمع لعام ١٩٨٤، مرجع سابق .

(٢) البرنامج الانتخابى لحزب التجمع لعام ١٩٩٥، مرجع سابق ، ص ٣٢،٣٣.

وفى ضوء الظروف التى استجدت خلال الأشهر الماضية، وإظهار اسرائيل فى عهد نتيناهو لسياستها الاستيطانية الاستفزازية، خاصةً ما يتعلق بالقدس وإنشائها لمستوطنة أبوغنيم، فان تتبع كتابات وآراء جريدة الحزب، تكشف على المعارضة الواضحة لاستمرار التطبيع ، والدعوة إلى مواجهة العنف الاسرائيلى من خلال تدعيم الانتفاضة الفلسطينية فى الداخل(١).

بينما يدعو **حلمى شعراوى** إلى رفض التطبيع ، وأن جهد المثقف الحقيقى يجب أن يتركز على الدعوة للدولة الفلسطينية الديمقراطية على كامل التراب الفلسطينى من دون صهيونية وعنصرية نتنياهو الفاشية(٢).

كما يطرح د. **ابراهيم سعد الدين** ، أنه لكسر هذه التسويات غير المتكافئة، فان السعى العربى لاحتواء اسرائيل ومنعها من التوسع أو الهيمنة، لايكون بالمواجهة العسكرية مع اسرائيل، أو بالحصار الاقتصادى، وإنما بتحقيق تقدم المجتمعات العربية وتحصينها من امكانات الاختراق. وأن التقدم المطلوب للعرب هو تقدم مجتمعى شامل بما فى ذلك من بناء قاعدة علمية وتكنولوجية مستقلة، وأن الوسيلة لتحقيق ذلك هو تكتيل الجهود العربية لتحقيق نهضة عربية وتنمية تكاملية، بما يؤدى إلى إتحاد فيدرالى عربى قائم على التقدم الاقتصادى، وتوافر الديمقراطية ، والعدل الاجتماعى(٣) .

---

(١) رأى الأهالى ، ١٩٩٧/٣/٢٦.

(٢) حلمى شعراوى ، " لاسلام بدون دولة فلسطينية " ، مرجع سابق .

(٣) د. ابراهيم سعد الدين، " التسوية السلمية واستمرار الصراع" ، مرجع سابق.

أما الكاتب **محمد عودة** ، فيطرح فكرة أن السلام لايتحقق إلا فى ظل موازين قوى دقيقة، وأن اشعار اسرائيل بأن مالا يتحقق بالحرب يمكن قبوله بالسلام الذى لابديل له. ويطالب لذلك، بشحذ كل القوى وتعبئتها على كافة الأصعدة، ليس من أجل الحرب، ولكن لاقناع اسرائيل أنه لا سبيل سوى السلام . ودعا إلى إجراء عملى باعلان المقاطعة الشعبية الشاملة لكل ما هو أمريكى ولمدة أسبوع[١] .

أما الكاتب **صلاح الدين حافظ** ، فدعا إلى التركيز على الحركة الشعبية، وتدعيم الانتفاضة الفلسطينية، وضرورة عقد القمة العربية باعتبارها مسألة ملحة، وهو ما يستلزم إعادة تجميع بعض عناصر القوة العربية، لكى تبنى من جديد مقاومة شرعية وقوية فى مواجهة اسرائيل الهائجة ، وأشار إلى اهمية وقف التطبيع مشيداً بالدول التى انخرطت فى علاقات تسوية سابقة ، وأوقفت التطبيع ، خاصةً دول الخليج[٢] .

ووصل أمر اختلاف هذا الحزب مع الحزب الحاكم بشكل واضح، عندما استقبل الرئيس مبارك نتنياهو فى شرم الشيخ فى ٩٧/٥/٢٧، حيث كتبت الأهالى رافضة ذلك اللقاء، باعتباره لقاء بلا ثمن فضلاً عن أن هذا الموقف كشف عن التوجه الرافض من جانب حزب التجمع لعمليات التطبيع ، والتمسك بالدعوة لعدم الهرولة نحو اسرائيل، وطالب بالهرولة فقط نحو أساليب أخرى تساعد فى إسترداد الأرض والحقوق العربية[٣] .

---

(١) محمد عودة، لمن توجه المدافع ، مرجع سابق.

(٢) صلاح الدين حافظ ، " من منبر الأزهر إلى منبر القمة " ، مرجع سابق .

(٣) رأى الأهالى . " شرم الشيخ .. لقاء بلا ثمن " ، ١٩٩٧/٥/٢٨.

وهكذا يتضح أن حزب التجمع يحدد آليات التعامل مع الصراع العربى الاسرائيلى، ومن منطلق الرؤية الشاملة لطبيعته وحركة هذا الصراع ، ولذا فان الطرح الذى يقدمه يأتى فى سياق هذا الفهم ، بالاضافة إلى طرح مجموعة من الآليات تتمثل فى مجموعة اجراءات كوقف التطبيع وخلافه . فضلاً عن أن هذه الرؤية تتعارض كلية مع سياسة الحزب الوطنى الحاكم .

أما الحزب الناصرى : فقد أكد الحزب على تدعيم كل ما هو عملى، ودون الاكتفاء بالمساندة النظرية ، ويأتى ذلك فى سياق استيعابهم لحتمية الصراع واستمراريته بين العرب واسرائيل ، وهنا فانهم يتشابهون أو يلتقون مع كثير من أفكار حزب التجمع .

فالمؤتمر القومى العربى الأخير فى مارس الماضى، طرح عدة آليات، فى ضوء الظروف التى استجدت، وهى : [ضرورة عقد مؤتمر عالمى لبحث حق العودة، وتقرير المصير للشعب الفلسطينى ، مع وقف التفاوض مع الكيان الصهيونى، والغاء اجراءات التطبيع التى اتخذتها بعض الدول العربية، وتفعيل المقاطعة الشعبية لاسرائيل وتطويرها، ودعم المقاومة المشروعة الفلسطينية واللبنانية للاحتلال الصهيونى، ورفع درجة التعبئة السياسية والدبلوماسية والشعبية وتقديم الدعم المعنوى والمادي لصمود الشعب الفلسطينى فى القدس ، وأخيراً الدعوة لعقد قمة عربية طارئة بحضور جميع الدول العربية دون استثناء[1].

(١) المؤتمر القومى العربى السابع، مرجع سابق.

ويتضح من خلال هذه المقررات مدى التعارض للاتجاه القومى للسياسات التى يتم تنفيذها على المستوى المصرى والعربى. فهذا الاتجاه يحمل رفضاً للتفاوض حالياً، ورفضاً لاجراءات التطبيع مع اسرائيل ثم دعوة إلى العديد من الاجراءات التى تسهم فى دعم المفاوض العربى. وفى كلمة لأمين عام الحزب الناصرى (ضياء الدين داود)، فقد علق على قرارات اجتماع وزراء الخارجية العرب، بأنها لاتفى بمستوى الطموح الجماهيرى العربى. وأكد على أن حركة الأحزاب والقوى السياسية والعربية والمصرية، ستقود إلى احداث التغييرات فى المواقف الرسمية وكذا فى التطبيق العملى. وطالب إلى جانب ذلك بدعم الانتفاضة الفلسطينية، مع إعادة النظر فى العلاقات الخاصة مع أمريكا والدعوة إلى سرعة انعقاد القمة العربية[١] .

وقد رفض محمود المراغى فى إحدى مقالاته ، الحجة التى تبديها مصر للتخلف عن تنفيذ قرارات الجامعة العربية بمقاطعة اسرائيل، لأن هذا يفقد القرار والمقاطعة جدواها وقوتها، ويعطى المبرر للمترددين بالتخلف عن السير فى هذا الطريق، كما أكد أيضاً على أن سلاح المقاطعة التجارية يحدث فعالية كبيرة ، ويجبر اسرائيل على التراجع لما يصيب الاقتصاد الاسرائيلى بالاهتزاز[٢]. كما يرفض " المراغى " أيضاً عقد مؤتمر الدوحة الاقتصادى فى نوفمبر القادم، تأكيداً لقرارات الجامعة بالمقاطعة ، مع اعتبار ضرورة " أن نقول لا... مرة واحدة .. لكى نكتسب احترام العالم وشعوبنا العربية[٣] .

---

(١) كلمة (ضياء الدين داود) ، جريدة العربى، مرجع سابق.

(٢) محمود المراغى، مصر وحجة باطلة، العربى، ٩٧/٤/١٤ ، ص ٥ .

(٣) محمود المراغى ، قولو" لا " مرة واحدة " ، العربى، ٩٧/٥/١٢، ص ٥ .

ويشير **جلال عارف** إلى أهمية تصعيد الدعوة الى الجهاد ضد الصهاينة، وذلك بتصعيد ودعم الانتفاضة الثانية ضد اسرائيل لاجبارها على إرجاع الحقوق العربية(١).

كما يشير **مصطفى بكرى** إلى أهمية لغة التشدد ، ولذلك فهو يرفض سياسة الليونة المتبعة من الحكومة المصرية والحكومات العربية، بالاضافة إلى ضرورة طرد السفير الصهيونى، وسحب سفيرنا المصرى مما يشعل الشارع العربى(٢). أما السيد/ **أمين هويدى**، فانه يدعو إلى عقد مؤتمر عالمى فى جنيف يكون هدفه الحد من استخدام الكراكات وتنظيم عملها، وفرض حظر على استخدام الفيتو ، على أن يعطى أسبقية على مؤتمرات حظر انتاج الأسلحة النووية وأسلحة التدمير الشاملة، لأن ترك الكراكات فى عملها، يؤدى إلى تغيير الأرض جغرافياً وعسكرياً وديموغرافياً، وهذا أخطر ما فى الأمر(٣) .

كذلك فانه فى سياق فهم الحزب لعملية الصراع العربى الاسرائيلى، ومواقفه، فان الحزب اعترض على استقبال مصر ورئيسها لنتنياهو (رئيس وزراء اسرائيل) فى شرم الشيخ- فى أواخر مايو ١٩٩٧م - وذلك استناداً لموقف الحزب المعارض أساساً لما تسمى بمساعى السلام، واتفاقيات السلام منذ كامب ديفيد حتى الآن . والحزب الناصرى يدعو ازاء هذا التصرف - والذى يعترض عليه - إلى ضرورة الالتزام بالرأى الشعبى الواضح الداعى لوقف كل العلاقات مع العدو الصهيونى وأعمال قرارات مؤتمر وزراء الخارجية العرب، والمؤتمر الاسلامى،

---

(١) جلال عارف، " بين سلام الجرافات وسلام البوتاجاز" ، أحاديث الجهاد لاتكفى، العربى، ١٩٩٧/٣/٣١.
(٢) مصطفى بكرى، انهاء الحرب، مرجع سابق.
(٣) أمين هويدى ، مرجع سابق .

كما يدعو الحكومة المصرية العمل والالتزام باعتبارها الطرف الأصيل، كما يدعوها ومعها الحكومات العربية إلى إعادة النظر بشكل كامل فى مجمل السياسات تحت راية ما يسمى بالسلام، وان تضع فى اعتبارها أى سلام تسعى اليه، ومع أى كيان. وذلك فى اطار التساؤل: وهل يمكن تصور سلام مع كيان عنصرى استعمارى استيطانى أيا كان حجمه ، يحتل الأرض العربية ويسعى للمزيد، ويدوس على الحقوق والكرامة العربية؟[١] .

وفى ضوء ما سبق يتضح أن الحزب الناصرى يجمع بين الالتزام العقائدى فى رؤيته لطبيعة الصراع مع اسرائيل وأولويته وباعتباره محور حركة التفاعلات الاقليمية والدولية، وبين الاجراءات العملية القائمة على فكرة الجهاد والاستعداد للحرب والتكافؤ باعتباره هو قاعدة التفاوض وأساس عملية السلام.

---

(١) بيان الحزب الناصرى ازاء زيارة نتنياهو لشرم الشيخ ، العربى، ١٩٩٧/٦/٢.

المبحث الثالث

قوى التيار الإسلامى

يمكن التركيز على حزب العمل باعتباره ممثلاً للتيار الاسلامى ، فضلاً عن الاشارة إلى عدد من الكتاب الاسلاميين فى الصحف القومية أو الحزبية.

ويمكن تحديد توجهات هذا التيار من خلال تحليل النقاط التالية :

١ - طبيعة الصراع مع إسرائيل :

يوضح برنامج الحزب الأساسى (العمل الاشتراكى) ، أن التعامل مع اسرائيل يتطلب وضع المحاذير العسكرية والاقتصادية والتى تتطلب بدورها اليقظة الدائمة لحماية أمننا القومى ، وأن الرغبة فى السلام لايمكن أن تصرفنا عن الاستعداد اللازم لتحرير الأراضى المحتلة وإقامة الدولة الفلسطينية بالقوة(١). ولم يفصح البرنامج عن رؤية طبيعة الصراع خارج هذا المعنى. وفى البرنامج الانتخابى للحزب عام ١٩٨٤، ورد فى النقطة الخامسة إشارة إلى ضرورة وحدة الصف العربى والتيقظ لمطامع اسرائيل فى المنطقة، وأن نصرة الشعب الفلسطينى ومساندته هى أساس الكفاح ضد الصهيونية والاستعمار لاسترجاع حقه فى إقامة دولته المستقلة على أرضه(٢).

وفى الانتخابات التالية عام ١٩٨٧، ١٩٩٠، ١٩٩٥، حدث تحالف حقيقى بين حزب العمل الاشتراكى وبين جماعة الإخوان المسلمين ، واستطاعا معا صياغة برنامج انتخابى بعنوان: " الاسلام هو الحل " ، وهذا يشير إلى هيمنة الجماعة الاسلامية على التيار الاشتراكى الذى كان مسيطراً على الحزب، بل أن هناك البعض من القيادات من استطاع إبراز توجهه الاسلامى فى ظل هذه التحالفات الجديدة ، ومن هؤلاء : السيد/ عادل حسين، وكذلك/ مجدى حسين ، وأن تحليل كتاباتهما وغيرهما تؤكد هذه المعانى .

فيرى السيد/ **عادل حسين** (أمين عام حزب العمل) ، أن الصراع بين العرب وإسرائيل ، هو صراع مع عدو صهيونى توسعى إرهابى(٣) .

---

(١) برنامج حزب العمل الاشتراكى ، ١٩٧٨، ص ٣٥،٣٤.

(٢) البرنامج الانتخابى لحزب العمل باسم " برنامج العمل والتغيير من أجل الإصلاح الشامل ، ١٩٨٤، ص ٢٤.

(٣) عادل حسين ، " بعد العملية الاستشهادية القادمة: نتنياهو سيعلن الحرب.. ولابد من الاستعداد". الشعب ، ١٩٩٧/٣/٢٨.

ويقول **مجدى حسين** (رئيس تحرير جريدة الشعب) ، ان أزمة العلاقات مع اسرائيل هى أزمة شاملة.. تتصل بطبيعة الكيان الصهيونى الذى يضع نفسه بمجرد تكوينه الشاذ فى حالة صراع دائم مع مصر ومع الأمة العربية الاسلامية، ولا يمكن – ولا يصح – حصر هذه الأزمة فى الإطار الدبلوماسى(١) .

ويقول أيضاً : " ان صراعنا مع اسرائيل صراع حضارى شامل له جوانبه العسكرية والاقتصادية والعلمية والثقافية وأيضاً له أبعاده الشعبية بمعنى (التعبئة الجماهيرية)، وإذا كان الخلل الآن يتمحور حول قضية اختلال التوازن لصالح اسرائيل فى معظم هذه المجالات .. فان تعديل موازين القوى هو وحده الذى يمكن أن يعيد الأمور إلى نصابها(٢).

على حين يرى **فهمى هويدى** ، أن المشروع الصهيونى هو أصل المشكلة، ومصدر كل شر فى المنطقة ، فالقضية ليست المستوطنات ، وإنما المشروع الصهيونى وعدم توافر نية سليمة من اسرائيل ، ولذلك فإنه لا سلام مع الاستيطان ومع الاستعمار الصهيونى(٣).

كذلك فان السيد/ **مصطفى مشهور** (مرشد عام جماعة الاخوان المسلمين)، فيقول :

أن الخطر الصهيونى قائم ومستمر وفى تطور من مؤتمر بازل بسويسرا، ويعتبر أن هذا الخطر الصهيونى هو أول وأهم المخاطر ، استناداً إلى أن اليهود هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، ومع ذلك كانوا يعيشون فى بلادنا الاسلامية فى حرية تامة، بل كانوا يستحوذون على البنية الاقتصادية. كذلك فان العدو الصهيونى يتحرك بخبث ومكيدة، وبمساندة انجلترا ثم من بعدها الولايات المتحدة (أمريكا)(٤).

(١) مجدى حسين : " ليس بتصريحات عمرو موسى .. يحيا الإنسان! "، الشعب فى ١٧/١/١٩٩٥. وردت فى كتابه هموم الأمة مع نهاية القرن ، القاهرة، دار الحسام ، ١٩٩٧، ص ص ٣١: ٣٦.
(٢) مجدى حسين ، المرجع السابق ، ص ٣٣.
(٣) فهمى هويدى ، لا سلام مع الاستيطان ، الاهرام فى ٨/٤/١٩٩٧.
(٤) مصطفى مشهور ، " واجبنا إزاء المخاطر من حولنا ! "، الشعب، ٢٩/٤/١٩٩٧.

ومن خلال الاستعراض السابق يتضح أن حزب العمل والتيار الإسلامى فى داخله ، وهو المعبر عموماً عن التوجه الفكرى للحزب، لا ينظر إلى الصراع فىالمنطقة على أنه صراع مع اسرائيل " كدولة فقط، بل يراه أنه صراع حضارى شامل لكل الجوانب العسكرية والاقتصادية والعلمية والثقافية والشعبية، وأن هذه الدولة توسعيه أرهابية. أما **رؤية الاخوان المسلمين** ممثلة فى مصطفى مشهور (الممثل الرسمى)، فإنه يرى المسألة فى أصولها وقد ترجع إلى الخطر الصهيونى وتناميه، وأن هذا الخطر مستمد من اليهود الذين هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، ولذلك فان العدو الصهيونى يتحرك بدعم خارجى عالمى مكيدة للمسلمين. ويتفق معه **فهمى هويدى** ، بالتركيز على أن الخطر هو فى المشروع الصهيونى نفسه وليس فى المستوطنات ولذلك فلا سلام مع الاستعمار الاستيطانى الصهيونى. لذلك فهما (مشهور وهويدى) يتفقان على أن الصراع هو صراع مع الصهيونية ومشروعها الاستيطانى الاستعمارى التوسعى فى منطقتنا وعلى حساب دولة فلسطين والعرب والمسلمين جميعاً.

٢ - أولوية الصراع فى السياسة الخارجية المصرية :

تركز أولوية الحزب على اعتبار تدعيم العلاقات العربية هى الأساس لحركة السياسة الخارجية لمصر ،والمقدمة للمواجهة الشاملة مع اسرائيل سواء فى معركة السلام أم فى حالة وقوع الحرب. وأن الرغبة فى تحقيق السلام العادل فى المنطقة، لا يجوز أن يصرف العرب عن الاستعداد اللازم لتحرير الأراضى المحتلة بالقوة. وأن الحزب يرى ضرورة اليقظة التامة مع اسرائيل فى المنطقة خشية ما تسعاه فى الايقاع بنا دائماً فى حبائل الصراعات مع الدول الكبرى[1].

(١) برنامج حزب العمل الاشتراكى، مرجع سابق ، ص ٣٤، ٣٥، والبرنامج الانتخابى للحزب عام ١٩٨٤، مرجع سابق، ص ٢٤.

كما يرى عادل حسين أن توحيد الجبهة الداخلية فى قضية القدس يعتبر بداية لمشروع النهوض القومى، وهو ما يعنى أولوية الصراع فى مشروع حزب العمل ، كما أنه يرى ضرورة التعبئة الشاملة من أجل المواجهة مع اسرائيل من أجل الحفاظ على ، بل وزيادة درجة تطور المجتمع المصرى والعربى[١].

كذلك فان **مصطفى مشهور** ، يرى أن الخطر الصهيونى هو أول وأهم المخاطر ، داخلياً وإقليمياً . فهدف العدو الصهيونى لا يقتصر على فلسطين ، بل سيشمل دولاً متعددة من دول العرب ، بل وسيشمل داخل مصر والدول الاسلامية، وهو ما يستلزم أعداد العدة لهم باستمرار ، وهو ما يعطى أولوية لهذا الصراع فى سياسة الدولة الخارجية[٢].

وهكذا يتضح مدى أهمية الصراع فى إدراك حزب العمل والاتجاه الإسلامى، فضلاً عن أن التحليلات المنشورة على صفحات الشعب باستمرار ، تشير إلى أن اسرائيل دولة فاعلة فى كل أمور المنطقة وهو ما يستلزم المواجهة الشاملة على كافة المستويات داخلياً وإقليمياً ودولياً . فاسرائيل فاعلة فى ضياع حقوق الفلسطينين ، واحتلال الأراضى، وفيما يحدث فى اريتريا، وفى الجنوب السودانى، وفى أعالى النيل فى أثيوبيا وأوغندا، وفى محاولات السيطرة الاقتصادية فى المنطقة، وقيامها بالتنسيق مع تركيا وبعض الدول الأخرى، بهدف تدعيم مركزها التفاوضى واخلال التوازن لصالحها باستمرار .

---

(١) عادل حسين، " بعد العملية الاستشهادية.. "، مرجع سابق، وأيضاً : " تجميد التطبيع بين الاعداد لتحرير القدس.. والتلاعب الدبلوماسى" ، الشعب ، ١٩٩٧/٤/٨.

(٢) مصطفى مشهور، مرجع سابق ، وأيضاً : " أيها العرب والمسلمون : أنتم الأعلون، أن كنتم مؤمنين " ، الشعب ١٩٩٧/٤/١.

٣ - آليات التعامل مع الصراع :

يشير برنامج الحزب إلى تعميم فى المناداة بضرورة اليقظة الدائمة لاسرائيل، حماية لأمننا القومى[1]. على حين تشير البرامج الانتخابية للحزب إلى العديد من الاجراءات للتعامل مع هذا الصراع ومنها : تجميد إتفاقية كامب ديفيد لانتهاكات اسرائيل لها ، مع المقاطعة الشاملة لاسرائيل ، واتخاذ موقف عربى موحد مضاد لأية دولة تنقل سفارتها للقدس، ونصرة الشعب الفلسطينى فى كفاحه ضد الصهيونيه والاستعمار من أجل إقامة دولته المستقلة[2].

ويركز **عادل حسين** (أمين الحزب) ، على آليتين أساسيتين هما :

- ضرورة الجهاد فى سبيل الله ضد اسرائيل ومن يساندها .
- توحيد الجبهة الداخلية فى قضية القدس باعتبارها بداية لمشروع النهوض القومى[3].

ومن ناحية أخرى يرى أن " الحركة الجماهيريه الضاغطة " أمر ضرورى للضغط على الحكومات المترددة، ولدعم الحكومات الصامدة. وأنه يختلف مع الدولة المصرية لعدم تغطية اعلامها الرسمى لمؤتمر الأزهر القومى الذى شاركت فيه كافة القوى السياسيه وشيخ الأزهر نفسه، واكتفى الاعلام بمجرد نشر خبر عن وقائع المؤتمر[4].

---

(١) برنامج حزب العمل الاشتراكى ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٢) البرنامج الانتخابى للحزب لعام ١٩٨٤، مرجع سابق ، ص ٢٤.

(٣) عادل حسين ، " بعد العملية الاستشهادية" ، مرجع سابق .

(٤) عادل حسين ، " تجميد التطبيع بالاجماع قرار شجاع"، الشعب، ١٩٩٧/٤/٤.

كما أنه يختلف مع الموقف المصرى ، الذى أعلن عن استثنائه مع الأردن من قرارات مجلس الجامعة العربية بتجميد التطبيع فى أواخر مارس الماضى، بحجة وجود معاهدات رسمية مع العدو، وهو ما يتعارض مع منطق المعاهدات الدولية المنظمة للعلاقات المتكافئة بين الدول. ويأتى تركيز عادل حسين فى نقده هذا، على اعتبار أن الحفاظ على الموقف العربى لا يمكن أن يتم بدون مصر[١].

أما مجدى حسين (رئيس تحرير الجريدة- لسان الحزب)، يبلور آليات المواجهة فى:

- عدم تراجع اسرائيل عن بناء المستوطنة " أبو غنيم " بارادتها .
- عدم شق الصف العربى من جديد، وضرورة إعادة العلاقات مع العراق، وفك الحظر عليه وعلى ليبيا، ومساندة السودان، فضلاً عن ضرورة إتخاذ إجراء عملى نحوالسوق العربية المشتركة.
- مصالحة عربية وإسلامية شاملة .
- وقف الصفقات التجارية مع الولايات المتحدة ، وتحويلها إلى فرنسا أو ألمانيا أو اليابان.
- الشروع فى بناء أسباب القوة الاقتصادية والعسكرية والثقافية والحضارية، من خلال عمل عربى مشترك على جميع المحاور[٢].

---

(١) عادل حسين ، " تجميد التطبيع بين الاعداد لتحرير القدس والتلاعب الدبلوماسى"، مرجع سابق، الشعب، ١٩٩٧/٤/٨.

(٢) مجدى حسين ، ".سننتظر قراراً عربياً .." ، الشعب ، ١٩٩٧/٤/١.

وقد أكد هذه المعانى فى أكثر من مقال له ، ومنهـا مثـلاً : ضـرورة وقـف النواح على عملية السلام الذى يفت فى عضد الأمة ، واتخاذ مواقف عملية عاجلـة ضد اسرائيل تدفع معها الثمن غالياً لقرار تهويد القدس ، وتجميد التطبيـع ، ودعـم الجهاد اللبنانى والفلسطينى حتى تستعد الجيوش العربية النظامية للمنازلة الكبرى، وتصعيد الحركة الشعبية لتصحيح الموقف الحكومى ، أوتجاوزه إلى دنيـا الكرامـة والحرية(١).

* أما السيد/ **إبراهيم شكرى** (رئيس الحزب)، فإنه يشير فـى مؤتمـر سياسـى للحزب، إلى ضرورة مقاطعة كل ما هو أمريكـى واسـرائيلى كـرد وحيـد وحقيقـى على الغطرسة الصهيونية والدعم الأمريكى لها. وطـالب بـأن تقوم الشعوب بهذه المهمة، لأنها وحدها القادرة على ذلك ، حيث لا يستطيع أحد إجبارها علـى شـراء بضـائع أمريكيـة واسـرائيلية ، كمـا طـالب بفضـح كـل مـن يـروج للبضـائع الصهيونية(٢).

* ويطـرح " **مصطفى مشهور** " رؤيتـه للتعـامل مـع هذا الصـراع ، بعـدم الاستسلام وعدم الصبر فـى الذل والهوان ، وعـدم قبـول ارهـاب قـوة الأعـداء المادية، واعداد العدة لهم ، وتوحيد الصفوف ، والعودة إلى الله .

ولتوحيد الشعب من الداخل طـالب الحكام برفـع الظلـم عـن المظلومين ، ووقـف القمـع والاعتقـال والتعذيـب ، وإتاحـة الفرصــة للشـعوب بالمشـاركة فـى القرارات وذلك باعتبار أن الجريمة الداخلية هى حجر الزاوية لمواجهـة الأخطـار وتدعيم قوة الدولة(٣).

---

(١) مجدى حسين ، " القدس رمز لحالة الأمة ..."،الشعب ١٩٩٧/٣/٢٥.

(٢) ابراهيم شكرى ، فى مؤتمر سياسى بميت غمر، الشعب ، ١٩٩٧/٤/٤.

(٣) مصطفى مشهور، " واجبنا إزاء المخاطر من حولنا ! " ، مرجع سابق

كما أنه يطرح أيضاً : رفض العلاقات والاتفاقيات والتعاملات مع العدو، وذلك لأن هذا يدعم من سياساته التوسعية، ضرورة الجهاد بالشباب فى سبيل الله لتحرير القدس والمسجد الأقصى ، مع ضـرورة تحرك الشعب ، مع تنمية هذا الحماس الجماهيرى ضد العدو وذلك بالسماح بالمؤتمرات الشعبية، وتحرك أوسع للأحزاب والقوى الوطنية، وتهيئة الشباب لمواجهة العدو بالنفس والمال (أى الجهاد)، مع ضرورة الحصار للعدو الصهيونى، والمقاطعة لكل ما تمت له بصلة مع سحب السفراء وطرد نظرائهم من أرضنا، وإعلان عرفات للدولة الفلسطينية ، والجهاد والشهادة[١] .

• أما **فهمى هويدى** ، فيشير إلى أن عمليات التسوية فشلت ، ولم تحقق الغرض المرجو بسبب تعنت وسوء نية الاسرائيليين ، وطالب بضرورة توافر الشجاعة لدينا لتسمية الاشياء بمسمياتها: فالمستوطنات هى مستعمرات صهيونية توسعية ، ومنهجها فى سياسة التنظيف العرقى على درب النازية، والعمل الارهابى هو الذى تقوم به اسرائيل ضد الفلسطينين والعرب،والعمل الوطنى هو ما يمثل رد الفعل الفلسطينى إزاء الارهاب الاسرائيلى[١].

كما يرفض الحوار مع الاسرائيليين ، لعدم توافر الاستعداد الجاد لهؤلاء فى التعايش السلمى ، وأنه يقبل الحوار فى حالة وجود بعض اليهود الشرفاء، وهو بذلك يرفض الانضمام لمعسكر السلام الاسرائيلى الذى يدور بين عرب واسرائيليين ، بل وينتقدهم على هذا السلوك[٢].

٢٠

(١) مصطفى مشهور ، " أيها العرب والمسلمون : أنتم الأعلون.. " ، الشعب،١٩٩٧/٤/١

(٢) فهمى هويدى ، لا سلام مع الاستيطان ، مرجع سابق .

(٣) فهمى هويدى ، أكذوبة معسكر السلام ، الأهرام ، ١٩٩٧/٤/١٥

كما يركز فى مقال آخر على ضرورة طرح ورقة " التعويضات والاستحقاقات للفلسطينين الذين تم طردهم عام ١٩٤٨، والذى تقدر بحوالى (٢٤٠) بليون دولار، وذلك قياساً على ما تحصل عليه اسرائيل من ألمانيا وبلغ حتى الآن (٦٠) بليون دولار وستصل بنهاية عام (٢٠٣٠م) إلى ٨٠ بليون دولار[1].

وهكذا فان الآليات قد تعددت من النواحى العملية إلى المنظور الكلى للمواجهة الشاملة مع اسرائيل والكيان الصهيونى عموماً ، بل ان إعداد العدة حالياً، مع تشجيع المقاومة الفلسطينية واللبنانية فى الوقت الحاضر، فضلاً عن الاعلان عن ضرورة المقاطعة والحصار، وذلك فى سبيل الاعداد للمقابلة والنزال القادم والمعركة الفاصلة بين العرب واسرائيل والصهيونية .

ختام :

ركزت هذه الدراسة على مدار الصفحات السابقة ، على الاتجاهات الرئيسية داخل كل تيار من التيارات الثلاث الاساسية وهى : التيار اليمينى ، والتيار اليسارىَ والقومى، ثم التيار الاسلامى.

وقد كشفت الدراسة عن وجود تباينات داخل كل تيار من واقع برنامجه السياسى، أو برامجه الانتخابية، أو من خلال قياداته الفكرية . ويمكن القول أن هناك توحد فى الحركة السياسية بين كافة هذه التيارات بعد القرارات الاسرائيلية الأخيرة منذ فبراير الماضى (١٩٩٧) بتهويد القدس ، وبناء مستوطنة أبو غنيم .

---

(١) فهمى هويدى، استحقاقات " الهولوكوست" الفلسطينى !، الاهرام، ١٩٩٧/٥/٦

ولذلك فقد أسفر هذا التنسيق عن مؤتمر الأزهر، والذى كان تعبيراً عن الاتجاه القومى لكل الأحزاب والقوى السياسية المختلفة فى نهاية مارس الماضى (١٩٩٧) أو أعلنوا جميعاً بما فيهم شيخ الجامع الأزهر، والبابا شنودة ، " حى على الجهاد " ضد اسرائيل وذلك دفاعاً عن القدس الشريف .

كما أسفر هذا التنسيق عن " مؤتمر القدس " فى أواخر أبريل (بعد أقل من شهر)، وقد وقع على " نداء القدس " كافة التيارات السياسية والأحزاب، وشارك الحزب الحاكم فى المؤتمر.

وقد خلص مؤتمر الأزهر إلى ضرورة مواجهة إسرائيل مع قطع العلاقات مع العدو وطرد سفيره ، وتشكيل كتائب للجهاد ضد الصهاينة، واعلان موقف حاسم تجاه الانحياز الأمريكى السافر لصالح العدو والذى يستعين بالشعوب العربية والاسلامية. أما مؤتمر القدس فقد ألقى العبء الأكبر على الشعب فى تنفيذ برنامجه، مع تحميل المسئولية على الحكومات العربية بقيامها بواجبها فى رفض أى شكل من أشكال التطبيع مع الكيان الصهيونى، وتجميد كافة الاتفاقات معه. ووجه نداءً إلى أتحاد الغرف التجارية واتحاد الصناعات والتجار ورجال الأعمال بوقف أية علاقة مع الاسرائيليين والالتزام بالمقاطعة. وقد وجدت هذه المناشدة تأثيراً ايجابياً لدى غالبية رجال الأعمال المصريين والعرب، كما طالب المؤتمر بمنع سفر الشباب إلى اسرائيل ، وانشاء صندوق عربى يجمع فيه مساعدات الدول العربية لفلسطين والقدس .

وعلى أية حال فإن هذا التنسيق لأحزاب المعارضه والقوى السياسية والذى أسفر عن خطوات هامة ، لا تلغى التمايز فى رؤى كل منها لطبيعة الصراع وأولويته ، وكيفية التعامل معه ، بقدر ما يقرب بين هذه الاختلافات فيما بينهم فى وقت الأزمة وهو ما يحدث حالياً فى المواجهة مع اسرائيل ، ذلك الكيان الصهيونى التوسعى .

الفصل الثامن

تأثير المتغيرات الدولية والاقليمية على سياسات التسليح وعملية السلام بين العرب واسرائيل*

* دراسة قدمت لمركز الدراسات الاستراتيجية بأكاديمية ناصر العسكرية ، فبراير ١٩٩٧م.

تتعدد العوامل ، سواء على المستوى الدولى أو الإقليمى ، التى تؤثر فى عملية السلام العربى الاسرائيلى . وتلعب هذه العوامل إما دور المدعم لمسيرة السلام العادل والدائم ، أو دور المعوق لهذه العملية من خلال محاولات القوى الدولية فى الاخلال بتوازن القوى بين الطرفين "العربى واسرائيل" لصالح اسرائيل فى الغالب.

وقد استطاعت اسرائيل أن تمارس دوراً فى توظيف العوامل الدولية والاقليمية ، بحيث استطاعت أن تتعانق باستمرار مع أية تغيرات تشهدها البيئة الدولية أو الاقليمية من أجل دعم مصالحها وبالتالى دعم دورها . فقد استطاعت مثلاً ، أن توظف التغيرات التى صاحبت تفكك الاتحاد السوفيتى بالسعى نحو الانتشار داخل دوائر صنع القرار الروسى ، ثم الانتشار داخل ذلك المجتمع، فضلاً عن قدرتها على خلق لوبى صهيونى يدافع عن مصالحها داخل الدولة الروسية التى كانت مصالحها متطابقة تماماً مع مصالح العرب ضد اسرائيل . وأصبحت القيادات الاسرائيلية منذ "رابين ثم بيريز وحالياً نتنياهو" أن تطرح نفسها كداعية للتعاون الأقليمى ودعوتها لشرق أوسط جديد فى ظل هيمنتها(١)، انعكاساً لميزان القوى الذى يميل لصالحها حالياً مع المساندة الأمريكية لاسرائيل بلا حدود، فضلاً عما تطرحه اسرائيل أيضاً من دورها فى تتبع الأرهاب والأصولية ، بما يحافظ على مصالح الغرب بالاستمرار دون تهديد اقليمى أو دولى(٢) .

---

(1) Shimon peres, The New Middle East , Henry Holt, New York, 1993.

(٢) بنيامين نيتانياهو، محاربة الأرهاب ، ترجمة عمر السيد وأيمن حامد، النهار للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٦.

ولا شك أن هذا المنظور الاسرائيلى فى التعامل مع المنطقة ، يؤثر بصورة أو بأخرى على عملية السلام وهذه العملية تأتى فى سياق المحاولة بالتعامل مع طبيعة الصراع العربى الاسرائيلى الذى يمتد لأكثر من نصف قرن (١٩٤٨-١٩٩٧) . فهذا الصراع هو صراع مركزى أساس ومركب فهو، بالاضافة إلى امتداده لأكثر من نصف قرن ، فانه يشهد تعدد الأطراف الداخله فيه، ومنها أطراف المواجهة المباشرة (كمصر وسوريا ولبنان والأردن، بخلاف الطرف الفلسطينى الأصيل) ومنها أطراف غير مباشرة سواء أكانت فاعلة أو غير فاعلة وهى تمثل بقية الدول العربية وبعض دول الجوار الجغرافى .

ولا شك، أن رغم السير فى عملية السلام ، وما يعتريها من صعوبات تطرح احتمالات مختلفة حول مستقبل هذه العملية بين الاستمرار أو الاخفاق[١] ، إلا أن الصراع العربى الاسرائيلى كان ولا زال يمثل بؤرة التفاعلات الاقليمية . كما أن جهود التسوية السلمية لهذا الصراع لم تلغ وجوده أو استمراريته .
وتهدف هذه الدراسة لبحث تأثير العوامل الدولية والاقليمية على عملية السلام من خلال تحليل توازن القوى وتسابق التسلح بين أطراف الصراع ، والدور الاسرائيلى المنتظر فى سياق هذه التطورات وذلك على النحو التالى :

---

(١) د. أسامة الغزالى حرب، القاهرة ، ١٩٩٦ مستقبل الصراع العربى الاسرائيلى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٧م، وأيضاً : هيثم الكيلانى ، "التسوية السلمية للصراع العربى الاسرائيلى وتأثيرها على الأمن العربى ، مركز الامارات للدراسات الاستراتيجية ، ١٩٩٦، وأيضاً:

Richard N.Hass, "The Middle East: No More Treaties", Foreign Affairs, September / October , 1996, pp. 53:63

المبحث الأول
طبيعة المتغيرات الدولية وانعكاساتها

تتعدد الأطراف الفاعلة على المستوى الدولى والتى تسهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فى رسم سياسات التسليح للدول بشكل عام ، ودول منطقة الشرق الأوسط بصفة خاصة . ويعود السبب الرئيسى لفاعلية الأطراف الدولية إلى العديد من العوامل ، فى مقدمتها الهيكل السائد للنظام الدولى ، وطبيعة العلاقات المسيطرة على هذا الهيكل ، أو بعبارة أخرى ما هية التفاعلات الواقعة بين أطراف هذا النظام الدولى، فضلاً عن مجموعة الأحداث أو العمليات التى تسهم بشكل أو بآخر فى التأثير على مجريات الأمور فى العالم، وخاصة سياسات التسليح . فضلاً عن أن انتاج الدول الكبرى المهيمنة على النظام الدولى ، للأسلحة بمختلف مستوياتها، يكشف بوضوح مدى تأثير هذه الدول على التخطيط لسياسات تسليحية معينة فى بعض المناطق ، كما أنه يكشف بوضوح على مدى التنافس الذى يصل إلى حد الصراع بين هذه الدول على الرغبة فى الهيمنة أو احتكار منطقة معينة فى توريد السلاح لأطرافها بشكل مباشر أو غير مباشر وعلى أية حال ، فأنه لمعرفة مدى تأثير المتغيرات الدولية على سياسات التسليح العالمية ، وخاصة الشرق الأوسط فانه من الأهمية تناول عدة نقاط كما يلى :-

١ - <u>**الهيكل الدولى السائد فى التسعينات ، وتفاعلاته :**</u>

يشهد النظام الدولى منذ فترة ليست بالقصيرة بدايات للتحول عن نظام القطبية الثنائية الذى ساد فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، والذى يقوم على تقسيم العالم إلى تكتلين كبيرين هما : الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، والشرق بزعامة الاتحاد السوفيتى . إلا أن تداعيات الأحداث ابتداءً من النصف

الثانى من الثمانينات ، وبعد تولى جورباتشوف الحكم وتحديدا فى مارس ١٩٨٥، أسفرت عن تنامى درجة التحول والتغيير فى هيكل النظام الدولى . وقد سارع بهذا التحول ، ما أسفرت عنه تداعيات الأحداث فى الاتحاد السوفيتى الذى تفكك بنهاية عام ١٩٩١م ، وبصورة غير متوقعة لأى من المحللين السياسيين، ونجم عن ذلك اختفاء أحد قطبى النظام الدولى . وقد أدى اختفاء كيان الاتحاد السوفيتى واختزاله فى دولة روسيا التى تمثل نحو ٧٠٪ من الكيان السوفيتى كله (مساحة وسكانا وموارداً وقدرات مختلفة)، إلى اتاحة الفرصة بدرجة كبيرة للولايات المتحدة فى الانفراد بالعالم ونظامه الدولى . وبدأت مرحلة التسعينات بهذه السمة من ناحية، ومن ناحية أخرى بدأت القوى الأخرى الصاعدة على المستوى الدول، فى الظهور باعادة تنظيم وجودها على الساحة الدولية ، واعادة ترتيب بيتها من الداخل للتفاعل بدرجة اكبر فى النظام الدولى، وتتمثل هذه القوى فى الاتحاد الأوربى، وفى الصين وفى اليابان ، ودون تجاهل لدولة روسيا التى حلت محل الاتحاد السوفيتى سابقاً . وهذا ما يشير إلى امكانية تحويل النظام الدولى إلى القطبية المتعددة محل القطبية الثنائية عبر سيطرة انتقالية أحادية القطبية والتى تتمثل فى الولايات الأمريكية .

* **فبالنسبة للطرف الأوربى :**

فقد مثلت حرب ١٩٥٦ وما آلت اليه ، نقطة حاسمة فى انتهاء الدور الدولى للقوى الأوربية المتحالفة خاصة بريطانيا وفرنسا، بعد فشلهما فى تحقيق أهداف العدوان على مصر. فقد سعت هذه الدول لاثبات دورها القديم ، إلا أنه قد غاب عنهما بروز الولايات المتحدة التى حلت محلها ، ولعبت دوراً فى افشال مخططهما فى العودة لأضواء النظام الدولى مرة أخرى . ولذلك فأنه ليس بغريب أو مصادفة أن نلاحظ بداية هذه الدول الأوربية بعد شهور قليلة من هذا الفشل فى

الانطلاق فى مسيرة الوحدة بتوقيــع معــاهدة رومــا فــى مــارس ١٩٥٧ التــى كــانت البداية الحقيقية للعمــلاق الاقتصــادى الأوربــى المســمى بالاتحــاد الأوربــى، والــذى خرج للوجود عام ١٩٩٣.

حيث أصبح يمثل وعلى مدار أكثر من ٣٥ عامــا خبرة رائـدة فـى تحقيـق التكامل والاندماج الاقتصادى على الصعيد الدولى . ولذلك فان السـير فـى مسيرة هـذا الإتحـاد الأوربـى ، وتعميـق درجـة التوحـد الاقتصـادى والسياســى والأمنــى وغيرها من أوجه التوحد، يبشر دائماً بميلاد قطب دولى جديد فى ظل مناخ ما بعد انتهاء وتلاشى وجود الاتحاد السـوفيتى كذلـك فـان التطـورات التـى حدثـت علـى صعيد الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية، وتداعياتها فى اسقاط النظام الشيوعى فـى ألمانيا الشرقية ، سهلت من عملية اعادة توحيد ألمانيا، مما أسهم منذ ذلـك التـاريخ فى تدعيم احتمالات عودة العملاق الألمانى إلى مسرح النظام الدولـى مـن جديـد . وثمة احتمالات عديدة تثور مع تزايد القـوة الألمانيـة. حيـث يشـير الاحتمـال الأول إلى ممارسة المانيا لدورها الدولى من خلال الاتحاد الأوربى. أما الاحتمال الثانى، فيشير إلى قيام ألمانيا بممارسة دورها الدولى بصورة مستقلة عن أوربا . وأيا كان الأمر فان الدور الألمــانى الدولـى يصبـح أمـراً محتمـلاً بدرجـة كبيرة فضـلاً عـن الدور الفرنسى الدولى يتزايد ، برغبته فى الانفراد والاستقلالية عن أوربـا خاصـة فى القضايا الحيويـة ومنهـا قضيـة الشـرق الأوسـط . ومـن ناحيـة أخـرى تمـارس فرنسا دوراً تنسيقياً مع ألمانيا كمحور آخر فى الوقـت نفسـه فـان الـدور الفرنسـى الألمـانى داخـل الجماعـة الأوربيـة بمثابـة القـاطرة التـى تقـود هـذه الجماعـة نحـو ممارسة دور القطب الدولى الجديد .

وفى جميع الأحوال فانه بغض النظر عن احتمالات دور المانـــى مستقل أو مندمج فى أوربا، وكذا دور فرنسى مستقل أو مندمج فى أوربا، فان الأمر الذى لا يمكن تجاهله هو أن الاتحاد الأوربى وقوته المتناميه يؤكد أنه قطب أخذ فى التبلور ان لم يكن قد تبلور فعلاً، ولكن يزداد استقلالية عن الولايات المتحدة الأمريكية .

- **بالنسبة لليابان** : فإن هذه الدولة التى سبق أن دمرتها الحرب العالمية الثانية، فقد واصلت مسيرتها فى اعادة بناء نهضتها مرة أخرى، واستطاعت تأسيس قوة اقتصادية شاملة فى ظل القيود العسكرية التى استفادت منها. وقد اعتبرت هذه القوة اليابانية – التى أطلق عليها المعجزة اليابانية – تهديداً للقوة الأمريكية ومكانتها داخل المعسكر الرأسمالى . وقد استلزم ذلك قيام الولايات المتحدة باشراك اليابان فى ترتيبات الأمن الدولى للتخفيف عن كاهلها والأعباء الملقاة على عاتقها ازاء العالم. كما أنه من ناحية أخرى، يؤدى إلى ايقاف عجلة النمو الاقتصادى المتصاعد.

وعلى أية حال فان السؤال الذى يفرض نفسه فى ضوء هذه القوة الاقتصادية العملاقة لليابان ، والتى استطاعت أن تحتل المكانة الثانية بعد الولايات المتحدة، بل أصبحت تنافسها على صدارة القمة عالمياً فى الاقتصاد ، يتركز فى مدى امكانية تحويل هذه القوة الاقتصادية اليابانية إلى قوة سياسية عسكرية ، من عدمه !

ولا شك أن التطور الاقتصادى للدولة قد يسهم فى ترجمته إلى واقع سياسى وعسكرى ، وللتاريخ فى ذلك وقائع كثيرة وخبرة كبيرة حيث أنه من الضرورى حدوث اتساق بين المكانة الاقتصادية والمكانة السياسية والعكس . والملاحظ خلال السنوات الأخيرة ، تنامى الأهتمـــام اليابانـــى

بالمناطق القريبة منها، والتى ترتبط معها بمصالح حيوية ، فى آسيا خاصة ولذلك فانه أياً كان الأمر ، سواء استمرت اليابان كقوة اقتصادية، أو ترجمت ذلك إلى نفوذ سياسى أو عسكرى ، فان هذه الدولة سيكون لها شان كبير فى هيكل النظام الدولى . وستصبح اليابان قطب من أقطاب هذا النظام . ويرشحها المحللون بأن تمارس ضغطاً لتحصل على مقعد دائم فى مجلس الأمن ، تمهيداً لاعتبارها قطباً دولياً له وجود على ساحة العمل الدولى .

- **أما بالنسبة للصين :** فانه لا يمكن تجاهلها كقوة حاضرة، وقطب مستقبلى. فالصين تضم نحو ربع سكان العالم (١,٢) مليار نسمة، واستطاعت – ولازالت– أن تعتمد على ذاتها فى الموارد الأساسية ، وفى الطاقة خاصة البترول ، مما جنبها مشاكل الاعتماد على الآخرين ، وكذا تجنبت الضغوط السياسية الخارجية . فضلاً عن احتلال هذه الدولة للمكانة الثالثة على المستوى الاقتصادى العالمى، وذلك بعد الولايات المتحدة واليابان . وكما أن الخبراء يرشحونها عام ٢٠٠٥ م لتكون الدولة الأولى عل مستوى العالم من الناحية الاقتصادية .

وعلي الرغم من المشاكل الضخمة التى تواجه هذه الدولة ومن بينها رغبة جماهير اقلية "سينيكانغ" المسلمة فى الاستقلال ، وهو اقليم يمثل ١/٦ (سدس) مساحة الصين، وكذلك مشاكل عودة جزيرتى تايوان، هونج كونج، إلى الوطن الأم من السيطرة البريطانية، إلا أن الصين تتطور، وتتنامى قوتها . ولذلك فهى لا تقبل شروطاً أو قيوداً على سياستها مما أسهم فى زيادة نفوذها أقليمياً على المستوى الآسيوى ، ودولياً على المستوى العالمى[١] .

(٤) يمكن الرجوع إلى : د. جمال زهران ، "الجماعات الاسلامية فى الصين، ورقة قدمت لمؤتمر الاسلام فى آسيا ، مركز الدراسات الأسيوية ، القاهرة، ١٩٩٦.

والذى لا شك فيه، أن الصين فى السنوات الأخيرة قد مثلت تهديداً للمصالح الأمريكية، وللمكانة الغربية بصفة عامة . ولا يكاد تخلو وسيلة اعلامية غربية من متابعة أحوال الصين ، وتقصى أحوالها الداخلية ، ورصد درجة تطورها . وقد أجبر الأصرار الصين، على الغاء الرئيس الأمريكى. كلينتون فى بداية فترته الأولى عام ١٩٩٣م، لورقة حقوق الانسان فى التعامل معها . وأسست الولايات المتحدة علاقاتها مع الصين وفقاً لمبدأ المصلحة دون اعتبار لأى عامل آخر سياسى أو غير ذلك .

- وفى ضوء ذلك ، فان ترجيح كفة أن الصين ، أصبحت قطبا دولياً لا يمكن تجاهله، وهذا ما يسهم بطريقة أخرى عن تدعيم الاتجاه بالتحول نحو التعددية القطبية عالمياً .
- وفى ضوء التوقع من خلال قراءة الحاضر ، بتنامى عدة أقطاب (أوربا الموحدة وداخلها (ألمانيا وفرنسا) ، ثم الصين، ثم اليابان)، فان الرؤية القائلة بأن الولايات المتحدة ستظل مهيمنة فى ظل نظام يتسم بالواحدية القطبية ، تصبح بلا سند من الواقع . وقد لا يعنينا استمرار النظام الدولى – ولو فى فترة انتقالية – فى ظل الهيمنة الواحدية، أو تحوله إلى التعددية القطبية، فى ذاته . ولكن الذى يعنينا هو انعكاس أيا من التطورين على مصالحنا.

٢ – انعكاس الهيكل الدولى على الدول الصغرى :

لاشك أن نظاماً متعدد المراكز أو الاقطاب ، كالنظام الدولى الذى نعيش بداياته ، سوف يتيح حرية أكبر فى الحركة للدول المتوسطة والصغيرة . وقد زودتنا الخبرة التاريخية بصدق ذلك واقعيا ، إلا أن التاريخ أيضاً يعلمنا أن العبرة ليست فى عدد الأقطاب ، وانما فى طبيعة العلاقات السائدة بينهم مع قدرة الأطراف المتوسطة والصغيرة على الحركة .

فقد ساد نظام تعدد القوى قبل الحرب العالمية الثانية ، وكان غير مواتياً للدول المتوسطة والصغيرة ، نظراً الهيمنة العديد من الدول الذى تنتمى للاطار الرأسمالى المستغل للدول المتوسطة والصغيرة ، مما شكل قيدا على حركتها ، وذلك باستثناء الاتحاد السوفيتى مع نهاية هذه الفترة . إلا أن نظام القطبية الثنائية بعد الحرب العالمية الثانية أتاح لتلك الدول الصغيرة هامشاً اكبر فى حرية الحركة. ومن بين هذه الدول مصر التى استطاعت استغلال هذا الوضع لصالحها باعتبارها تمتلك آنذاك رؤية مستقلة واضحة لأهدافها ومصالحها ، على عكس قوى أخرى لم يتوفر لها ذلك[١] .

وليس من المعقول ، أن نتوقع تعاطف اليابان وأوربا بزعامة ألمانيا وفرنسا، مع المطالب والطموحات المصرية والعربية ، وذلك لأنهم يسعون لمصالحهم أولاً . وقد تلتقى مصالح هذه الدول مع العرب ومصر ، وقد لا تلتقى لكن المهم فى كيفية تعظيم التلاقى وتقليص الاختلاف من خلال أرضية مشتركة من المصالح وآليات للحفاظ على هذه الأرضية .

وأياً كان شكل النظام الدولى وبنائه السائد ، فإن رصد بناء النظام الدولى ، له أهمية كبيرة فى تحليل الواقع السائد ، والمستقبل المنظور على الأقل، من حيث التعرف على المسارات ، فضلاً عن معرفة كيفية التأثير السلبى والايجابى لهذا النظام وتفاعلاته على المصالح العربية والمصرية بصفة خاصة . وعلى وجه التحديد فان فهم بناء النظام الدولى يقودنا إلى معرفة مكامن التأثير فى حركة بيع الأسلحة وتوجهات ذلك . وهذا هو موضوع الدراسة .

---

(١) محمد حافظ اسماعيل ، ولطفى الخولى ، "نظرة مصرية للمسألة" ، فى : رؤية عالمية لمستقبل الشرق الأوسط الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٢،ص ١٥٣ : ٢٠٧ .

المبحث الثانى

المتغيرات الأقليمية وتداعياتها

تتعدد المتغيرات الاقليمية التى لها دور وتأثير على بناء سياسات التسليح فى المنطقة . وتتقدم هذه المتغيرات الصراعات الاقليمية السائدة والتى لها عمق تاريخى وحضارى كبيرين . فضلاً عن أن الأطراف الأقليمية فى هذه الصراعات هى التى تؤثر وتتأثر فى بناء سياساتها التسليحية فى مواجهة بعضها البعض، وذلك فى ظل مؤثرات خارجية ذات طابع دولى سبق ايضاحها فى النقطة السابقة. ومن ثم فانه يمكن ايضاح ذلك كما يلى :-

١ - طبيعة الأطراف الاقليمية المؤثرة :

بحكم طبيعة الصراعات القائمة فى المنطقة العربية والشرق الأوسط ، فانه يمكن رصد عدد من الاطراف المؤثرة فى ادارة الصراع، والتى تسهم بصورة أو بأخرى ، وبشكل مباشر أم غير مباشر، فى اعداد سياسات تسليحها كجزء من ادارة الصراعات فيما بينها . وهذه الأطراف تتحدد فى ستة أطراف هى : (العرب ، واسرائيل ، وايران ، وتركيا، وأثيوبيا ، واريتريا) .

- فالعرب ، يصعب الحديث عنهم كتكتل واحد وفى حالة تنسيقية دائمة ، ولكن العرب هم مجموعة أطراف ، إلا أنه يمكن الحديث عنهم باعتبارها طرف موحد فى لحظات المفيد المشترك . كما أن الطرف العربى يتسم بتعدد دوائر الصراعات والنزاعات التى يدخل فيها . فهناك الصراع العربى الاسرائيلى وهو الصراع المركزى، حيث تتلاقى فيه كافة الأطراف العربية فى مواجهة الطرف الاسرائيلى فى نفس الوقت الذى نرى عدداً من هذه الدول العربية فى مواجهة

مباشرة مع اسرائيل ، وهى : مصر والأردن وسوريا ولبنان ، بالاضافة إلى "الدولة الفلسطينية" الوليدة بحكم اتفاق أوسلو ١ ، ٢ وذلك فى إطار مرجعية مدريد للسلام فى اكتوبر ١٩٩١ . فضلا عن وجود عدة دول عربية مؤثرة بشكل غير مباشر وهى المملكة العربية السعودية ومعها دول مجلس التعاون الخليجى، علاوة على دولة العراق – قبل غزوها للكويت فى اغسطس ١٩٩٠ وما ترتب على ذلك من اجهاض قوتها العسكرية بما كان له تأثير على اختلال التوازن مع اسرائيل ، نتيجة خروجها من معادلة القوة فى الصراع ، بالاضافة إلى تداعيات الأزمة على تنامى التسليح فى منطقة الخليج .

كما أن مصر ، بحكم ثقلها فى المنطقة ، فان هناك محاولات مضادة على محور "نهر النيل" ، فظهرت جهوداً اسرائيلية لاثارة المتاعب لمصر فى حوض النيل ، حيث تم التركيز الاسرائيلى على كل من أثيوبيا واريتريا التى بدأت مؤخراً تثير المتاعب للدول العربية المحيطة بها وبمصر مؤخراً . وهذا ما يجعل لهاتين الدولتين بحكم الجوار الجغرافى ، وجود ضمن القوى المؤثرة على مجريات الأمور، ولابد من أخذهما فى الاعتبار .

* وعلى الناحية الشرقية نجد الصراع العربى الخليجى مع ايران ، حيث وقعت الحرب العراقية الايرانية (٨٠-١٩٨٨) ، والاحتلال الايرانى لجزر الامارات الثلاث (طمب الكبرى، وطمب الصغرى ، وأبو موسى) ، وقلق تصدير ايران لثورتها للدول العربية المجاورة ، يشكل كل ذلك اهتماماً بايران الثورة والدولة ، بحكم ما سبق ، فضلاً عن اعتبارها دولة جوار جغرافى لها وزنها الاقليمى الذى يجب أن تؤخذ فى الاعتبار دون تجاهل . علاوة على الدور الايرانى الذى تتم ممارسته فى مجريات

الصراع العربى الاسرائيلى من خلال الدعم لحزب الله فى جنوب لبنان ، والتنسيق مع سوريا ، ومساندتها لبعض القوى الدينية الاسلامية فى داخل الأرض الفلسطينية المحتلة وبالتالى فانها فى الوقت الذى تعتبر ايران دولة جوار جغرافى ، وتدخل فى نزاعات مباشرة مع الطرف العربى، إلا أنها ذات صلة وثيقة بمجريات الصراع العربى الاسرائيلى .

كذلك فان تركيا بحكم تنسيقها مع اسرائيل عسكرياً واقتصادياً ، وبحكم القلق التركى على صعيد العلاقات بينها وبين بعض الأطراف العربية ومنها سوريا والعراق بشأن مياه دجلة والفرات، وقضية الأكراد ، فان تركيا لا يمكن تجاهلها بحكم اندماجها فى صراعات المنطقة من ناحية ، ومن ناحية أخرى بحكم أنها دولة جوار ، فضلاً عن العمق التاريخى لتركيا فى علاقاتها مع العرب إبان فترة الحكم العثمانى الذى كان يمارس باسم سلطان الاستانة فى تركيا .

- وعلى الناحية الأخرى تبرز اسرائيل التى تحتل فلسطين ، ولا تريد التفريط فى الأراضى العربية المحتلة منذ يونيه ١٩٦٧ حتى الآن وهذه الدولة الصهيونية ، باعتبارها أنها صانعة هذا الصراع مع العرب منذ منتصف هذا القرن –رسمياً – بعد اعلان الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨، فانها تلعب دوراً كبيراً فى استمرارية هذا الصراع ، وأن أى حل له لابد وأن يأتى فى سياق سياساتها واستراتيجيتها. وليس هناك ما يجعلنا نتردد فى قبول المقولة السائدة من الطرف الاسرائيلى، بأن اسرائيل تسعى إلى محاولة فرض "الســلام الاسرائيلى"[١]، ولكن القضية تظل قائمة فى مدى

(1) Tomas Freedman, "Khalil Agreement", New York Times, 19 January 1997 .

قبول الأطراف الأخرى لهذه المقولة ، وهذا السلام الذى لا يتفق مع العدل، ومع الديمومه . فالسلام المنشود هو السلام الدائم القائم على العدل بين حقوق كافة الأطراف . ولذلك فان اسرائيل التى تسعى إلى فرض منطق سلامها ، تسعى إلى تغليب ميزان القوى لصالحها ، وانتهاج نزعة التفوق بصفة مستمرة، ويساندها فى ذلك بصورة علانية الولايات المتحدة الامريكية في ظل هيمنتها الحالية على النظام الدولى .

ويتضح من خلال ماسبق أن الصراع العربى الاسرائيلى هو الصراع المركزى أو الذى تتحدد بموجبه أهمية الأطراف الفاعلة فى التأثير على مجريات هذا الصراع . حيث أن هذه الأطراف رغم دخولها فى صراعات أخرى فى ذات المنطقة ، إلا أن حجم ودور هذه الأطراف وتأثيرها يتحدد بالموقف من الصراع العربى الاسرائيلى ، وهو ماله تأثير بالتالى على بناء سياسات التسليح كما تتضح .

٢ - تداعيات المتغيرات الاقليمية على حركة الأطراف :

لاشك أن حركة الأطراف المختلفة فى المنطقة العربية والشرق الأوسط تتسم بصفة عامة بالمحدودية النسبية ، حيث أن هناك حرية حركة أكبر لبعض الأطراف فى ضوء دعم خارجى مطلق كاسرائيل، والدعم الأمريكى لها بلا حدود. كما تليها حرية حركة بعض الشيء لاريتريا تلك الدولة الوليدة ، التى انفصلت عن أثيوبيا ، وذلك فى ضوء الدعم الأمريكى والاسرائيلى ، حيث تمارس دورها فى المنطقة بالوكالة عن هاتين الدولتين مستهدفين جميعاً اصطياد الطاقات العربية وتبديد الجهود ، وضياع الوقت وتقليل عنصر الزمن للعرب .

وتعتبر حرية حركة الأطراف محكومة بعاملين أساسيين هما : ميزان القوى السائد، وفيما اذا كان يميل اكثر لأحد هذه الأطراف فتزداد حريته فى الحركة والمبادرة والعكس فى حالة تقارب قوى الأطراف المتصارعة ، فان حريتهم فى الحركة تصبح مقيدة أو متساوية الدرجة كما أن العامل الثانى هو : حجم الدعم الخارجى بصورة مطلقة أو كبيرة أو بالعكس . حيث ان الدعم الخارجى الواسع يوسع من حرية الأطراف فى الحركة على العكس فى حالة عدم وجود دعم خارجى مما يؤثر سلباً على حرية حركة الأطراف ، كما سبق ايضاح ذلك فى مثال اسرائيل واريتريا. فضلاً عن عوامل أخرى كثيرة تتعلق بالبناء الداخلى والقدرة الاقتصادية بالذات وكذلك طبيعة العلاقات الارتباطية التبادلية بين الأطراف المتصارعة ، وما اذا كان يسودها التعاون أم الصراع أو السلام .

وفى ضوء قراءة المتغيرات الأساسية فى الوضع الاقليمى ، وأهمها توازن القوى، والدور الخارجى ، وطبيعة الأوضاع الداخلية، فانه يمكن القول بأن حرية حركة الأطراف عموماً قد تضاءلت وذلك فى ضوء ذلك التغير الذى أصاب هيكل النظام الدولى بتفكك الاتحاد السوفيتى فى نهاية عام ١٩٩١ ، وخروجه من معادلة القوة الدولية . وذلك أدى إلى الإنفراد الأمريكى بالنظام الدولى ، وتبع ذلك انفرادها فى ادارة الصراعات الاقليمية مهما كانت درجتها ونوعها . وقد اسهم ذلك فى تضاؤل حرية حركة الأطراف الاقليمية فى النظامين الاقليمى والدولى .

ومن الأمثلة الحية على ما سبق تحليله ، المفاوضات الجارية بين الطرفين العربى والاسرائيلى . حيث يتضح تزايد حجم دور الطرف الاسرائيلى فى التأثير على المفاوضات الجارية وذلك فى ضوء ترجيح ميزان القوى لصالحها والسائدة غيرالمحدودة من بعض القوى الدولية فى مقدمتها الولايات المتحدة بينما الأطراف

العربيـة تعـانى مـن فقدان الدعـم الخـارجى المتـوازن مـع دعـم الولايـات المتحـدة لاسـرائيل ، لذلـك فـان حريـة حركتهـا تتسـم بالمحدوديـة عــلاوة عـل أن قدرتهـا التفاوضية تفتقد إلى درجة المناورة المطلوبة عند التعامل مـع أى موقـف جـارى .

والخلاصة فى هذا الاطار ، تتبلور فى سيادة حرية حركة محدودة عامـة، ولكنهـا تتضح عند الأطراف العربيـة فـى ضـوء عدم التكـافؤ مـع الاطـراف المتصـارعـة معها.

•• •• ••

المبحث الثالث

تأثير المتغيرات الدولية الاقليمية على توازن القوى وعملية السلام فى المنطقة

يمكن القول بأن تحليل المسرح السياسى مرتبط إلى حد كبير بالمسرح العسكرى، كما أن تحليل المسرح العسكرى مرتبط كذلك بطبيعة الأوضاع والمتغيرات السياسية السائدة . وفى ضوء التحليل السابق لمجمل المتغيرات الدولية والاقليمية من حيث القوى الفاعلة دولياً واقليمياً ، وانعكاسات ذلك على درجة حرية حركة الأطراف على المستويين ، فقد اتضح أن هناك عدداً من الأحداث التى برزت فى السنوات العشر الأخيرة لها تأثير على مجريات الحاضر وكذا على تطورات المستقبل .

فالصراع العربى الاسرائيلى يعتبر فى مقدمة المتغيرات المؤثرة على استمرارية سياسات التسليح وتطورها بصفة دائمة . فاستمرارية هذا الصراع بين اسرائيل والأطراف العربية بما فيها الفلسطينيين – بعد فكرة نزع السلاح أو الحد من التسلح مسألة غير واقعية فطالما أن اسرائيل تصر على سياساتها التوسعية، ومشروعها الاقليمى القائم على التفوق والتميز ، فان الأطراف العربية لا يمكن لها أن تنتهج سياسات قائمة على الدفاع فقط، بل تبنى سياسات قائمة على الدفاع والاستعداد الدائم للهجوم فى مواجهة أية تصرفات عدوانية هجومية من جانب اسرائيل وأنه كلما استخدمت اسرائيل الاداة العسكرية فى التعامل مع قضايا المنطقة ، وأطرافها عند حدوث أى مشكلة ، فان النتيجة الطبيعية والمنطقية هو ضرورة توافر الحدود المعقولة لدى الأطراف العربية لمجابهة هذا الوضع . على العكس من سيادة حالة الحوار والتفاوض السلمى دون استخدام الأداة العسكرية،

فان الاطمئنان فى هذه الحالة يقود إلـى تبنى سياسـات دفاعيـة بديلـة من سياسات العنف والهجوم . وهنا فان فهم تطـورات عمليـة السـلام العربـى الاسـرائيلى مـن حيث تطورها الإيجابى أو انعكاساتها بين حين وآخر يـأتى فـى سياق التفـاعل الإيجابى أو السلبى لاتباع سياسات تسليحية . بعبارة أخرى فان خلو المنطقـة من مناخ العـداء المسـتحكم إلـى منـاخ التعـايش والقبـول يمكـن أن يسـهم فـى سياسـات تسليحية مختلفة . ولكن أن يطلب مثلاً من الأطراف العربية الحد من التسلح دون الالتزام الاسرائيلى ، لا يقصد به إلا ممارسة الضغوط الغربية على العرب بهـدف الحفاظ على التفوق الاسرائيلى ، من ناحية ، وكذلك لممارسة الردع فى مواجهـة العرب من ناحية أخرى، وفى كلتا الحالتين فان المقصود هو تحقيق أقصـى درجـة من مطـالب اسرائيل علـى حسـاب الأطـراف العربيـة . أى تغليب المفاوضـات لصالح الطرف الاسرائيلى ، واجبار العرب فى هذه الحالة على قبـول مـا يعـرض عليهم فـى ضـوء اختـلال ميزان القـوى الـذى بالتـالى يحـدث اختـلال فـى مـيزان التفاوض . فعلى الرغم من الدخول فى عملية السلام طبقاً لمقررات مدريد للسـلام فى اكتوبر ١٩٩١ بين العرب واسرائيل تحت رعاية الدولتين الكـبريين (الولايـات المتحدة وروسيا) ، فان اسرائيل لم تتورع عن استخدام القوة العسكرية ضد لبنان . حيث قامت اسرائيل بالعدوان على لبنان تحت اسم "عنا قيد الغضـب" ، ومـا رافـق ذلـك مـن مجـارز كـان آخرهـا "مجـزرة قانـا" ، حيـث قصفـت القـوات الاسـرائيلية الصهيونية موقعاً للأمم المتحدة رغم علمها بوجـود مئـات المدنييـن المختبئيـن فيـه مما أدى إلى استشهاد ما يزيد على مائة شخص .

ويعتبر عدوان عنا قيد الغضب – الـذى استمر ١٧ يومـاً – علـى لبنـان ، هو أبرز أحداث العام الماضى (١٩٩٦) . وقد تمخض عن هذا العدوان الغاشـم ، بما تضمنه من احداث مجازر دموية لا مثيل لها، عن اتفاق عسكرى سياسى أبرم

فى ٢٧ أبريل ١٩٩٦م ، وقد تضمن تجنب اطلاق حزب الله للصواريخ على المستعمرات الاسرائيلية فى مواقع قريبة من التجمعات المدنية مقابل توقف "اسرائيل" عن التعرض للمدنيين ، على أن تقوم لجنة من (٥) دول بالاشراف على تنفيذ بنود الاتفاق .

ويلاحظ أنه على الرغم من تعرض الكيان الصهيونى لانتقادات عالمية واسعة النطاق بسبب ما قامت به قواته من قتل وتشريد وارهاب فى لبنان ، فان العام الماضى (١٩٩٦)، قد شهد ولا سيما فترة ما بعد عناقيد الغضب تصاعداً فى درجة التنسيق الأمريكى الاسرائيلى ، حيث تم اطلاق برنامج "نويتلوس" الخاص بتطوير صواريخ "ليزر" قادرة على اعتراض صواريخ الكايتوشا فى الجو . وتبلغ ميزانية هذا البرنامج ٧٢ مليون دولار يدفع الكيان الصهيونى منها الثلث فقط ، كما قامت الولايات المتحدة أيضاً بمنح اسرائيل معدات خاصة بمكافحة الارهاب فى حدود (٥٠) مليون دولار .

كذلك ، فقد كان لظهور نيتنياهو – كرئيس لوزراء اسرائيل خلفا لشيمون بيريز فى نهاية مايو ١٩٩٦ ، أثره فى تزايد حدة العداء والتهديد بالمواجهة المسلحة بين اسرائيل والأطراف العربية. وقد ظهر ذلك واضحاً فى محاولاته بالتسويق فى التوصل على أية اتفاقيات جديدة ، فضلاً عن عدم اعترافه بالاتفاقات السابقة ، ومحاولاته المستميته لتجاوزها وذلك كله فى اطار "اللاءات " التى تبناها فى برنامجه الانتخابى ، لكل شيء يتعلق بالتعامل مع الفلسطينيين والعرب . وهو بذلك فقد أعاد حالة التوتر إلى ما كانت عليه، وأسهم فى تغيير مناخ السلام الذى

كان قد بدأ يعم الساحة السياسية فى المنطقة . ولهذا كله أثره وتداعياته على استمرارية نفس سياسات التسليح ، ان لم يكن قد تم تطويرها باحتمالات المواجهة المسلحة التى كانت الى حد قريب ، قد شاع ابتعادها ، وتراجعت إحتمالاتها .

• وبالنظر إلى الأرقام الخاصة بميزانيات الدفاع، ومصادر التسليح ، "تتضح عدد من النقاط يمكن اجمالها فيما يلى : -

- شهدت النفقات الدفاعية عام ١٩٩٥م انخفاضاً ملحوظاً حيث كانت ٤٣ مليار دولار مقارنة بمبلغ ٤٤ مليار دولار لعام ١٩٩٤ . أما عام ١٩٩٦، فقد شهد ارتفاعاً فى النفقات الدفاعية لدول منطقة الشرق الأوسط[1] . وتعتبر هذه النفقات ، مقارنة بمستوى الدخل الفردى ، والناتج القومى الاجمالى فى دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، أعلى من مثيلاتها فى كل تجمعات الدول فى العالم .

- فى الوقت الذى تنفق فيه المملكة العربية السعودية ثلث حصة المنطقة من تلك النفقات ، تقوم دول مجلس التعاون الخليجى مجتمعه بانفاق نصف مدفوعات المنطقة على التسلح، وفى الوقت نفسه نرى أن كل من ايران ومصر وسوريا واسرائيل من اكثر الدول انفاقاً على التسلح فى الاقليم ، وهذا ما يتضح من خلال الجدول المبين لذلك . ومن الأرقام اللافتة للنظر المبلغ الذى تخصصه المملكة العربية السعودية للدفاع ، والذى يصل إلى ١٣ مليار دولار لعام ١٩٩٦، كذلك بالنسبة لسلطنة عُمان ، فانها تخصص ٨,٦ مليار دولار للصرف على المجال الدفاعى فى الفترة من (١٩٩٦-٢٠٠٠) ضمن خطة خمسية للتنمية[2].

(١) يورى لايفيتش اليكسييف ، الدول النامية .. النفقات العسكرية ونزع السلاح ، كتب مترجمة رقم (٨٠٧) ، الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٩٣م.

(٢) مراد إبراهيم الدسوقى ، الشرق الأوسط ، منطقة خالية من اسلحة التوفير الشامل ، الأهرام ، كراسات استراتيجية (٢) ، مارس ١٩٩١ .

أن اسرائيل تخصص ٧ مليار دولار للدفاع، طبقاً للميزانية العسكرية لعام ١٩٩٦. كما أنها تتلقى ٣ مليار دولار معونة مباشرة من الولايات المتحدة، يخصص منها ١,٨ مليار دولار لتمويل معدات عسكرية. كما ان الولايات المتحدة تقوم بتمويل نسبة كبيرة من المشاريع العسكرية المشتركة مع اسرائيل، مثل تطوير صاروخ "أرو" الذي سيتم نشره عام ١٩٩٨، وذلك على سبيل المثال.

- بالنسبة لمصر، فان اجمالي ما تخصصه من نفقات عسكرية من ميزانيتها فقد بلغ عامي ١٩٩٥م، ١٩٩٦م ٢,٤ مليار دولار، بالزيادة الطفيفة عن الأعوام السابقة التي دارت حول (٢-٢,٢) مليار دولار وهو ما يعني أنها تتسم بالثبات النسبي فضلاً عن ذلك فان الولايات المتحدة هي المصدر الرئيس للسلاح، حيث تلقت القوات المسلحة المصرية طائرات F16، ودبابات (M1A1) وهي بانتظار تلقي فرقاطات من نوع "بيري"، وعلى الرغم من اعتمادها التسليحي على الولايات المتحدة، فان هناك بعض التقارير التي تشير الى محاولات مصر تطوير قدراتها العسكرية سرا بالتعاون مع بعض الدول الآسيوية كالصين وكوريا الشمالية، فضلاً عن أن الولايات المتحدة تمنح مصر معونة سنوية قدرها ٢,٢ مليار دولار، يخصص منها ١,٣ مليار للصرف على تمويل المعدات العسكرية.

- وبالنظر الى ايران، فانه يلاحظ استمراريتها في زيادة ميزانيتها العسكرية باستمرار. فقد بلغت ميزانية الدفاع من عام ١٩٩٤ ٢,٣ مليار دولار، زادت الى ٢,٥ مليار في العام التالي ١٩٩٥، ثم ارتفعت الى ٣,٤مليار عام ١٩٩٦. وتعتبر الصين وروسيا اكبر موردين للاسلحة الايرانية، كما تكشف الجداول المرفقة عن تفاصيل ذلك.

- بالنسبة لتركيا ، فانـه يلاحظ تنـامى ميزانيـة دفاعها مـن ٥،٣ مليـار عـام ١٩٩٤م، الى (٦) مليار عام ١٩٩٥، إلى ٥،٧ مليار عام ١٩٩٦ . ومن المقرر أن تتجاوز قيمـة الـ ٦ مليـار دولار عـام ١٩٩٧. وهـذا يكشـف بوضوح عن رغبة تركيا الأصليـة فـى ممارسـة دور اقليمـى بالاصالـة أو بالوكالة من قوى غربية كبرى[١] .

وفى ضوء هذه الملاحظات السابقة ، يتضح أن تكدس الاسلحة فى الخليـج له ما يبرره خصوصاً بعد أزمة الاحتلال العراقـى الكويت عـام ١٩٩٠ . كذلك فان تنامى ميزانيات دفاع دول المنطقـة المحيطـة بـالصراع العربـى الاسرائيلى ، رغم اتفاقيات السلام التى تم التوصل اليهـا، فانـه يتضـح أن هذا السلام هشا، ولم يستطع أن يلعب دوراً ايجابياً فى تغيير أنماط التفكـير لدى جماهير هذه الأمة[٢].

- كذلك فانـه مـن ناحيـة أخـرى ، فـان ايضـاح دول انتـاج الأسـلحة ، يبيـن بوضوح حركة اتجاهات التسلح فى العالم . حيث أن الدول المنتجة للسلاح تمارس دوراً فى تحريك اتجاهات تجارته. فضلاً عن أن المسألة تتوقـف برمتها على عدد من المتغيرات . فليس بإرادة دولة معينة أن تستورد مـا تشاء نظراً لوجود قيود، كما أنه ليس بارادة الدولة المنتجة نفس الارادة[٣]. وبالتالى فان المسألة لا تعنى الانتاج ولا تعنـى التصديـر أو الاسـتيراد فـى حد ذاته فحسب . بل انها تتوقف على العديد من العوامـل المتداخلـة ولفـك هذه العلاقة وطلاسمها نسجل ما يلى :

---

(١) د. زينب عوض الله ، السوق الدولية للسلاح وعلاقتها بالدول النامية ، كتاب الأهرام الاقتصادى ، عدد ٣٨ ، ابريل ١٩٩١.

(٢) جيمس لى رى ، الحروب فى العالم : الاتجاهات العالمية ومسـتقبل الشـرق الأوسـط ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ١٩٩٥.

(٣) د.سامى منصور ، تجارة السلاح والأمن القومى العربى ، القاهرة ، مكتبـة مدبولـى ، ١٩٩١.

أ - أن الدول الموردة للسلاح منذ أوائل التسعينات تقترب من (٥٠) دولة ، أبرزهم الولايات المتحدة التى تتربع على عرش موردى السلاح العالمى، بقيمة ١٥ مليار دولار سنوياً منذ عام ١٩٩٢ . ثم تأتى (٣) دول فى المرتبة الثانية وهى (فرنسا وروسيا وبريطانيا) التى تصدر اسحلة بقيمة مليار دولار لكل منها سنوياً . كما تأتى بعد ذلك كلا من المانيا والصين اللتين انخفضت مبيعاتهما منذ عام ١٩٩٣م.

وفى كل عام، فان الدول الست مجتمعه تصدر سلاحاً تبلغ نسبته من ٨٠-٩٠ ٪ من اجمالى الاسلحة المتداولة فى هذه التجارة عالمياً[١].

ب - فى الوقت الذى كانت الولايات المتحدة مصدراً لربع أو ثلث واردات السلاح العالمية فى الثمانينات ، أصبحت الآن تصدر نصف الحصة العالمية . وتتجه صادرات الولايات المتحدة من الاسلحة ، إلى بلدان تدخل فى تفاعلات وعلاقات منها باتفاقيات أمنية مثل دول الناتو واليابان وكوريا الجنوبية ، وتايوان،و "اسرائيل" وبعض دول الشرق الأوسط . ومن الملاحظ أنه قد تغلب على تجارة السلاح الأمريكية سمة الطابع الحكومى أى (حكومة لحكومة)، على الرغم من تزايد دور الشركات الأمريكية فى عقد صفقات مع حكومات خارجية .

ج - بالنسبة لروسيا، فان الملاحظ أن مكانتها قد تراجعت منذ عام ١٩٩٢ وحتى الآن وذلك فى مجال التجارة العالمية للسلاح وقد انسحب ذلك على الدول التى كانت دائرة فى فلك الاتحاد السوفيتى. ويعود ذلك إلى العديد

---

(١٢) التقرير الاستراتيجى لعام ١٩٩٦/١٩٩٧ (التوازن العسكرى) فى الشرق الأوسط ، ترجمة "الخليج" ، ١٩٩٧.

من العوامل فى مقدمتها انتهاء فترة الحرب الباردة والآثار الناجمة عن خروج تلك الدول من المظلة السوفيتيه ومنظمتها الاقتصادية الدولية المتمثلة فى (الكوميكون)، وكذلك حلف وارسو . وقد اتضح ذلك أيضاً فى مبادرة جوربا تشوف ، بأن فترة حكمه بمنع المساعدات الخارجية لدول العالم الثالث، وقد كان جزءاً منها معدات عسكرية . وعلى أية حال، فان روسيا تصدر فى حدود من ٦-١٠٪ من السلاح بأنواعه إلى دول العالم المختلفة.

د - بالنسبة لمبيعات الأسلحة بشكل عام ، فقد اتضح أنه منذ نهاية الحرب الباردة فقد انخفضت قيمة مبيعات الأسلحة التقليدية العالمية بمقدار النصف عما كانت عليه فى الثمانينات . وقد حدث هذا الانخفاض الحاد بين عامى ١٩٩٠، ١٩٩٢ ، إلا أنه قد عادت تلك المبيعات إلى الثبات حول معدل سنوى سقارب ٣٠ مليار دولار . وفى الوقت الذى انخفض الطلب على الاسلحة فى صنوف دول الناتو، مازال التسلح مرتفعاً فى دول الشرق الأوسط وبعض دول شرق آسيا . أى أن هاتين المنطقتين ، تشهد أن بوضوح ظاهرة التسابق على التسليح، وهذا مرده إلى ما تعايشه هاتان المنطقتان من العديد من الصراعات . وتشير أرقام عام ١٩٩٥ ، إلى أن قيمة الصفقات الفعلية عموماً قد ارتفعت بنسبة ١٥٪ مقارنة بالعام السابق (١٩٩٤)، ويرجع ذلك إلى تصاعد مشتريات الشرق الأوسط وشرق آسيا.

هـ - بالنسبة للأقاليم التى شهدت أنخفاضاً فى مشتريات السلاح، يلاحظ أن هذه الأقاليم تتركز فى، أمريكا اللاتينية، وأفريقيا، والدول التى كانت مدعومة من الاتحاد السوفيتى - قبل تفككه بصفة عامة. وقد سبقت الاشارة إلى أن رغبة الاتحاد السوفيتى فى عهد جورباتشوف فى انهاء الحرب الباردة مع الغرب، قد أسهمت فى الاتجاه نحو التخلى عن دول العالم الثالث التى

كانت منتمية إلى الفكر السوفيتى، وهو ما أدى بالتالى إلى عدم الاستمرار من جانب السوفييت فى ضخ المعونات لهذه البلدان ، وهذا قد أسهم بدوره فى التأثير على انخفاض حجم مشترياتها من الأسلحة نظراً لأن أغلب معونات السوفييت كانت عبارة عن معدات عسكرية بالاضافة إلى معونات اقتصادية وفنية . وبالمقارنة بين هذه البلدان وبين الأقاليم الأخرى، فيتضح أن الشرق الأوسط – كما سبق القول – مازال يمثل اكبر سوق اقليمى للسلاح على مستوى العالم . كما أن الانفاق العسكرى يعتبر فى هذه المنطقة اكبر من أى منطقة أخرى. وتعتبر السعودية فى هذا الاطار فى السنوات العشر الأخيرة ، أكبر مستوردى السلاح العالميين . كما أن مشتريات الكويت من الأسلحة ازدادت بعد حرب الخليج الثانية . بالاضافة إلى ذلك فان كلا من مصر واسرائيل تتلقى معونة عسكرية أمريكية مستوياً ، من بينها مقاتلات اف /١٦ ايه /بى (F16.AB) بما قيمته ٣٠٠ مليون دولار لعامى ٩٦ / ١٩٩٧ . كما أن ايران لازالت أحد المصادر الرئيسية للسلاح فى المنطقة . وتعتمد بصفة رئيسية على استيراد السلاح من روسيا، (التى تعتبر اكبر مورد سلاح لايران) . وفى هذا الصدد يمكن الاشارة إلى حجم الضغوط على روسيا للحيلولة دون اتمام صفقة سلاح روسى إلى ايران ، فما كان من روسيا إلا أن طلبت تعويضات من اسرائيل عن هذه الصفقة وإلا ستضطر إلى اتمامها بما يتفق والمصلحة القومية لروسيا .

• وهكذا يتضح أن الجزء الأكبر من مبيعات السلاح تذهب إلى (٦) دول كبرى هى الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا والصين بينما تتجه أغلب هذه المبيعات من الأسلحة إلى منطقتى الشرق الأوسط وشرق آسيا . وهذا يعكس حقيقتين هامتين :-

الأولى : هى أن هاتين المنطقتين (الشرق الأوسط وآسيا هى الأكثر دخلاً سواء عن طريق البترول فى الشرق الأوسط أساساً، أو عن طريق الانتاج أساساً فى الشرق الآسيوى .

الثانية : أن هاتين المنطقتين تشهدان أكبر درجة، وأعلى تركيز فى الصراعات عدداً وحجماً وكثافة .

كما أنه يتضح أن هناك جهوداً دولية فيما يتعلق بمسألة الحد من التسلح، خاصة فى المناطق الملتهبة التى تشتعل فيها الصراعات. وعلى الرغم من أن هذه الجهود تخلص إلى اتفاقات مبدئية، إلا أنها لا تجد صدى فى الواقع العملى، وذلك بسبب الانحياز الواضح من بعض القوى الكبرى لبعض أطراف الصراعات . فأنه فى الوقت الذى تتم فيه مناقشات للحد من التسلح، نجد الاعلان عن صفقات الأسلحة التى تبرم بين بعض أطراف الصراعات، وبعض القوى الكبرى التى تشجع أساساً بشكل علنى مسألة الحد من التسلح، مما يخلق تناقضاً من ناحية، ويفقد السعى نحو بذل الجهود على طريق الحد من التسليح ، المصداقية بشكل عام . فضلاً عن أن هناك محاولات لتضييق الخناق بالحصار والارهاب ، على بعض الأطراف الاقليمية فى حالة سعيها نحو شراء الاسلحة، وبالمثل على بعض القوى المصدرة للسلاح لبيع أسلحتها لبعض القوى الاقليمية على وجه التحديد. وهذا مما يخلق ازدواجية فى التعامل .

•• •• ••

المبحث الرابع

خلاصة الدراسة (الدور الإسرائيلى والدور المصرى فى ظل اختلالات توازن القوى) :

اتضح مما سبق أن منطقة الشرق الأوسط ، شهدت العديد من الصراعـات ولا زال لبعضها أصداؤه، فضلاً عن استمرارية الصراع المركزى الذى يتمثل فى الصراع العربى الاسرائيلى . وإلى جانب ذلك فان هناك صراعات الـدول العربيـة مع دول الجوار فى الخليج فى مواجهة ايران، وفى الشـمال الغربـى فـى مواجهـة تركيا، وفى الجنوب اثيوبيا واريتريا . فضلاً عن ذلك فان النزاعات الموجودة بيـن الدول العربية ذاتها تمثل جانباً من القلق والتوتر فى المنطقة عامـة وقد كـان لهـذه الصراعـات وتلك النزاعـات ، الأثـر الواضـح فـى استمرار تدفـق السـلاح الـى المنطقة.

فقد أشار أحد التقارير التى ناقشها الكونجرس فى نهايـة عـام ١٩٩١ (بعد الانتهاء من حرب الخليج الثانية) ، إلى ان دول منطقة الشرق الأوسط قد حصلت منذ منتصف السبعينات وحتى ما قبل حـرب الخليـج ، علـى أسلحة بلغت قيمتها ٢٠٠ مليار دولار ، وأن هذه الاسلحة قد وصلت دول المنطقـة مـن دول الولايـات المتحـدة ، والاتحـاد السـوفيتى وبريطانيـا وفرنسـا والصيـن بالاضافـة إلـى ألمانيـا وايطاليا والبرازيل والأرجنتين .

وفى تقرير للكونجرس الأمريكى بعنوان[1]: "مبيعات الاسلحة التقليدية إلـى الدول النامية مـن ٨٧ – ١٩٩٤"، تضمـن العديـد مـن المعلومـات الهامـة فـى هذا الصدد نذكر منها :- ١٠

(١٣) تقرير الكونجرس : "مبيعات الأسلحة التقليدية الى الدول الناميـة مـن ٨٧- ١٩٩٤" ، عرض : الأهرام ١٩٩٥/٨/١٦م .

- أنه فى الفترة من ١٩٨٧ – وحتى عام ١٩٩٠ ، استوعبت منطقة الشرق الأوسط ٥٨,٣٪ من كل مبيعات السلاح إلى الدول النامية فى العالم ومن عام ٩١-١٩٩٤ ، استوعب الشرق الأوسط ٥٥,٧٪ من مبيعات السلاح العالمى إلى الدول النامية. وقد هيمنت الولايات المتحدة على مبيعات السلاح إلى الشرق الأوسط، واحتلت فرنسا المركز الثانى فى ذلك وتتوالى إلى عدة دول أخرى منتجة للسلاح وموردة له للشرق الأوسط .
- وعلى أية حال فان مسألة تجارة السلاح، وما يتبعها من سياسات التسلح للعديد من الدول محكومة أساسا بالتطورات الاقتصادية والمتغيرات السياسية السائدة فى العالم .

وقد سبق أن أوضحنا جملة التغيرات التى شهدها النظام الدولى، وما تمخض عن ذلك من هيمنة مؤقته للولايات المتحدة بعد تفكك الاتحاد السوفيتى . وهذه الهيمنة الأمريكية تتجسد فى اصرار الولايات المتحدة على احتكار ارادة هذا النظام الدولى والتحكم فى مساراتها وعدم اعطاء أية فرصة لأى تكتلات أو قوى دولية بالمشاركة فى ذلك .

ومن بين القضايا التى تسعى الولايات المتحدة لاستثمارها بمحاولة ترسيخ بعض من دعائمها بما يتفق والمصلحة القومية الأمريكية، مسألة تجارة السلاح . فالولايات المتحدة تشير فى العديد من الاتجاهات : منها يتعلق بألا تتجاوز الصراعات الحالية حدود الدولة التى تدور فيها هذه النزاعات بحيث لا تأخذ طابعاً دولياً خاصة بعد اختلال ميزان القوى العالمى لصالحها فى ضوء التفكك السوفيتى .

ومن ذلك أيضاً الاصرار الأمريكى على الضغط على العديد من القوى الدولية خاصة فى أوربا وآسيا وأمريكا اللاتينية،للحد من توريد السلاح خصوصاً إلى مناطق الصراع كالشرق الأوسط، فى الوقت الذى

تسعى الى الانفراد فى توريد أسلحتها إلى هذه المناطق ، وبما لا يخل بميزان القوى السائد بين الأطراف الاقليميين لصالح طرف، لا ترغب الولايات المتحدة فى ذلك. وهذا ما يمكن فهمه من خلال سيطرة الولايات المتحدة حالياً .

ومنذ انتهاء حرب الخليج فى عام ١٩٩١ على سوق السلاح العالى وقد جاءت مبادرة الرئيس الأمريكى السابق (بوش) فى مايو ١٩٩١، للحد من تسليح الشرق الأوسط فى هذا الاطار[١]. ولكن الظروف الاقليمية ، وعدم تسوية الصراع العربى الاسرائيلى بشكل دائم وعادل ، أدى بالتالى لعدم نجاح الضغوط الامريكية فى هذا الاطار ، وخاصة أن الولايات المتحدة تتعامل بازدواجية مع هذا الصراع . ففى الوقت الذى تعلن الولايات المتحدة عن رغبتها فى الحد من التسلح فى الشرق الأوسط، يعترف وزير الدفاع الأمريكى السابق باتفاقاته على تحويل اسرائيل كموقع لتخزين السلاح الأمريكى مما يدعم توازن القوى لصالحها بصورة غير مباشرة . كما أن تواجد السلاح النووى الاسرائيلى يمثل عقبة رئيسية أمام الحد من التسلح فى الشرق الأوسط ، وذلك باعتراف أحد تقارير الكونجرس عام ١٩٩١.

وفى أحد التقارير الصادرة فى عام ١٩٩٥ عن المعهد الدولى لأبحاث السلام، أشار الى أنه باستثناء الشرق الأوسط وشرق آسيا ، فان دول العالم الأخرى قد خفضت نفقاتها العسكرية خاصة الولايات المتحدة وروسيا . وقد ظهر ذلك فى تراجع الدور العالمى الروسى، وكذلك فان اتجاه الولايات المتحدة

(١) "خطة بوش للحد من تسليح الشرق الأوسط" ، الأهرام ، ١٦/٥/١٩٩١.

لتخفيض ميزانيات التسلح ، وإغلاق القواعد العسكرية الأمريكية داخل الولايات المتحدة وحول العالم ، يثبت تراجع الانفاق العسكرى الأمريكى. كما يشير التقرير أيضاً، إلى أن شركات العالم الكبرى المنتجة للسلاح حاولت التكيف مع انخفاض إنفاق الدول فى المجال العسكرية ، وذلك عن طريق عمليات الدمج وتخفيض العمالة وترشيد النفقات .

- بعبارة أخرى ، فان مسألة سياسات التسلح متأثرة بهيكل النظام الدولى وتفاعلاته . وأنها يمكن أن تأتى فى اطار المبادرة أو فى اطار رد الفعل . وفى جميع الأحوال فإن الثابت أن سياسات التسليح وتجارة الاسلحة وحركتها ، قد تأثرت بتطورات النظام الدولى وكذا الأوضاع الداخلية وطبيعة الصراعات الدولية والاقليمية السائدة ، وهو ما تم ايضاحه على مدار الصفحات السابقة .

وهنا فان فهم تغيرات النظام الدولى، وفى ضوء ضرورة حدوث توازن العقوبات مع اسرائيل ، فان الضرورة تستلزم ألا تكون الولايات المتحدة هى المصدر الوحيد للتسليح، وأن أى سياسة تبنى على ذلك ، مصيرها للفشل . وهذا ما يستدعى ضرورة فتح وتوسيع العلاقات مع التكتلات الدولية وخاصة المنتجة للسلاح. وهنا تظهر دول أوربا المنتجة للسلاح، وكذلك الشرق الآسيوى متمثلاً فى الصين وكوريا الشمالية، وأيضاً فى أمريكا اللاتينية (البرازيل والأرجنتين) . وأن فكرة الحد من التسلح فى ضوء التغيرات التى حدثت فى سياسة كلينتون، تصبح فكرة نظرية، وأمل مرجو. لكن الواقع يشهد أن السياسة التسليحية التى يجب

وضعها تقوم على التوازن مع اسرائيل وهى الدولة المنتجة للسلاح النووى حيث أن نزع هذا السلاح من المنطقة ، يمكن أن يشكل بداية انفراج وضمان لعملية السلام الدائم والعادل فى المنطقة . بل أن السائد هو أن اسرائيل تسعى للأمن ، وهنا يمكن القول أن الأمن مشترك، وما يتم مطالبة العرب به ، لابد أن يتوازى مع ما تمتلكه اسرائيل من السلاح ذات النوعية المتقدمة فى التكنولوجيا، بصوره تكاد تهدد كل امكانات السلام واستقراره فى المنطقة بأسرها.

• ومن ثم فانه على مدار الصفحات السابقة قد اتضح مدى الإختلال الواضح فى توازن القوى من خلال الدعم المطلق من جانب الولايات المتحدة لاسرائيل سواء بصورة مباشرة بتزويدها بأحدث أنواع الأسلحة بما يجعلها تتفوق على العرب جميعاً أو سواء بصورة غير مباشرة عن طريق دور أمريكى عالمى للتأثير على توريد الأسلحة للأطراف العربية . ويحقق هذا الانحياز الأمريكى لاسرائيل ضمانا للتفوق الاسرائيلى وفقاً لتعهدات االإدارة الأمريكية على مختلف أنواعها ، سواء أكانت هذه الإدارة ديمقراطية - كما هو سائد الآن فى عهد كلينتون، أو سواء أكانت جمهورية كما فى العهود السابقة. كما يحقق هذا الانحياز أيضاً تأثيره على عملية السلام وذلك من خلال اظهار الاختلال فى القوى لصالح اسرائيل، ما يساعد على ارغام العرب على قبول السلام الاسرائيلى برعاية ودعم أمريكى مطلق .

وفـى هـذا السياق فـان اسـرائيل تبـذل مسـاعيها لحصـار الـدور المصـرى بإعتبـاره اكـثر الأدوار الأقليميـة نشـاطاً وفاعليـة، ومـن ناحيـة أخرى تبذل مساعيها لاظهار ذاتها كدولة قوية تستطيع أن تقاوم الأرهـاب، وتحمى مصالح كافة القوى الدولية من الولايات المتحدة إلى اليابان مروراً بالأوربيتين (الغربية والشـرقية) ثـم روسـيا ورغـم هـذه المسـاعى ، إلا أن مصـر تسـتطيع دائمـاً بـذل جهـود مضـادة لفـك الحصـار أو توسـيع دائـرة الحركـة عربيـاً واسـلامياً وعلـى مسـتوى العـالم الثـالث (حركـة عـدم الانحياز..) ، مما يسهم فـى تقويـة أطروحـات اسـرائيل فـى ممارسـة دور انفرادى فـى الهيمنـة علـى المنطقـة واخضـاع الجميـع ليدوروا فـى فلكهـا للتعانق مع المصالح العليا للدول الكبرى / التى لا يهمها من يُهيمن ، بقدر ما يهمها ضمان مصالح شعوبها فى هذه المنطقة الحيوية .

التحدى قـائم ، والاختـلالات فـى مـيزان القـوى قائمـة وموجـودة فعـلاً ، والصراع قائم بين العرب واسرائيل ، والأدوار الاقليمية فى حالـة صـراع حقيقى ، وتنافس على مدى الحركة والتـأثير الايجـابى، ومـع ذلـك تسـتمر جهود السلام وسط هذه الأشواك ، دون يقين حقيقى بنجاحها .

** ** **

جدول رقم (١)

القدرات الإقتصادية والإنفاق العسكرى

الدولة	عدد السكان	إجمالى الناتج القومى (بالمليار دولار)		متوسط دخل الفرد السنوى بالدولار		نسبة النمو		نسبة التضخم		الديون (بالمليار دولار)		نفقات الدفاع (بالمليار دولار)	
		١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٤	١٩٩٥
السعودية	١٩,٢٨٦,٣٠٠	١٢٠	١٢٥	١٠,٢٠٠	١٠,٤٠٠	٪٠,٥	٪٢,٣	٪٠,٦	٪٤,٩	١٦,٨	١٦,٠٠	١٤,٣	١٣,٢
عمان	١,٩٦٤,٤٠٠	١١,٣	١٢,٢	١٠,١٠٠	١٠,٤٠٠	٪٢,٢-	٪٥	٪٠,٨-	٪٢	٢,٧	٢,١	٢,٠٠	١,٨
الكويت	١,٥٨٠,٤٠٠	٢٤,٢	٢٦,٧	١٥,٨٠٠	١٦,٥٠٠	٪١,١	٪٨	٪٤,٧	٪٥,٤	١١,٠٠	٩,٦	٣,١	٣,١
قطر	٥٥٤,٨٠٠	٧,٣	٧,٤	١٥,٦٠٠	١٥,٧٠٠	٪١,١-	٪٠,٥	٪١,٣	٪١,٥	١,٩	٢,٠٠	٠,٣٠٢	٠,٣٢٦
البحرين	٥٨٥,٤٠٠	٤,٩	٥,٠٠	٨,١٠٠	٨,١٠٠	٪١	٪١	٪١	٪١	٢,٨	٣,٠٠	٠,٢٥٦	٠,٢٦١
اليمن	١٤,٧٩٣,٨٠٠	٨,٧	٩,٠٠	١,٣٠٠	١,٣٠٠	٪١,٣-	٪١	٪١٤٥	٪٥٥	٦,٠٠	٦,٠٠	٠,٣١٨	٠,٣٤٥
العراق	٢١,٧٤٠,٠٠٠	١٨,٥	١٨,٣	-	-	٪١	٪١-	٪٢٨٠	٪٢٣٠	٤٢,٠٠ (١٩٩١)	-	٢,٧	٢,٧
إيران	٦٦,٧٦٩,٨٠٠	٥٩,٨	٦٢,٥	٤٨٠٠	٤٩٠٠	٪١,٩	٪٢,٥	٪٣١,٥	٪٤٩,٧	٢٢,٧	٢٣,٠٠	٢,٣	٢,٥
تركيا	٦٢,٢٥٣,٢٠٠٥٨,٧	١٣٥,٠٠	١٦٧,٠٠	٤٥٠٠	٤٨٠٠	٪٥,٥-	٪٧,٣	٪١٠٦,٣	٪٩٣,٦	٦٨,٨	٧٣,٣	٥,٣	٦,٠٠
مصر	٣١,٦٠٠	٥٢,٠٠	٥٦,٠٠	٤,٢٠٠	٤,٤٠٠	٪٣,٩	٪٤,٤	٪٨,٢	٪٨,٣	٣٣,٤	٣٤,٠٠	٢,٢	٢,٤
سوريا	١٤,٨١٤,٠٠٠	٢٨,١	٣٠	٦,٢٠٠	٦,٣٠٠	٪٣	٪٤	٪٩,٢	٪١٣	٢٠,١	٢٠,٨	٢,١	٢,٠٠
لبنان	٤,٠٧٣,٠٠٠	٧,١	٧,٧	٤,٢٠٠	٤,٤٠٠	٪١٠,٥	٪٦	٪١١,٥	٪١١	٢,٠٠	٢,٥	٠,٣٦٣	٠,٤٠٧
الأردن	٤,٥٦٠,٢٠٠	٦,٠٠	٦,٦	٦,٠٠٠	٦,٣٠٠	٪٥,٧	٪٦,٣	٪٣,٦	٪٢,٣	٧,١	٦,٣	٠,٤٣٣	٠,٤٤٠
فلسطين (الحكم الذاتى)	٢,٢٦٧,٠٠٠	٣,٠٠	٣,٢	١,٧٠٠	١,٧٠٠	٪٢,٧	٪٣,٥	٪٣,٥	٪١١	٠,٧٤٠	٠,٨٠٠	٠,٠٨٤	٠,٠٩٠
الكيان الصهيونى بمن فيه من عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ وسكان القدس	٥,٧٢٣,٢٠٠	٧٣,٦	٧٨,٠٠	١٥,٤٠٠	١٦,٥٠٠	٪٦,٥	٪٦,٩	٪٦,٩	٪١٠,١	٤٢,٠٠	٤٥,٠٠	٦,٧	٧,٢

جدول رقم (٢)

القـــدرات العسكريـــــة								
الدولـــة	ميزانية الدفاع (بالمليار دولار)	المساعدات العسكرية الخارجية (بالمليار دولار)			عدد القوات المسلحة			
	١٩٩٦	١٩٩٥	١٩٩٦	١٩٩٧	برية	جوية	بحرية	الإجمالي
السعوديـــة	١٣,٩	-	-	-	٧٠,٠٠٠	١٨٠٠ +٤٠٠٠ دفاع جوى	١٣٥٠٠	١٠٥,٥٠٠
عُمـــان	١,٨	٠,١	٠,١	٠,٢	٢٥,٠٠٠	٤١٠٠	٤,٢٠٠	٣٣,٣٠٠
الكـــويت	٢,٩	-	-	-	١١,٠٠٠	٢,٥٠٠	١,٨٠٠	١٥,٣٠٠
قطـــر	٠,٣٣٠	-	-	-	٨٥٩٩	١,٥٠٠	١,٨٠٠	١١,٨٠٠
البحريـــن	٠,٢٦٥	٠,١	٠,١	٠,٢	٨٥٠٠	١,٥٠٠	١٠٠٠	١١,٠٠٠
اليمـــن	٠,٣٦٢	-	-	-	٣٧,٠٠٠	٣,٥٠٠	١,٥٠٠	٤٢,٠٠٠
العـــراق	-	-	-	-	٣٥٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	٢,٥٠٠	٣٨٢,٥٠٠
إيـــران	٣,٤	-	-	-	٣٤٥,٠٠٠ +١٠٠ ألف حرس ثورى	٣٠,٠٠٠	١٨,٠٠٠ +٢٠ ألف حرس ثورى	٥١٣,٠٠٠
تركيـــا	٥,٧	٠,٣٦٦	٠,٣٢٢	٠,١٧٧	٥٢٥,٠٠٠	٦٣,٠٠٠	٥١,٠٠٠	٦٣٩,٠٠٠
مصـــر	٢,٤	٢,١	٢,١	٢,١	٣١٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠ +٨٠,٠٠٠ دفاع جوى	٢٠,٠٠٠	٤٤٠,٠٠٠
ســـوريا	١,٨	-	-	-	٣١٥,٠٠٠	٤٠,٠٠٠ +٦٠,٠٠٠ دفاع جوى	٦,٠٠٠	٤٢١,٠٠٠
لبنـــان	٠,٤٥٥	٠,٠٤٨	٠,٠٤٨	٠,٦٠٠	٤٧,٥٠٠	٨٠٠	٦٠٠	٤٨,٩٠٠
الأردن	٠,٥٣٧	٠,٠٨٣	٠,٢٧١	٠,٠٣١	٩٠,٠٠٠	٨٠٠٠	٩٥٠	٩٨,٦٥٠
فلسطين (الحكم الذاتى)	٠,١٠٠	٠,٠٨٠	٠,٠٧٥	٠,٠٧٥	-	-	-	-
الكيان الصهيونى	٧٠٠	٣٠٠	٣٠٠	٣٠٠	١٣٤,٠٠٠	٣٢,٠٠٠	٩,٠٠٠	١٧٥,٠٠٠

جدول رقم (٣)

تجارة مبيعات السلاح عالمياً من عام ١٩٩٢-١٩٩٥						
م	من ١٠-٥٠ مليون دولار	من ٥٠-١٠٠ مليون دولار	من ١٠٠-٢٠٠ مليون دولار	من ٢٠٠مليون إلى مليار دولار	من مليار إلى ١٠ مليارات دولار	أكثر من ١٠ مليارات
١	الارجنتين	استراليا	بلغاريا	بلجيكا	الصين	الولايات المتحدة الأمريكية
٢	روسيا البيضاء	النمسا	إيران	البرازيل	فرنسا	
٣	الدانمارك	شيلى	اليابان	كندا	ألمانيا	
٤	مصر	اندونيسيا	كوريا الشمالية	جمهورية التشيك	روسيا	
٥	فيلندا	ماليزيا	بلوننا	جمهورية يوغسلافيا	بريطانيا	
٦	اليونان	النرويج	البرتغال	إسرائيل		
٧	منغاريا	رومانيا	كوريا الجنوبية	إيطاليا		
٨	الهند	سنغافورة	أوكرانيا	بولندا		
٩	كازاخستان	سلوفاكيا		جنوب افريقيا		
١٠	المكسيك			أسبانيا		
١١	باكستان			السويد		
١٢	تركيا			سويسرا		
١٣	اوزبكستان					
الحصة من سوق السلاح العالمى		٪٢٠١	٪٤٠٢	٪١٠,٥	٪٤٠,٣٥	٪٥٥,٤٥

جدول رقم (٤)

أسعار صفقات السلاح التى تم تسليمها إلى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (بالمليون دولار)								
الدولة / الأعوام	الكويت	ليبيا	سوريا	الكيان الصهيونى	مصر	إيران	العراق	السعودية
١٩٨٧	٢٥٢	٧٥٦	٢,٥٢١	٢,٥٢١	٢,٣٩٥	٢,٥٢١	٧,٣١٠	٨,٥٧٠
١٩٨٨	٣١٦	١,١٥٣	١,٥٧٨	١,٣٣٥	١,٠٠١	٣,١٥٥	٦,٧٩٦	٧,٥٢٥
١٩٨٩	٥٤٦	١,٢٧٧	١,٢٧٧	١,٣٩٤	١,٠٤٥	١,٧٤٢	٢,٧٨٧	٦,٨٥١
١٩٩٠	٣١٢	٤١٢	١,٠٥٧	٧٧٩	٨٩٠	٢,٠٠٣	٣,١١٦	٨,٦٨١
١٩٩١	٥١٥	٤٣٩	٨٤٤	٦٧٠	٩٦٥	٢,٢٥١	-	٨,٠٣٩
١٩٩٢	١,٠٤٣	٨٣	٣٩٦	٨٨٦	١,١٤٧	٣٧٥	-	٨,٨٦٤
١٩٩٣	٧٦٥	-	٢٢٥	١,١٢٣	١,٤٢٩	١,٠٢١	-	٦,٩٤٠
١٩٩٤	٩٠٠	-	٢٠٠	١,٢٠٠	١,٥٠٠	٥٠٠	-	٦,٩٠٠
١٩٩٥	١٠٠٠	-	٢٠٠	-	١,٩٠٠	٤٠٠	-	٨,١٠٠

الفصل التاسع
سيناريو الاستراتيجية السياسية
فى مواجهة احتمالات
انهيار عملية السلام

(*) ورقة بحثية قدمت لمركز الدراسات الاستراتيجية بأكاديمية ناصر العسكرية ، مارس ١٩٩٧ .

لا شك أن من أهم السمات التى تتصف بها عملية السلام فى "الشرق الأوسط"، هو "التعثر" الذى تشهده هذه العملية، وكذا "الترنح" بين لحظة وأخرى فى مساراتها بين التحرك والتوقف، وبين مباحثات أو مفاوضات تبدأ ثم تتوقف ثم تنتهى نهاية غير مريحة للطرف العربى . وهذا التعثر والترنح ، وأن كان قد بدأ مع ميلاد الإطار العام للمحادثات فى مدريد فى ١٩٩١/١٠/٣٠م، إلا أنه دخل مرحلة أكثر حيوية وإنجازاً -بغض النظر عن تقييم هذا الإنجاز. ثم سرعان ما تراجع هذا الوضع مرة أخرى ، ولا زالت المسألة فى حاجة إلى تقييم كامل ومراجعة حقيقية .

وقد أفضت طبيعة ما آلت اليه هذه العملية فى الوقت الحاضر، وبعد مرور نحو خمس سنوات ونصف على بدء محادثات مدريد ، إلى التساؤل المنطقى :

*** ماذا لو توقفت عملية السلام فى الشرق الأوسط ؟**

وفى خضم الأحداث، لم يكن هذا السؤال مطروحاً ، إلا بوصول رئيس الوزراء (نيتيناهو) للحكم ممثلاً لتكتل الليكود، بعد اجراء الانتخابات الإسرائيلية فى مايو الماضى (١٩٩٦).وقد أثار نجاح نيتيناهو فى الانتخابات هذه التساؤلات حول مصير عملية السلام ، وذلك لما عرف عنه - من خلال تصريحاته ، وبرنامجه الانتخابى ، وأحاديثه التليفزيونية أثناء المعركة الانتخابية - باللاءات الشهيرة لكل ما يتعلق بعملية السلام . فقد أعلن رفضه للانسحاب من هضبة الجولان ، ورفضه لأى مناقشة حول المستوطنات الإسرائيلية بصفة عامة ، وكذا رفضه للمساس بالقدس ، معتبراً اياها عاصمة اسرائيل الأبدية، كما أعلن رفضه لإطار مدريد للسلام ومقرراته، وكذا عدم الالتزام باتفاق أوسلو(١) ، وأوسلو(٢) ، ومقرراتهما، كما رفض مبدأ "الأرض مقابل السلام"، وطرح فى مقابله "الأمن مقابل السلام"، وبالتالى رفض إقامة " الدولة الفلسطينية" ، وفى المعنى الأخير فإنه

رفض كلية عملية السلام أو الاستمرار فى ذلك الطريق معتبراً أن السلام الحقيقى هو السلام الذى تفرضه اسرائيل على العرب ، الذين بدورهم "ملزمين" بقبوله حرصاً على أمنهم ومصالحهم.

وفوق هذا وذاك ، فقد ارتفعت نبرات الاعلان عن التهديد بالحرب ، وأن التصريحات المتتالية على لسان رئيس الوزراء الاسرائيلى نفسه أوكبار مسئوليه، أشارت الى امكانية اعلان الحرب مرة أخرى، بل هدد بطرد السلطه الفلسطينية المحاصرة فى قطاع غزة، وأريحا وعدد من المدن الصغيرة فى الضفة الغربية ،مما أشعل الاجواء الساخنة فى المنطقة، فى ظل ظروف اقليمية ودولية بالغة التعقيد .

وفى ضوء ذلك، فإنه من المنطقى أن نحاول الإجابة على السؤال المطروح وهو : ماذا لو أخفقت عملية السلام؟ وأن الإجابة على ذلك تقودنا إلى كيفية تدبير الأمور فى مواجهة هذا التحدى الذى أصبح يلوح فى الأفق . وهذا هو ما نعينه فى هذه الورقة بطرح ما يمكن عمله فى اطار استراتيجية مصرية وعربية لمواجهة احتمالات انهيار عملية السلام فى الشرق الأوسط .

وفى هذا الإطار ، فإنه يمكن تناول عدة نقاط ، يمكن بلورتها فيما يلى :-

•• •• ••

المبحث الأول

الحدود النظرية لمفهوم الإستراتيجية

تعتبر "الإستراتيجية"- فى جوهرها علاقة بين وسائل وأهداف - بمعنى أنها تكييف لكافة الوسائل المتاحة ، والموارد والإمكانيات لتحقيق الأهداف المرسومة . وبالتالى فإن هذا المفهوم يعد أداة للوصول إلى تحقيق الأهداف الموضوعة، وذلك من خلال الربط بين الحاضر والمستقبل : فالإستراتيجية بهذا المعنى تعنى تحديداً للأهداف والأساليب، وذلك فى ضوء رؤية مستقبلية لهذه الأهداف ، ونظرة فلسفية للتطور، بل تتضمن بالضرورة ترجيح تصور على آخر وبديل عن آخر فى ضوء هذه الرؤية الفلسفية وتلك النظره .

فالإستراتيجة إذن هى أسلوب فى التفكير يسمح بدراسة الوقائع والأحداث والمتغيرات وتصنيفها حسب أهميتها واختيار الوسائل الملائمة والفعالة لتحقيق الأهداف. ومن ثم فإن الإستراتيجية تطلب وضوحاً فى الأهداف وتكاملها ، واتساقها وعدم تناقضها، فضلاً عن ضرورة واقعية هذه الأهداف ، والقدرة على المبادرة والاعتماد على الذات ، ثم الإستمرارية من خلال وضوح المراحل مع الإستمرار وبلا إنقطاع ، بالإضافة إلى العقلانية والتخصص، وكذلك ، الإلزام بما يعكس الجدية فى التنفيذ ، بالإضافة إلى ضرورة توافر "المرونة" بما يسمح بمواجهة المواقف غير المحتملة أو المتوقعة .

بهذا المعنى، وفى ضوء ما تسعى إليه هذه الدراسة، فإن عملية طرح استراتيجية عربية ومصرية لمواجهة احتمالات انهيار عملية السلام العربية

الإسرائيلية،ما هى الا عملية للبحث عن أفضل الأساليب والطرق والأدوات لتحقيق الأهداف التى حددها السياسيون. ولهذا يتطلب الأمر دراسة البيئة الواقعية لموضوع الدراسة ، وتحديد البدائل المختلفة فى ضوء الموارد والامكانيات المتوفرة والتى يمكن تعبئتها لتحقيق الأهداف المرسومة مع تقييم لهذه البدائل، وتحديد أنسب أساليب العمل والممارسة لتحقيق الأهداف.

•• •• ••

٧٦

المبحث الثانى
البيئة الاقليمية والدولية

عند توضيح وتحليل البيئة الاقليمية والدولية ، يظهر تساؤل حقيقى هو :

ما هى الأطراف الفاعلة فى عملية السلام على المستوى الاقليمى (ممن هم خارج أطراف الصراع العربى الاسرائيلى) ، وعلى المستوى الدولى عموماً ؟ ولذلك فإن الاجابة على هذا السؤال تعتبر بمثابة القراءة التحليلية لهذه البيئة .

فعلى المستوى الدولى ، يبرز الطرف الأمريكى ثم الأوربى فالروسى فالصينى .

(١) **الطرف الأوربى :**

كما يلاحظ ، يتمحور حول الدور الفرنسى الذى يتحرك باسم الاتحاد الأوربى الذى يضم (١٥) دولة . ففرنسا " شيراك " تسعى جاهدة لممارسة دور دولى فعال، وقد ظهر ذلك فى الاهتمام الفرنسى بالشرق الأوسط . ومنذ نجاح شيراك فى انتخابات رئاسة الدولة الفرنسية فى مايو ١٩٩٥، نجده قد بادر بزيارة المنطقة مرتين ، بخلاف الزيارات المتكررة لوزير خارجيته (هيرفيت دى شاريت) . ونجح الرئيس شيراك فى اقناع الدول الأوربية بتعيين " ممثل أوربى " خاص يتولى مهمة متابعة ودفع عملية السلام ، لتكون لأوربا وجوداً ملموساً وفعالية محسوسة. كما أصدر الرئيس الفرنسى قراراً بتعيين وزير الخارجية الفرنسى ، ليكون ممثلاً خاصاً للشرق الأوسط والذى شكل بدوره وحدة خاصة فى وزارته تكون مهمتها هو دعم مسيرة السلام ومتابعتها وتقديم مقترحات من أجل

زيادة المساهمة الفرنسية فى إنجاحها .وقد كشف الرئيس الفرنسى (شيراك) عن موقفه إزاء هذه العملية (سلام الشرق الأوسط) ، بتأكيده على الحقوق الفلسطينية ، وحقهم فى إقامة دولتهم المستقلة، وحق اللاجئين فى العودة ورفض المستوطنات ، وضرورة الانسحاب الاسرائيلى من هضبة الجولان والجنوب اللبنانى . ويربط شيراك الأمن القومى الفرنسى والأوربى، بالاستقرار فى جنوب وشمال البحر المتوسط ، تحقيقاً للمصالح المترابطه بين جميع الأطراف . وقد ترجم شيراك موقفه بضرورة وجود دور فرنسى فى هذه العملية ، وذلك بمشاركة الولايات المتحدة رئاسة لجنة المراقبة للأوضاع فى جنوب لبنان . وعلى الرغم من الرفض الاسرائيلى لهذا الدور الفرنسى والأوربى ، والاصرار على اختزاله فى مجرد علاقات اقتصاديه طبقاً لما صرح به نتنياهو نفسه ، فانه يبدو أن هذا الاصرار الاسرائيلى على عدم التفاعل مع الرغبة الأوربية الفرنسية فى ممارسة دور فى عملية السلام، يرجع إلى تنامى التعاطف من جانبهم إزاء الموقف العربى ، على الرغم من الطرف الأوربى بالرغبة فى توفير الضمانات للحفاظ على الأمن الاسرائيلى مقابل الأستجابة للحقوق العربية .

وقد لا يغيب فى التحليل أيضاً ، الانشغال الأوربى باستكمال خطوات الوحدة ، وهناك معارك دائرة حول قضية توحيد العملة الأوربية ، فضلاً عن الاهتمام بمستقبل حلف الأطلنطى ، ويسهم ذلك كله فى تضاؤل الاهتمام الأوربى عموماً بمنطقة الشرق الأوسط حالياً ، وتركزه فى الموقف الفرنسى ، طبقاً لما تم ايضاحه من قبل . فأوربا تملك الرغبة والقدرة والمصلحة فى القيام بدور هام فى سلام المنطقة ، ولكن تحول الظروف الداخلية دون تحقيق ذلك حالياً وهو ما يعطى لفرنسا دوراً أكبر وأكثر كثافة ويلقى عليها بمسئولية كبرى وحتى لا تغيب أوربا عن الساحة فى ظل تطورات الأوضاع فى المنطقة .

(٢) **الطرف الروسي :**

يتضح من خلال المتابعة، عدم الاهتمام بالشرق الأوسط كما كان سائداً من قبل. فروسيا مهمومة بالأوضاع الداخلية، وكانت قضية الشيشان تمثل أولوية كبرى حتى تم حلها وإجراء انتخابات الرئاسة فيها وهى فى طريقها للاستقرار. كما أن الصراع على السلطة فى ضوء التدهور المستمر لصحة الرئيس الروسى (يلتسين) يمثل أولوية على كل الأشياء . كما أن السياسة الخارجية لا تخرج عن هذه الدائرة ، حيث تولى روسيا أولوية للتوسع شرقاً والاهتمام بالصين على وجه التحديد ، فى نفس الوقت الذى ترفض فكرة توسيع حلف الأطلنطى شرقاً ، وترفض بالتالى كل الضغوط الغربية وكل المزايا التى تلوح بها أوربا والولايات المتحدة فى حالة الموافقه الروسية على ذلك . فروسيا لازالت تعتقد فى تأثير هذا الخيار على أمنها القومى ، وهذا ما يقودنا إلى أن هناك مخزون استراتيجى لإمكانية تنشيط الدور الروسى الدولى فى فترة قادمة. ومع ذلك ، فإن روسيا سعت مؤخراً لمحاولة إبراز اهتمامها بالمنطقة ، وقد اتضح ذلك من خلال زيارة بريماكوف – وزير خارجيتها لدول الشرق الأوسط سعياً نحو اشعار جميع الأطراف بوجود روسى فى المنطقة حتى ولو كان محدوداً .وعلى الطرف الآخر فإن زيارة الرئيس الفلسطينى عرفات لروسيا مؤخراً تشير إلى إستمرارية الاعتقاد العربى الفلسطينى بوجود هذا الدور ، باعتبار أن روسيا هى أحدى الدولتين الكبريين (راعيا السلام) ، حتى ولو كان هذا الدور محدوداً .

(٣) **الطرف الصينى :**

لازال الدور الصينى العالمى محدوداً للغاية. فالصين مشغولة هـذا العام بعودة الجزيرة " هونج كونـج " مـن تحت يد البريطـانيين ، وتستعد لعودة " تـايوان " قبـل نهايـة هـذا القـرن ، ومشـغولة كذلـك بـالتوازن الاستراتيجى مع ممارسة الدور الفاعل فى جنوب وشرق وشمال آسيا ، باعتبارها بؤرة التفاعلات ، والأيام القادمة يمكن أن تؤكد هيمنتهـا. ولذلك فإن القول بأن للصين دور فى الشرق الأوسط ، يمكن مراجعتـه بـأن هذا الدور لا يمثل أولوية حاضرة فى السياسـة الخارجيـة ، وبالتـالى فـإن هذا الدور يظل محدوداً ومرهوناً بالأحداث الكبرى التى من شأنها إتخاذ قرار داخل مجلس الأمن ، فيـأتى غالبـاً الموقـف الصينـى مؤيـداً للحـق العربـى والفلسطينى . أى أن النشاط الصينى إزاء قضايا الشرق الأوسط هو نشـاط لحظى وغير مستمر. وهذا لا ينفى بالطبع وجود الاتصالات المستمرة بين الصين ودول المنطقة ، وأطراف الصراع فيها .

(٤) **الطرف الأمريكى :**

لازال هذا الطرف هو المحور الرئيسى لادارة عملية السـلام فـى "الشرق الأوسط ". وليست هناك ضرورة للتـأكيد علـى أسـباب أهميـة هذا الدور بالنسبة للولايات المتحدة نفسها أو بالنسبة للأطراف المباشرة وغير المباشرة فى عمليـة السـلام العربـى الاسـرائيلى . فالولايـات المتحـدة هـى الراعى الرئيسى لهذه العملية ، وهى التى أستطاعت أن توجد الحد الأدنـى ٨٠
لالتقاء أطراف الصراع حول مائدة المفاوضات فى مؤتمـر مدريـد للسـلام فـى ١٩٩١/١٠/٣٠. حيث حـاولت بهذا الاجتمـاع أن تثبـت مصداقيتهـا بالالتزام الذى قطعتـه على نفسها فى ظل إدارة الرئيس السابق (بوش) ،

وذلك بعد انتهاء أزمة الخليج الثانية في نهاية فبراير ١٩٩١. ولا يخفى على أحد مدى الجهد الذى بذلته الولايات المتحدة فى دفع عملية السلام ، وانقاذها باستمرار فى اللحظات الأخيرة مؤكدة بذلك فعاليتها فى المنطقة ، وتأثيرها النسبى على كافة الأطراف – محل النزاع – وإذا حاولنا الإشارة إلى حصاد هذا الجهد الأمريكى حتى نهاية عام ١٩٩٦، فلا يوجد أبلغ مما قاله "وارين كريستوفر" وزير الخارجية الأمريكى آنذاك فى المؤتمر الاقتصادى لدول الشرق الأوسط وشمال افريقيا، والذى انعقد فى القاهرة ، وذلك فى ١٩٩٦/١١/١٢ ، حيث قال : " ان الاحتفاظ بالواقع الحالى يمثل خطراً على المستقبل ، وكل طرف يجب أن يعلم بذلك " ثم قال مشيراً إلى حصاد هذه الجهود بقوله : هناك مكاسب تاريخية يجب الحفاظ عليها مكاسب تستطيع الأطراف البقاء فوقها . هناك اتفاقان تاريخيان بين الاسرائيليين ، والفلسطينيين . وهناك محاولات لوضع حد للارهاب، كما أن هناك اتفاقية سلام بين اسرائيل والأردن ، وسلسلة جديدة من الاتصالات الدبلوماسية والتجارية بين اسرائيل وجيرانها العرب . وهناك فرصة لاحلال السلام الشامل الذى يعم سوريا ولبنان. ويتعين تحقيق السلام فى النهاية لكى تتمتع المنطقة بالأمن الحقيقى. كما أن الدعامة الأساسية للسلام مازالت راسخة ، وتتمثل فى معاهدة السلام بين مصر واسرائيل .

ويمكننا أن نرى إلى أى حد وصلنا إذا ما نظرنا إلى هذا المؤتمر الاقتصادى بالرغم من النكسات والشكوك التى صادفتنا فى الأشهر الأخيرة " .

ويتضح من هذا النص الاشارة إلى الدور الأمريكى فى الإنجاز ، وأنه على الرغم من هذه الإنجازات المتمثلة فى عدد من الاتفاقيات التى تمت فعلاً ، إلا أن الرؤية الأمريكية لازالت تستشعر " خطر الواقع الحالى " ، دون إشارة إلى

المتسببين فى خلق هذا الواقع واستمرار الأوضاع القائمة . وهو ما يكشف عن عدم رغبة الولايات المتحدة فى رؤية الحقائق فى واقع التسوية الجارية ، كما أنها ترفض الاعتراف صراحة بالأزمة المستحكمة التى تعانى منها هذه العملية ، ولازالت مستمرة على الرغم من توقيع إتفاق الخليل ، بعد مفاوضات شاقة بين الطرفين الفلسطينى والاسرائيلى .

وعلى الرغم من انشغال الولايات المتحدة خلال العام الماضى (١٩٩٦) بالانتخابات الرئاسية ، إلا أن دورها لم يغب عن الساحة ، ولكنه تعرض للاسترخاء نتيجة نجاح نتنياهو فى الوصول للحكم فى اسرائيل فى نهاية مايو الماضى، وهو ما لم تكن الولايات المتحدة تتوقعه. كما أنه مما يساعد على استمرارية الدور الأمريكى هو نجاح الرئيس كلينتون . حيث لا يزال يعطى أولوية لهذه القضية والمنطقة معا. وعلى الرغم من تغيير وزير الخارجية الأمريكى من وارين كريستوفر ، إلى السيدة/ مادلين أولبرايت مع بداية هذا العام (١٩٩٧) وذلك مع بدء الفترة الثانية لحكم الرئيس كلينتون ، إلا أن الدور ليس محتملاً أن يتغير بالتزايد أو الانحسار. ومما يشير إلى إستمرارية هذا الدور هو قرار وزيرة الخارجية باستمرار تكليف "دينيس روس" - مساعد وزير الخارجية الأمريكية ، للقيام بعمله لرعاية شئون عملية السلام فى الشرق الأوسط .

وقد لعب " روس " دوراً ملموساً فى التوصل إلى " اتفاق الخليل "، بل مارس تهديداته على الطرفين (الفلسطينى والاسرائيلى) بانهاء مهمته والعودة للولايات المتحدة أكثر من مرة ، نتيجة التعنت الذى كان سائداً فى المفاوضات. كما أن توالى زيارات غالبية الأطراف المعنية (دول الطوق) ، ومنهم بنيامين نيتنياهو رئيس حكومة اسرائيل ، والرئيس الفلسطينى (ياسر عرفات)، والرئيس المصرى (حسنى مبارك) ، والرئيس الاردنى (الملك حسين) ، وذلك للولايات المتحدة ، ليؤكد مدى استمرارية الادراك لدى جميع الأطراف بمحورية الدور الأمريكى ، وهو ما يشير إلى استمرارية هذا الدور بملامحه دون تغيير يذكر .

وهكذا يتضح أن الدور الأمريكى فى المنطقة ، لا ينافسه أى من الأطراف الثلاثه الأخرى على المستوى الدولى ، باستثناء دور أوربى محدود بفعالية دولة فرنسا وهو ما سبق أن أشرنا اليه .

(٥) **الأدوار الاقليمية :**

تتمحور الأدوار الاقليمية المؤثرة على مسيرة السلام فى المنطقة من ثلاثة قوى أساسية هى : إيران وتركيا واريتريا .

فايران: تمثل عنصر توازن وضغط فى عملية السلام ، حيث تصر على ممارسة هذا الدور من خلال دعمها لحزب الله فى جنوب لبنان الذى أصبح قوة تؤخذ فى الاعتبار فى القرار اللبنانى بل وفى إدارة عملية السلام ذاتها. بل انها تساهم فى دعم الموقف التفاوضى السورى فى مواجهةاسرائيل. لكنها فى نفس الوقت تشكل قلقاً فى منطقة الخليج من جراء إحتلالها لجزر الامارات الثلاث (طمب الصغرى وطمب الكبرى وأبو موسى) . حيث تستنزف جهداً من دول الخليج وفى مقدمتها الامارات، بما يشكل تأثيراً سلبياً على الطرف العربى .

أما **تركيا** ، فان التحالف التركى الاسرائيلى عسكرياً،والتنسيق بينهما اقتصادياً، على الرغم من تغيير الحكومة التى وضعت أسس هذا التحالف من "مسعود يلمظ " إلى " أربكان " زعيم حزب الرفاة ، إلا أن لهذا تأثيره السلبى على العلاقة العربية التركية . وأنه رغم ما يقدمه أربكان من مبررات فى هذا الصدد دون أتخاذ موقف بالغاء هذه الاتفاقية، فإن العرب غير مقتنعين بذلك فى هذه المرحلة. ومع ذلك فان الأطراف العربية تنظر إلى أربكان باعتباره رصيد إيجابى فى المستقبل، فى حالة استمراره فى حكم تركيا . فضلاً عن ذلك فإن الطموح التركى يمارسه دور سياسى واقتصادى فى المنطقة له من التأثير على إدارة عملية السلام، ومن الأوجب أن يؤخذ ذلك فى الاعتبار .

كذلك ، فإن " ارتيريا " تطرح نفسها بتواضع وبمحدودية فى ممارسة دور ما فى المنطقة . وهى تمارس هذا الدور بالوكالة عن اسرائيل والولايات المتحدة. فهى تسعى إلى استنزاف الجهود العربية فى أمور جانبية، لتشتيت التركيز العربى فى مواجهة اسرائيل . ويؤكد ذلك تصرفاتها ازاء جزر حنيش والدخول فى مجابهة مع اليمن ، فضلاً عن المناوشات التى تقوم بها مع السودان ، محاولة استغلال التعبئة الدولية الحالية ضده من أجل الصاق المزيد من الاتهامات به ، ومحاولة ممارسة دور الوقيعة لتوسيع فجوة العلاقات بين السودان ومصر فضلاً عن اصرارها على عدم الانضمام للجامعة العربية رغم الأغلبية التى تصل إلى أكثر من ٨٠٪ ، والتى تتحدث باللغة العربية ، وهذا لكى لا يصبح البحر الأحمر عربياً . وكل هذا له تأثيره السلبى على الموقف العربى ، وبالتالى على إدارة عملية السلام بين العرب واسرائيل.

** ** **

المبحث الثالث
البيئة الواقعية للدول الأطراف

تواجه البيئة المحيطة بالطرفين الأساسيين فى الصراع وهى (العرب، واسرائيل)، تحديات كبرى. وتتوقف استجابة كل طرف تجاه ما يثيره الطرف الآخر، على طبيعة ميزان القوى السائد. وعلى الرغم من مرور ما يزيد على الخمس سنوات منذ اجتماع مدريد للسلام فى أكتوبر ١٩٩١، وما تم انجازه فى هذا الشأن من اتفاقيات بين الفلسطينيين واسرائيل، وبين الأردنيين واسرائيل أيضاً، إلا أن الشكوى لازالت تسيطر على الأطراف ، مما قد فرض منهج توازن القوى لفهم طبيعة موقف كل طرف . وقد خلق ذلك سباقاً فى التسلح بين هذه الأطراف . ويمكن ايضاح طبيعة الأوضاع التى يعيشها كل طرف على النحو التالى :

١ - **الطرف العربى :**

على الرغم من أن محورية صراع الشرق الأوسط يتركز فى الفلسطينيين واسرائيل حالياً ، وذلك بعد الانتهاء من الجبهة المصرية ، والجبهة الأردنية ، إلا أن محورية الحركة فى ادارة عملية السلام تتركز فى مصر. وقد حاولت اسرائيل منذ مجئ نيتنياهو لرئاسة الوزارة فيها ، أن تحاصر الدور المصرى ، وتعلن دائماً - من خلال العديد من المسئولين فيها ، أن الأمر يخص الاسرائيليين والفلسطينيين ، وليس هناك مكان لمصر أو غيرها فى الموضوع .

وقد طرحت التساؤلات من جانب الاسرائيليين حول ما تريده مصر بالضبط بعدما أخذت سيناء ؟! ووصلت التصريحات فى بعض الأحيان إلى توجيه بعض الاتهامات لمصر باعاقتها لعملية السلام ، وتشجيع تيارات الرفض ضد اسرائيل. وكانت مصر ترد بحسم على هذه التساؤلات مؤكدة أن دورها باق ، شاءت اسرائيل أم أبت ، وأن قرارات السلام كما كانت فى الحرب ، تلعب مصر دوراً كبيراً فى حسمها .

وبالنظر إلى واقع الطرف العربى فى الآونة الأخيرة ، فان المشهد العربى يعانى من نزيف التمزق فى صفوفه ، وتعدد مشاكله ، وتشتت جهوده . وأصبح مشهد التجزئة بين كافة أجزاء النظام العربى ، هو أقرب المشاهد لقراءة هذا الواقع . فقد كانت " الهرولة العربية" متسارعة قبل رحيل " بيريز " من الحكم فى مايو ١٩٩٦. ولكن مع مجيئ "نيتنياهو" للحكم فى اسرائيل ، تراجعت هذه الهرولة وكان إجتماع القمة فى ١٩٩٦/٦/٢١ بين الدول العربية فى القاهرة لوقف نزيف التطبيع مع اسرائيل فى إطار توحيد الكلمة العربية، وإعادة توحيد صفوف العرب التى تمزقت بعد الغزو العراقى للكويت فى أغسطس ١٩٩٠. وقد تحقق ذلك جزئياً ، وتدعم الموقف التفاوضى العربى فى مواجهة اسرائيل . إلا أن حجم المشاكل والنزيف الداخلى فى غالبية الأقطار العربية بينها ، حال دون استمرار الصمود العربى ، أو استمرار الموقف الإيجابى الذى نجم عن القمة العربية الأخيرة فى القاهرة. فقد وقعت أحداث عنف ارهابية ضد القوات الأمريكية فى الظهران ، واتسعت هوة الخلاف بين البحرين وقطر كادت تسفر عن تفجير مجلس التعاون الخليجى .

كما تعانى الجزائر من أحداث عنف داخلية، وكذلك السودان الذى يعايش عزلة اقليمية ودولية وعدم استقرار داخلى ، فضلاً عما تعانيه ليبيا من الحصار الدولى من جراء أزمة لوكربى حيث توجه إليها بعض الاتهامات من دولتى الولايات المتحدة وبريطانيا. بالإضافة إلى معاناة الشعب العراقى نتيجة الحصار المستمر بعد اجبار نظام صدام حسين على الخروج من الكويت . فضلاً عن اقحام اليمن فى نزاع مع اريتريا حول جزر حنيش فى البحر الأحمر . وتلعب عوامل إقليمية ودولية فى خلق التباعد العربى ، مما يعمق من حالة الإنقسام الحادة التى التئمت جزئياً بعقد مؤتمر القمة العربى الأخير. وعلى الرغم من حالة التوافق المؤقت فى أعقاب عقد القمة العربية ، وما ترتب عليها من شيوع حالة من القلق لدى اسرائيل والولايات المتحدة، إلا أنه سرعان ما استمرت اسرائيل فى طريقها الاستفزازى للعرب وواصلت سياساتها العدوانية ضد الفلسطينيين ، ولم تعبأ اسرائيل -كعادتها- بالرأى العام الدولى الذى يزداد غضباً من سياسات حكومتها.

كذلك فان مشهد التجزئة الذى تعايشه المنطقة العربية ، يعنى أن تسوية الصراع العربى الاسرائيلى هو قبول الشروط الاسرائيلية ، أو عدم التوصل إلى تسوية نهائية على الاطلاق . ولذلك فان المتابعة لأوضاع المنطقة العربية تشير إلى استمرارية مشهد التجزئة فى داخل الاقطار العربية وبينها ، وذلك دون تجاهل محاولات رأب الصدع ، ووقف نزيف هذه التجزئة بعض الشيئ .

٢ - **الطرف الاسرائيلى :**

فقد كان لوصول نتنياهو للحكم أثره فى زيادة قبضة اليمين المتطرف الذى يتسم بموقف المتشدد إلى حد التطرف ، وهو ما ترك - ولازال- تأثيره السلبى على عملية السلام مع العرب . فقد حاول رئيس الوزراء الاسرائيلى الحركة فى كل اتجاه ناحية العرب من منطلق التفوق الاسرائيلى عسكرياً ، والتمييز التكنولوجى بعبارة أخرى، حاولت اسرائيل ادارة العلاقات مع العرب بمنطق التسيد عليهم ، وقد أدى ذلك إلى الرفض العربى لهذا الأسلوب . ومارسوا ضغوطهم على اسرائيل بوقف نزيف التطبيع ، ومحاولة مخاطبة الولايات المتحدة الامريكية لممارسة تأثيرها على اسرائيل . إلا أن الأخيرة كانت تستثمر فرصة الانتخابات الأمريكية لفرض الأمر الواقع واستمراره ، وذلك بهدف عدم قدرة الرئيس الأمريكى على ممارسة ضغوطه أثناء الانتخابات ، وعلى أمل تغيير كلينتون ذاته دون افصاح علنى بذلك خشية استمراره وهو ما حدث فعلاً .

وكذلك فقد حاولت اسرائيل أن تستجيب جزئياً للعواصف ، بموافقتها بعد مفاوضات مضنية وبعد تدخل مصرى أردنى لانقاذها من التوقف نهائياً ، أمكن عقد اتفاق الخليل. إلا أن هذا لم يعنى إقراراً من اسرائيل بالاستجابة للمطالب العربية الفلسطينية ، بل يعنى وسيلة لاعادة النظر فى اتفاقات سابقة بين اسرائيل والفلسطينيين متمثلة فى أوسلو/١ ، وأوسلو/٢ . وهو ما حدث فعلاً حيث تم تأجيل موعد المفاوضات النهائية من نهاية عام ١٩٩٧ ، أو نهاية عام ١٩٩٨ وأوائل عام ١٩٩٩. وأن فكرة التأجيل ليس إلا لمجرد فك الاتفاقيات السابقة والنكوص عنها تدريجياً فيما بعد. وهذا ما يقود إلى فهم الاصرار الاسرائيلى على مواصلة

٨٨

الاستيطان فـى الأراضـى العربيـة المحتلـة عمومـاً ، وخاصـة فـى الضفـة الغربية ، وبصفة أخص داخل القدس الشرقية. وهذا يشير إلى المحـاولات المستميته من جانب الحكومة الاسرائيلية لتنفيذ برنامج نيتنياهو الانتخـابى. على الرغم من أن هناك نظرة متفائلة تشير إلى أن اسـرائيل التـى وقعـت اتفـاق الخليل الأخير، سيجعلها توقـع بقيـــة الاتفاقـات مـع الفلسـطينيين، وسوريا ، ولبنان ، وذلك فى ضـوء التجـارب السـابقة لليكـود. فقد وقعت معاهدة السلام الأولى مع مصر فى عهد " بيجيـن " زعيـم الليكـود ، وبـدء محادثات مؤتمر مدريد للسلام ، وما تمخض عنه مـن لجـان فرعيـة تمـت فـى عهـد حكومـة " شـامير " الليكوديـة. ولذلـك فليـس مسـتغرباً أن يحـدث الاتفاق الكبير أو النهـائى مـن نصيـب حكومـة ليكوديـة ، وليسـت حكومـة للعمل .

وفى الوقت الذى حاولت اسـرائيل ممارسـة ضغوطهـا علـى نظـام جنوب أفريقيا لوقف صفقات الاسلحة لسوريا ، إلا أن اسرائيل تسعى إلـى رفض الضغوط الدولية والاقليمية على تصرفاتها . وتحاول اسرائيل أيضاً الايحـاء بأنهـا خاليـة مـن هـذه الضغـوط ، بـل تشـيع أنهـا صاحبـة الكلمـة النهائية فى شئون المنطقة دونما تأثير لأى طـرف اقليمـى ودولـى. ولذلـك فقد اعتقدت اسرائيل عند عقد القمـة الاقتصاديـة فـى القـاهرة فـى نوفمبر المـاضى ، أنهـا صاحبـة السـيادة والسـمو إزاء الـدول المشـاركة وخاصـة العربيـة، إلا أنهـا فشـلت فـى تحقيـق أهدافهـا. حيـث عوملـت اسـرائيل باعتبارها أحد الأطراف أو الضيوف الحاضرة ،وليسـت بوصفهـا صاحبـة الكلمة الطولى كما تسعى إلى سيادة هذا المفهـوم . كمـا أنهـا حينمـا سـعت إلى دعوة سوريا للتفاوض دون أى شروط سابقة ، أو الالتزام بالمحادثـات السابقة ، قوبلت برفض شديد من سوريا بأنها لن تتحاور من جديد إلا من

حيث النقطة التى انتهت عندها آخر مفاوضات . كما أن شعار " لبنان أولاً " الذى طرحته اسرائيل لفك الترابط السورى اللبنانى، واجه فشلاً ذريعاً نتيجة الرفض المتزامن من جانب كل من سوريا ولبنان .

وترتكن اسرائيل فى ممارسة سياساتها العدوانية ، استناداً إلى المساندة الأمريكية التى تقدم بلا حدود ، فضلاً عن التعهد الأمريكى بغض النظر عن هوية الرئيس الأمريكى الحاكم ، بضمان التفوق العسكرى الاسرائيلى على كل الأقطار العربية. وكلما ذهب رئيس الوزراء الاسرائيلى ، يحصل على اتفاق من جديد يؤكد هذا الضمان بالتفوق. ولذلك فعلى الرغم من مرور ما يقرب من عام كامل على وصول نيتنياهو للحكم ، إلا أنه لم ينجز شيئاً فى عملية السلام حتى الآن . واستمرت حالة التنافر بين الطرف العربى والطرف الاسرائيلى مما يعوق التوصل إلى سلام حقيقى ودائم وعادل فى المنطقة . وهذا هو ما تسعى اليه اسرائيل فى كل مرحلة من مراحل المفاوضات .

•• •• ••

المبحث الرابع
الاستراتيجية السياسية المقترحة
فى حالة انهيار السلام

من الواضح فى ضوء المدخلات التى أشرنا إليها حول طبيعة البيئة الواقعية المحيطه لعملية السلام فى الشرق الأوسط ، دولياً وإقليمياً بل وأطراف الصراع ، نجد أنه على صعيد المفاوضات منذ مدريد ١٩٩١ وحتى الآن ، توجد أزمة مستحكمة تتزايد حلقاتها تشابكاً وتعقيداً . وتفصح هذه الأزمة عن نفسها من خلال تنفيذ ما تم الاتفاق عليه من خلال التفاوض ، وكذلك فانها تتجلى بشكل أكثر حدة فى إنتهاك الاتفاقات حول ما يتعلق عدم فرض أمر واقع بشأن موضوعات المفاوضات النهائية. بل أن أكثر أوجه هذه الأزمة استحكاماً وحدة ، ما يظهر على أرض الواقع من مضاعفات وتداعيات لمسار عملية التسوية الجارية. فعلى الرغم مما تحمله هذه التسوية من صفة السلام ، إلا أنها حتى الآن لم تستطع اتفاقاتها المحدودة ، أن توقف " العنف " الذى تتزايد عملياته ويتنوع القائمون به . فضلاً عن هذا وذاك فان " الحصار " المفروض على الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية والقطاع منذ ٢٦ فبراير ١٩٩٦ لانهاكه اقتصادياً وتجويعه ، وهناك تقارير عديدة تشير إلى مدى الانهاك الاقتصادى الذى تعيشه مناطق الحكم الذاتى الفلسطينى ، وكذا تشير إلى اتساع دائرة الفقر الذى يصل إلى حد الجوع بل والتجويع المتعمد من جانب إسرائيل .

وعندما ننظر إلى قضيتى " الأرض والمياه " ، وما تم بشأنهما فى الواقع الفعلى، استناداً إلى ما وعدت به عملية التسوية السلمية الجارية ، من ضرورة انهاء الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧، واسترجاع

الحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى ومنها حقه فى مياه أرضــه ، نجد أن حصاد التسوية حتى الآن يتمثل فى واقع معقد ومتشابك . حيث لا يزال الاحتلال الاسرائيلى جاثماً على أكثر من ٩٠٪ من الأرض الفلسطينية ، ونهب اسرائيل لأكثر من ٧٥٪ من المياه .

كما أنه بالنظر إلى ما تم على صعيد استرجاع الأراضى ، والتى دخلت حتى اليوم فى إطار الحكم الذاتى المحدود هى ٦٠٪ من مساحة قطاع غزة البالغة ٣٦٠ كم٢،و٥٧كم٢ فى منطقة أريحا بالضفة الغربية،وعدد(٦) مدن عربية هى (جنين،وطولكرم/ونابلس،وقلقيلية وبيت لحم ، والخليل مؤخراً) وتبلغ مساحتها جميعاً ما يقرب من ٥٪ من مساحة الضفة الغربية المحتلة عام ١٩٦٧ ويقيم على هذه المساحة الضئيلة ، حوالى ١,٥ مليون من أبناء فلسطين . وليس لهؤلاء ومعهم مليون آخرين ، حق التصرف فى أكثر من ٢٠٪ من مياه هذه الأراضى المحتلة. وبالرجوع لخرائط اتفاق أوسلو ، وما تمخض عنها من اتفاقية غزة – أريحا فى القاهرة فى ٤/ مايو/١٩٩٤ ، أن اجمالى ما تشمله أولى هذه الخرائط التى تضم (قطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية) حوالى ٢٠٪ من مساحة أرض فلسطين الجغرافية . وهو ما لم يحدث فى الواقع العملى ، حيث أن آخر تصريحات رئيس الوزراء الاسرائيلى فى ٦/ مارس/١٩٩٧، أن اجمالى ما سيتم تسليمه للفلسطينيين من الضفة الغربية لن يتعدى ٩٪ ، مما أسهم فى استفزاز الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات الذى رد عليه : بأن هذا القول يعد مؤامرة كبرى وخبيثه على الاتفاقات المعقودة ، وأن الشعب الفلسطينى لا يمكن التهاون بشأنها .

وتعكس قراءة هذه الأوضاع فى الواقع العملى ، خروجاً اسرائيلياً عن " الاطار المرجعى" لعملية السلام سواء على المستوى الفلسطينى ، أو على المستوى العربى فى سوريا ولبنان التى لم تتحرك عملية التسوية فى اتجاههما خطوة واحدة على مدار أكثر من خمس سنوات حتى الآن. فضلاً عن ذلك فان ما تشهده عملية

السلام تتجلى فى حالة " التعثر " الدائمة، والتى يستلزم لتحريكها كلما تعثرت تدخلاً من راعيى المفاوضات وخاصةً الطرف الأمريكى من موقع " الحكم " ، لاعطاء المفاوضات قوة دفع ذاتية حتى لا تدخل دائرة " التوقف والجمود " .

ولاشك أن الوضع الحالى يدخل دائرة الأزمة وتعثر الأوضاع على كافة الأصعدة بين الطرفين العربى والاسرائيلى . وعلى الرغم من اقرار البعض أن حالة " اقرار الوضع الحالى والحفاظ عليه " ، يعتبر هو الواقع الفعلى ، ويتفق مع مصلحة الأطراف فى هذه المرحلة على الأقل .

وقد ظهر مقال أخير لـ " ريتشارد هاس " – المستشار الأول للرئيس الأمريكى السابق " جورج بوش " لشئون الشرق الأوسط ، ومدير دراسات الشرق الأوسط فى معهد بروكينجز حالياً ، فى عدد سبتمبر/ أكتوبر ١٩٩٦ من مجلة : Foreign Affairs بعنوان : " الشرق الأوسط : لا مزيد من الاتفاقات " يرى أن السنوات الخمس الماضية التى شهدت اتفاق أوسلو ، واتفاق الصلح بين الأردن واسرائيل فى وادى عربة ، والتحسن المذهل فى علاقات اسرائيل مع دول عربية كثيرة ، أنها بمثابة شهر عسل قد انقضى بعد مدريد. حيث أن السنوات الخمس الأولى كانت سنوات الاتفاقات السهلة الممكنة التحقيق ، أما الآن فان ما تبقى من قضايا هى الأكثر تعقيداً ، ويستحيل التفاوض عليها مثلاً : القدس ، وسيطرة الفلسطينيين على الأراضى ، والدولة الفلسطينية وحق العودة ، والمياه ... الخ. ولذلك فانه يرى أن كلا من الفلسطينيين والاسرائيليين يفضل استمرار الوضع الحالى ، على مواجهة البدائل التى ستفرض واقعاً غير مكتمل بالنسبة للفلسطينيين، وخيارات سياسية صعبة، ان لم تكن مستحيلة بالنسبة للاسرائيليين . ولأنه من الصعب على "نيتنياهو" أن يتراجع ، ومن المستحيل على " ياسر عرفات " أن يقبل

بمشروع " نيتنياهو" ، لذلك فالحفاظ على الوضع الراهن أسهل من مخاطر التسوية ولكن الكاتب وأن رأى الصورة هكذا، فانه أجاب أيضاً عن سؤال حول ما اذا كان الابقاء على الوضع الحالى يمكن أن يؤدى إلى ا لانفجار أو الحرب ؟ يجيب بقوله: أنه مما لاشك فيه أن استمرار الوضع الراهن ينطوى على مخاطر كبيرة: حالة اللا حرب واللا سلم بين سوريا واسرائيل ، واللا تواصل بين المراكز السكانية ، والمستوطنات الاسرئيلية ، واستمرار السيطرة الاسرائيلية على الأراضى . وأنه لمواجهة هذه المخاطر يقترح " هاس " :

- دعم الحكم الذاتى إلى أقصى الحدود : وهذا ما يفسر المبلغ الضخم الذى قررته الدول المانحة للسلطة الفلسطينية فى أجتماع باريس الأخير .
- تدخل ما أسماه بـ " قوى الردع " لفرض استمرار حالة اللا سلم واللا حرب لفترة طويلة ، ومنع تحولها إلى حرب بشتى الوسائل .
- الحفاظ على الانجازات والاتفاقات الحالية ، ودعمها عبر العلاقات الأحادية، واجراءات بناء الثقة .
- محافظة الولايات المتحدة الأمريكية على التزامها التاريخى بمبدأ : " الأرض مقابل السلام " .

ويؤكد الكاتب بقوله فى نهاية المقال : " بأن الوضع الراهن سيبقى ولو لفترة طويلة لن يتغير ، إلا فى حالة حدوث بعض التغيرات لدى الجانبين العربى والاسرائيلى : الاسرائيلى (فى الحكومة الاسرائيلية)، والعربى : (بالنسبة لسوريا وأسلوب الحكم الذاتى) .

ومن خلال استعراض أهم ما جاء فى هذا المقال ومضمون وجهة نظره حول احتمال مصلحة الأطراف المعنية فى استمرار الوضع الحالى والابقاء على الأمر الواقع ، يتأكد لنا أن هذا السيناريو يتفق وواقع ادارة عملية السلام فى عهد نيتنياهو . ومفاوضات الخليل الأخيرة أثبتت السير فى هذا الاتجاه ، مع الاقرار الأمريكى الرسمى له ، طالما أن الأطراف لا تسير فى عكسه . ولذلك أصبح أمامنا عدة سيناريوهات فى مواجهة واقع عملية السلام .

(١) **السيناريو الأول :**

ويتمثل فى " استمرار الأوضاع الحالية ، والحفاظ على الوضع القائم من كافة الأطراف " ، إلى أن يحدث تغيير فى الساحة ، على جانب أى طرف سواء العربى أم الاسرائيلى. وهى الحالة المسماة من قبل "حالة اللا سلم وحالة اللا حرب. ويمكن أن نسميها بـ " حالة اللا إتفاقات" حيث يدور كل طرف حول ما يعتقده ، وحول ما سبق أن توصل إليه من قبل .

(٢) **السيناريو الثانى :**

ويتمثل فى استمرار " واقع التشدد الاسرائيلى ، فى مواجهة التجزئة والتمزق العربى " . وهذا السيناريو يقوم على الاستغلال الاسرائيلى لواقع العرب الممزق ، بطرح رؤى متشددة تقوم على التراجع عما تم الاتفاق عليه ، والتسويف فيما يجب أن يتم التوصل اليه. وفى هذا مزيد من أرهاق الطرف العربى والاسرائيلى ، وممارسة الضغوط على الطرف العربى لقبول الشروط الاسرائيلية . وهذا السيناريو بالتالى يقوم على أن الفاعل الرئيسى هو الطرف الاسرائيلى . حيث يستهدف الاسرائيليون تثبيت الوضع الراهن مع خلق المزيد من الوقائع

الجديدة . كما أن اسرائيل تنطلق من فرضيـة مؤداها أن التحرك العربى "لحظوى" ، يرتبط بالحدث الجديد ، ثم سرعان ما يتلاشى تأثيره . نموذج ذلك : قرار اسرائيل بمصادرة أراضى الفلسطينيين فى القدس ، وما نجم عن ذلك من تحرك عربى رافـض أدى إلى اثناء اسرائيل جزئياً بتعليق الأمر وتجميده إلى حين ، ودون الغائه كلية.

كما ينطلق هذا السيناريو من استمرارية النزاعات العربيـة العربية، وأن الطرف العربى هو المتلقى للتفاعلات الدولية والاقليمية، وليس فاعلاً فى هذه البيئة ، فى الوقت الذى تطرح القوى الدولية تأثيراتها بغير مقاومة محسوسة ، وهى بمثابة معطيات للموقف العربى ، كما أن الأقطار العربية فى حالة استمرار التبعيـة للقوى الخارجية المؤثرة على مواقفها . وهذا يسهم فى استمرار نهج التفاعل الحالى مع اسرائيل ، والاكتفاء بالعائد مهما كان محدوداً وضعيفاً من إدارة عملية التسوية ، كأفضل الخيارات ، منه او تم اختيار بديل يقوم على اتجاه عكسى .

وهذا السيناريو له صداه فى الواقع العملى، ويتفق إلى حد كبير مع الأوضاع القائمة، وقراءة الواقع بصورة موضوعيـة بعيداً عن الانحيازات أو عن المأمول فى أوضاع أخرى بديلة .

(٣) <u>السيناريو الثالث</u> :

وهو ما يمكن تسميته " بالسيناريو التنسيقى العربى فى مواجهة التشدد الاسرائيلى " . وهذا المشهد يقوم على استدراك الحالـة العربيـة ، وانهاء النزاعات العربية العربية ، واحداث المزيد من التنسيق العربى

"سياسياً واقتصادياً " ، وهو ما يمكن أن يسهم فى وقف حالة التدهور العربى ، ودعم المفاوض العربى ، ومواجهة الضغوط والتشدد الاسرائيليين . وقد عبر هذا السيناريو عن نفسه مؤقتاً فى مؤتمر القمة العربى الأخير الذى انعقد فى يونيه ١٩٩٦. حيث استهدف هذا المؤتمر احداث المصالحة العربية، ومواجهة التشدد الاسرائيلى فى ظل تطورات الأوضاع فى اسرائيل بنجاح نيتنياهو – زعيم الليكود، كرئيس للوزراء ، وبدء ترجمة إطار عام لكى يصبح العرب تكتلاً اقتصادياً باقرار منطقة التجارة العربية الحرة والتى ستدخل حيز التنفيذ الكامل وتدريجياً عبر عشر سنوات. وهذا السيناريو هو بمثابة انقاذ للموقف العربى، تمهيداً لسيناريو مستقبلى يقوم على التوحد العربى الشامل ، ومن خلاله يمكن استيعاب اسرائيل كاملاً وفرض السلام العربى . أما الوقت الحاضر فانه من الصعب تبنى سيناريوهات غير واقعية ، ولذلك فان السيناريو الأقرب لمعالجة الخلل القائم هو سيناريو التنسيق العربى لمحاولة وقف حالة فرض اسرائيل لسلامها ومنطقها وشروطها وهو ما يتم حدوثه حالياً فى وضع التجزئة .

وفى ضوء السيناريوهات الثلاث السابقة ، فان السيناريو الأكثر قبولاً هو الثالث الذى يقوم على التنسيق العربى للحيلولة دون استمرار الوضع الحالى الذى يقوم على ممارسة اسرائيل لضغوطها لفرض منطقها وسلامها . وإذا كان البعض يرى أن صور الصراع المحتملة لمواجهة الأوضاع الحالية تتعدد فى :

* العمل الفدائى والاشتباكات المحدودة .
* المعارك والموقعات المحدودة .
* الحرب الشاملة بين اسرائيل وبين بلد عربى أو أكثر .

إلا أننا نرى أن استمرار الضغوط الاسرائيلية ، وتصرفات اسرائيل الاستفزازية للعرب، قد يسهم فى تحويل مشهد التجزئه الحالى إلى مشهد التنسيق العربى . أى أن آلية التحول من سيناريو التجزئة إلى سيناريو التنسيق العربى ، تتركز فى استمرارية الاستفزاز الاسرائيلى للعرب مما يؤدى إلى استنفار همتهم ، وتعبئة مواردهم السياسية والاقتصادية، بل وتنسيق جهودهم لمواجهة هذا التحدى الاسرائيلى ، والذى من خلال استفزازاته سيؤدى إلى المزيد من اليقظة العربية .

وفى هذا الإطار يمكن طرح عدد من البدائل والخيارات تسهم فى تعميق وخلق السيناريو الثالث " التنسيق العربى " ، وهى :

(أ) تحريك الانتفاضة السلمية والتهديد بتحويلها إلى انتفاضة مسلحة. ولنذكر فى هذا الصدد أن هذا الانتفاضة الفلسطينية فى الأراضى المحتلة هى التى أجبرت اسرائيل على التغير فى موقفها ، وتحويل موقفها الرافض من عملية السلام ، إلى الدوران فى فلكها .

(ب) أعطاء الضوء الأخضر، ولو بصورة غير مباشرة ، لحزكة حماس فى اشعال وتصعيد عملياتها الفدائية داخل اسرائيل . وهذا يستلزم عدم ممارسة الضغوط عليها وحصارها كما هو حادث حالياً . بعبارة أخرى ، فانه يمكن التوظيف السياسى لنشاط حركة حماس .

(جـ) التهديد بالتراجع الفلسطينى عن تعديل ميثاق المنظمة ، الذى كان ينص على "إزالة اسرائيل تماماً " ، وهو ايحاء بالتهديد بخيار البديل العسكرى" ، والمقاومة المسلحة من الداخل وهو وضع أفضل مما كان حادث من قبل .

(د) التهديد بالاعلان الفلسطينى من جانب واحد ، باعلان الدولة الفلسطينية المستقلة، طالما أن اسرائيل لا تريد أن تنفذ إتفاقاتها وبرامجها الزمنية .

(هـ) تأجيل الاندفاع فى التطبيع الثقافى والفكرى ، والذى بدأه بعض المتحمسين من المثقفين المصريين . حيث أن المثقفين هم الطابور الأخير فى إدارة عملية التفاوض السلمى،وهم يمثلون بالتالى رصيداً استراتيجياً للقائد السياسى العربى وصناع القرار. ولذلك فان ما حدث فى " كوبنهاجن " مؤخراً ، حيث التقى عدد من المثقفين فى مصر مع نظرائهم فى اسرائيل، يعد تفريطاً فى أوراق التفاوض ليس له ما يبرره فى هذه المرحلة . ويكفى للتأكيد على ذلك : هو حالة الحصار الفكرى والثقافى حول اسرائيل ، تقود اسرائيل باستمرار إلى الشعور بحالة العزلة ، وهذا ما يتم فى مصر منذ التطبيع فى العلاقات بين الطرفين فى عام ١٩٧٩. وهذا ما اعترف به ساسة اسرائيل ، وسفرائها فى القاهرة .

(و) الربط بين التطبيع العربى والتزام اسرائيل بكل مراحل الاتفاقات، والانسحاب الكامل من الأراضى العربية المحتلة . وهذا يدعو إلى التراجع عن أية التزامات أو اتفاقات فى التطبيع الاقتصادى بين أى دولة عربية واسرائيل .

(ز) ضرورة الاتفاق العربى على استمرار مؤسسة القمة العربية، فى عقد اجتماعاتها، لزيادة فعاليتها ، وانعكاساتها الايجابية على أداء وفعالية الجامعة العربية . ويكفى الاشارة إلى أن مجرد اجتماع للقمة العربية ، فان الضغوط الدولية والاقليمية، وهيجان اسرائيل ، كافية لإدراك مدى أهمية هذه المؤسسة القمية .

وعلينا أن نفكر فى ضوء ما سبق ، فى المقولة التى يطرحها (توماس فريدمان) فى مقال بالنيويورك تايمز فى ١٩٩٧/١/١٩ وهى :

" الآن بعد نجاح الرأى العام الاسرائيلى فى توفير الاجماع على مبدأ الأرض مقابل السلام من أسفل إلى أعلى ، فان على العرب أن يوجدوا هذا الاجماع بالالزام أو بالجبر. أى اجماع على نفس القضية من أعلى إلى أسفل لأن عرفات وحسين ومبارك لن يستطيعوا الوفاء بالحد الأدنى من واجباتهم تجاه اسرائيل سواء كان بالتطبيع المخلص أو بقمع حقيقى للارهابيين الفلسطينيين ، إلا اذا بدأوا فى تنمية ورعاية زبائن مناصرين للعلاقات مع اسرائيل وأن البداية يجب أن تكون فى جماعات رجال الأعمال (البيزنس) ولكنها ينبغى أن تمتد إلى المثقفين والأكاديميين، ووسائل الأعلام وهذا كله من أعلى إلى أسفل بالجبر والاكراه.

<u>وأخيراً</u> :

فان تغييراً ما .. نتوقع حدوثه ، وأن التغيير الأقرب لادراكنا هو تنشيط فعاليات آلية التحول من سيناريو التجزئة إلى سيناريو التنسيق ، وهذا هو صمام الأمن العربى فى هذه المرحلة .

•• •• ••

المراجع

١ - د. أسامة الغزالى حرب ، مستقبل الصراع العربى الاسرائيلى ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٧.

٢ - لطفى الخولى ، " مستقبل الصراع العربى الاسرائيلى واحتمالاته المتوقعة حتى عام ٢٠٠٠ " ، المستقبل العربى ، السنة ٩ ، العدد ٩١ ، سبتمبر ١٩٨٦، ص ١٥١، وما بعدها .

٣ - د. وحيد عبد المجيد ، تسوية الصراع العربى الاسرائيلى بعد أزمة الخليج،كراسات استراتيجية ، عدد (٤) ، يوليو ١٩٩١، الأهرام ، القاهرة.

٤ - د. عبد العليم محمد وآخرون ، الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى : الفرص والمخاطر، كراسات استراتيجية ، عدد (١٨) ، نوفمبر ١٩٩٣ .

٥ - إبراهيم نافع وآخرون ، رؤية عالميه لمستقبل الشرق الأوسط ، الأهرام ، ١٩٩٢.

٦ - د. أحمد صدقى الدجانى ، " خمس سنوات على مدريد " ماذا لو أخفقت عملية السلام فى الشرق الأوسط " ، الاهرام ، ١٩٩٦/١٢/٣٠، وكذلك : " تشريح عملية السلام والنظر فى مسارها " ، الأهرام ١٩٩٧/١/١٦ .

7 - Tomas Freedman," Khalil Agreement", New York, 19 January 1997.

8 - Richard N.Haass, " The Middle East : No More Treaties", Foreign Affairs, september/ october, 1996, pp. 53 : 63.

الفصل العاشر
احتمالات حرب عربية اسرائيلية قادمة ومواقف القوى العظمى (*)

• كتبت هذه الدراسة فى صيف ١٩٨٩، ونشرت فى نشرة محدودة العدد باسم "دراسات" تصدر من الدار العربية للنشر والترجمة بالقاهرة، اغسطس ١٩٨٩م، ثم نشرت مع التطوير فى جريدة "القدس" الكويتية، عددى (٢٥،٢٤/ سبتمبر ١٩٨٩م).

مقدمة:

تشهد المنطقة العربية فى هذه الآونة عدداً من الظواهر، تشكل فى مجملها مناخاً جديداً يتعارض مع فترات سابقة عليه. بعبارة أخرى فإن مجمل الظواهر التى تمر بها المنطقة الآن، تجعل هذه الفترة تتميز عن غيرها من الفترات فى تاريخ المنطقة. فى نفس الوقت فإنه يمكن القول بأن هذه الظواهر تعكس مجموعة التطورات التى مرت وتمر بالمنطقة منذ عقدين من الزمان واكثر.

فعلى المستوى العربى شهدت فترة الستينات خاصة ما قبل ١٩٦٧ مدا قومياً، بينما فى السبعينات شهدت المنطقة انحساراً للمد القومى، وتراجعا عن التكتل العربى خاصة بعد الانتصار العربى فى عام ١٩٧٣م. وتصاعد هذا الانحسار القومى إلى قمته، عندما أعلن الرئيس السادات عند زيارته للقدس، واسرائيل فى نوفمبر ١٩٧٧م، وبعقد الصلح المنفرد مع اسرائيل، وبمباركة الولايات المتحدة فى سبتمبر ١٩٧٨م، بما يعرف باتفاقيات كامب ديفيد. ولكن برحيل السادات بدأت المنطقة تشهد نوعاً من الهدوء والاسترخاء تمهيداً لايجاد المناخ المناسب الذى يؤدى إلى اعادة بناء الصف العربى، وتشكيل الموقف الجماعى للأطراف العربية. وتمر الأحداث فى الثمانينات حيث الاجتياح الاسرائيلى للبنان فى عام ١٩٨٢م مع صمت عربى عامة، ومصرى خاصة، وكذلك فى عام ١٩٨٥م، وقبل أن يمضى عام ١٩٨٧م، وعلى وجه التحديد فى ديسمبر شهدت المنطقة انفجار " الثورة الفلسطينية " فى الأراضى المحتلة، والتى تتصاعد يوماً بعد يوم ، وبدون انقطاع منذ تفجرها حتى الآن وقد غيرت هذه الثورة طبيعة المنطقة تغييراً جذرياً، جعل الأطراف العربية تراجع مواقفها فعقدت ثلاث جلسات قمة عربية فى أقل من عام ونصف تمخض آخرها عن عودة مصر لممارسة دورها ضمن اشقائها العرب. وكذلك بدأت اسرائيل تراجع موقفها

وهى تغير باستمرار مخططاتها فى مواجهة هذه الثورة الفلسطينية التى لم يتوقعها القادة الاسرائيليون. كذلك برزت الولايات المتحدة وهى تسعى بشكل واضح لاحتواء هذه الثورة ان لم يكن اجهاضها، وذلك بطرح افكار مختلفة على الأطراف العربية المعينة علاوة على ذلك، التطور الذى حدث فى الموقف الأوربى خاصة أوربا الغربية، حيث ظهر أكثر ايجابية عن ذى قبل تجاه القضية الفلسطينية وليس طبقاً لما نتمناه بالطبع.

- وفى ضوء هذه المقدمة السريعة يثور تساؤل هام هو: هل يمكن توقع اندلاع حرب جديدة بين العرب واسرائيل فى ظل هذه الظروف والتطورات الحادثة فى المنطقة العربية ؟ ومع التسليم بقيامها واندلاعها، ما هى طبيعة موقف الدول الكبرى خاصة الدولتين العظميين ازاء هذه الحرب المتوقعة ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات يمكن تناول عدة نقاط بالتحليل فى المباحث التالية.

** ** **

المبحث الأول

الحرب العربية الاسرائيلية القادمة

لاشك فى ان حرباً عربية اسرائيلية يمكن ان تندلع فى أى وقت قادم. والمسألة لا تتعلق إلا بالوقت والظروف، والملابسات، والمناخ، والدوافع. ويمكن طرح تصورات كثيرة فى هذا المقام. فهل ستبدأ اسرائيل هذه الحرب كما حدث فى حرب يونيه ١٩٦٧، أم ستشعلها أطراف عربية كما حدث فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م؟ وإذا كان من المتوقع أن يبدأ الطرف الاسرائيلى هذه الحرب أولاً، فما هى الدوافع للمبادرة بذلك؟ وهل اعادة بقية الأراضى العربية المحتلة يمكن أن تكون دافعاً لقيام عدد من الدول العربية بالمبادرة بهذه الحرب مع اسرائيل أم أن هناك دوافع تتعلق بتحجيم اسرائيل وتقليص دورها تمهيداً لزوالها من خريطة المنطقة العربية؟

ثم أن مما يثار فى هذا الصدد: هل يمكن تصور شكل هذه الحرب القادمة؟ وهل ستختلف هذه الحرب عن الحروب السابقة عليها فى أعوام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ ، ٦٩-١٩٧٠ ، ١٩٧٣ ، ١٩٨٢م . أم ستكون امتداداً لها شكلاً ومضموناً ؟

أسئلة كثيرة برزت فى الأفق، بشكل مكثف فى السنوات الأخيرة وبخاصة مع اندلاع "الثورة الفلسطينية" فى الأراضى المحتلة. وهناك كثير من المحللين الاسرائيليين فى الصحف العبرية داخل اسرائيل، بدأوا يطرحون خلال العامين الماضيين موضوع الحرب القادمة. وهناك نماذج كثيرة لذلك، إلى حد نقل بعض الصحف ووكالات الأنباء العالمية لما دار فى ندوات مغلقة داخل اسرائيل، بحث فيها شكل الحرب القادمة وثمنها المتوقع، وغير ذلك من موضوعات.

ويمكن الاشارة فى هذا الصدد إلى نموذج للعقيد "ابراهام روتم"، الذى أصدر كتاباً بعنوان: "الحرب القادمة.. القوى التى ستستخدم وثمنها بالنسبة للطرفين"، والصادر عن معهد فان ليبر بالقدس عام ١٩٨٧م.

أما على مستوى النخبة العربية الحاكمة فإنه ليس هناك حديث يذكر على لسان واحد منهم عن حرب قادمة مع اسرائيل، بينماهناك بعض الاجتهادات العربية على مستوى النخبة المثقفة تتحدث من بعيد غالباً، ومن قريب فى قليل من الأحيان عن حرب قادمة بين العرب واسرائيل، وتزداد التوقعات كثيراً بقيام اسرائيل بهذه الحرب[١]. وتؤكد تقارير مركز الدارسات الاستراتيجية فى تل ابيب استعدادات اسرائيل للحرب القادمة مع العرب، وتحدد ميعاد تلك الحرب حول عام ١٩٩٥م ، وهناك خطة معينة قد بدأ فى تنفيذها للإعداد لميدان المعركة[٢].

ويشير التقرير النهائى لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربى، إلى أنه من المتوقع ان تكون نماذج الحرب المقبلة قريبة الشبه من الحروب الماضية، إذا ما افترضنا الاستقرار الحالى بالموقف الدولى، وضعف الموقف العربى، الذى يضمن التوازن الاستراتيجى لمصلحة اسرائيل، وهذا يدفع العرب إلى الصورة الأولى من صور الصراع المسلح ، بالقيام بأعمال فدائية واشتباكات محدودة داخل الأراضى المحتلة أو على الحدود اللبنانية الاسرائيلية، وداخل الشريط الملاصق لهذه الحدود، بينما تعتمد اسرائيل اساساً على العمليات العسكرية المحدودة، لقهر هذه الأعمال ، وتدمير الجهود النووية العربية قبل أن تصل إلى مرحلة العمل ،

---

(١) يذكر فى هذا الصدد مناقشات عديدة حول توقع حرب قادمة فى جلسات المؤتمر الثانى للعلوم السياسية بالقاهرة فى الفترة من ٥ - ٨ ديسمبر ١٩٨٨، بكلية الاقتصاد - جامعة القاهرة .

(٢) أنظر: د. حامد ربيع، مصر والحرب القادمة (الحلقة الأولى)، جريدة الوفد، القاهرة، ١٩٨٩/٦/٢٩ ، ص ٥

واجهاض الجهود العربية لتحسين التوازن الاستراتيجى لمصلحتها مع اسرائيل ، ويرتبط تحول الصراع المسلح إلى حالة الحرب الشاملة بتغير الميزان الاستراتيجى لمصلحة العرب أو ظهور بوادر هذا التغير، ويمكن حصر حالات هذا التغيرفى الحالات الاتيه:-

١ - استمرار وتوسع الانتفاضة الفلسطينية وحصولها على دعم مادى ومعنوى وعسكرى.

٢ - انضمام منظمة التحرير الفلسطينية وحدها أو مع الأردن إلى سوريا، مع تصاعد القوة السورية إلى درجة التوازن الاستراتيجى بينها وبين اسرائيل.

٣ - تصاعد القوة العسكرية السورية إلى درجة تجعلها تعتقد انه يمكنها القيام بعمل عسكرى يحقق استعادة الجولان على الأقل، أو تجعل اسرائيل تعتقد باقتراب سوريا من هذه القدرة، مما يحملها على الاقدام على ضربة استباقية.

٤ - الوصول إلى تسوية مقبولة للصراع العراقى - الايرانى، وحدوث تنسيق عسكرى جدى بين كل من العراق وسوريا.

٥ - حدوث تقارب مصرى - سورى، أو مصرى - سورى ليبى.

٦ - اشتداد الأزمة الاقتصادية فى اسرائيل، إلى درجة - ترى اسرائيل معها ضرورة قيامها بعمل عسكرى[1].

---

(١) د. خير الدين حسيب وآخرين ، مستقبل الأمة العربية ، التحديات والخيارات ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٨، ص ٢١٤، ٢١٥ .

كما يشير نفس التقرير ايضاً إلى أن أغلب هذه التغيرات يرتبط بحدوث تغيرات مهمة فى العلاقات بين الأقطار العربية، التى تسودها - اختلافات حادة بما يتجه إلى التعاون الفعال. وبذا تتوافر لدى اسرائيل كل المعلومات والزمن اللازم للتحضير للحرب وبدئها وادارتها قبل أن يصبح هذا التغيير واقعياً، له آثاره على مسرح العمليات.

ويرتبط نجاح العرب فى تحقيق المبادأة أو الاحتفاظ بها، بقدرتهم على اخفاء هذا التعاون حتى وقت قريب من وقت بدء أعمال القتال، ثم بقدرة القيادات العسكرية العربية على تحقيق متطلبات المبادأة والاحتفاظ بها ، واجبار القوات الاسرائيلية على التصرف وفقاً لخططها. وعلى العموم فإن هذا الأمر بعيد الاحتمال مع امتداد المشهد الحالى للوطن العربى، إلا أن جولة خاسرة بما تحتمله من نتائج ، يمكن أن تكون دافعاً أكبر إلى التعاون العسكرى الفعلى بين الأقطار العربية ، وبالتالى تغيير الميزان الاستراتيجى لمصلحتها[١].

ويؤكد التقرير على ارتباط أى حرب مقبلة بالقوى العالمية الأخرى، سواء أثناء التحضير أم ادارة الحرب. كما أن استمرار الحرب وتوقعها سيرتبط بدرجة كبيرة، برغبة وقدرة القوى الكبرى على دعم حلفائها من العرب. ولكنه ليس متوقعاً أن تمد الولايات المتحدة الامريكية قطراً عربياً بالسلاح، اثناء صراعه مع اسرائيل. وعلى العكس، من المتوقع أن تمد امريكا اسرائيل بالسلاح فى تلك الحالة، والأمر إذن يرتبط بدرجة كبيرة بقدرة الاتحاد السوفيتى على الاستجابة لمطالب اصدقائه العرب بالحجم والنوع المناسب ، وفى توقيت مناسب. وهنا تبرز

(١) مرجع سابق ، ص ٢١٥ .

أهمية الصناعة العسكرية العربية، من الوفاء باحتياجات الأقطار وتحرك الدول العربية نحو مزيد من التعاون والتجمع والوحدة. علاوة على العامل الاساسى وهو تحرير القرار السياسى والعسكرى والاقتصادى من ارادة ونفوذ الولايات المتحدة[1].

وتشير دراسة أخرى عن مستقبل الصراع العربى الاسرائيلى واحتمالاته المتوقعة، حتى عام (٢٠٠٠)، إلى ثلاث سيناريوهات متصورة: الأول يقوم على أساس استمرار الأوضاع على ما هى عليه دون تغير وذلك بشكل نسبى. والثانى يقوم على أساس تغيير الأوضاع فى المنطقة وعلاقات القوى المحلية والاقليمية والدولية، فى اتجاه تحقيق المزيد من القوة للتحالف الامريكى الاسرائيلى. وهذا الافتراض يطرح احتمالين: الأول حسم الصراع الفلسطينى - الاسرائيلى لصالح المشروع الصهيونى الخاص، وذلك يقطع الطريق لسنوات قادمة، وليس فقط على قيام صراع عربى اسرائيلى من جديد ، بل على النهوض القومى للأمة العربية كلها. والاحتمال الثانى: ينبثق مما قد ينجم من تصاعد الضغوط والقهر على البلدان العربية وشعوبها، من جانب التحالف الأمريكى الاسرائيلى، من انفجارات فوضوية دموية - بمنطقة استراتيجية - غنية بالبترول ومدججة بالسلاح، الأمر الذى يدفع كلاً من القوتين العظميين إلى التدخل. وقد يكون هذا التدخل بداية لنوع من تلك الحروب الاقليمية الواسعة، وتشارك فيها الدولتان العظمتان بقواها المتطورة ، جنباً إلى جنب مع القوى المحلية ، وإذا كان هذا الوضع - فى هذا

---

(١) مرجع سابق ، ص ٢١٦، وقد أشير أيضاً إلى ذلك فى : د. اسامة الغزالى ، مستقبل الصراع العربى - الاسرائيلى ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٧، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

الاحتمال – لا يستلزم تغييراً فى العلاقات الامريكية الاسرائيلية القائمة، فإنه بالضرورة سوف يتطلب تغييرات جوهرية فى العلاقات السوفيتية العربية عن ما هى عليه حالياً. أما السيناريو الثالث فينطلق من افتراض تغيير الأوضاع فى المنطقة، وعلاقات القوى المحلية والاقليمية والدولية فى الصراع، لصالح العرب من ناحية ومن ناحية أخرى الاتحاد السوفيتى بدرجة ما. ورغم أن هذا الاحتمال هو أضعف الاحتمالات النسبية، إلا أنه لا يمكن استبعاده. وفى اطار هذا الاحتمال الثالث فإن مسار الصراع يمكن أن يشق على الأرجح، طريقاً نحو تحقيق أهدافه التكتيكية المرحلية وحسب، وفقاً للمضمون العربى ونعنى به، اقامة الدولة الوطنية للشعب الفسطينى، تحت قيادة منظمة التحرير، وذلك من خلال المؤتمر الدولى، مع الاعتراف باسرائيل كدولة فى اطار حدود ما قبل يونيو ١٩٦٧. الأمر الذى ينتقل بالصراع إلى مرحلة جديدة ذات أبعاد ووسائل مختلفة، حيث أنه سوف يدور – لأول مرة – بين دولة فلسطينية وبين دولة اسرائيلية صهيونية حول امكانية اقامة دولة ديموقراطية علمانية واحدة لكل فلسطين(١).

والواقع أن التصورات للمستقبل كثيرة ، ولكن السؤال يظل عن مدى توافر امكانية تحقيق السيناريو الذى يدفع إلى وقوع حرب جديدة بين العرب واسرائيل.

والرأى عندنا أن مسألة وقوع حرب جديدة ستأتى فى إطار ظروف الحرب السابقة عليها وآخرها عام ١٩٨٢م وترتبط بعدد من المتغيرات الأساسية مثل :

---

(١) لطفى الخولى ، " مستقبل الصراع العربى الاسرائيلى واحتمالاته المتوقعه حتى عام ٢٠٠٠ " . الطليعه ، القاهرة ، العدد نوفمبر ١٩٨٦ ، ص ٥ : ٢٥ .

١ - ما هو مقدار فجوة القوة بين الطرف الاسرائيلى والأطراف العربية المعنية ، خاصة الأقطار المحيطة باسرائيل ؟ أى إلى من يميل الميزان العسكرى والاستراتيجى ؟ لاسرائيل أم للعرب وبأى مقدار ؟ وهل هذه الفجوة تمثل دافعاً للحرب ، وأساساً لتوقع النتيجة ؟

٢ - ما هى الدوافع التى تقود الطرف الاسرائيلى أو العربى إلى بدء حرب جديدة ؟ فالطرف الاسرائيلى قد تدفعه إلى حرب جديدة، استمرار الثورة الفلسطينية فى الأرض المحتلة واستمرار وضع منظمة التحرير فى تصديها للقضية فى المحافل الدولية، واستمرار المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى داخل اسرائيل، واصرار اسرائيل على اجهاض أفكار السلام العربية التى أضحت تطرح بكثافة فى كافة الدوائر الدبلوماسية، أو لتحطيم تطور دورى فى المنطقة العربية لدى بعض الأقطار؟ أو.. أو.. الخ.

أما الطرف العربى ، فالواقع أنه على المستوى الرسمى قد أسقط الخيار العسكرى من الصراع العربى الاسرائيلى. لكن هناك بعض الدول العربية تبنى استراتيجيتها العسكرية على أساس أن هناك حرباً قادمة.

٣ - ما هى الحدود الفاصلة بين ارادات الدول الأطراف فى الحرب القادمة، وبين ارادات الدول الكبرى التى تحاول التحكم دائماً فى أى صراع اقليمى؟

وعلى أية حال فإن حرباً قادمة يمكن أن تقع، ولكن ليس بالحتمية، خاصة إذا تعززت جهود السلام المبذولة فى الوقت الحاضر. والمسألة لدينا كامنة فى فجوة القوة ، فإذا كانت لصالح اسرائيل مثلاً فى الجانب العسكرى كما هو حادث الآن باحتمال كبير ، فإن توقع قيامها بحرب يعد أمراً متوقعاً أما إذا كانت الفجوة

لغير صالحها فإنها ستتردد فى القيام بهذه الحرب. كما أن قياس قوة الدول المتصارعة قبل بدء الحرب يساعدنا مسبقاً إلى حد كبير، على توقع نتيجة الحرب، وباحتمال كبير. وان كنا نميل إلى توقع عملية عسكرية فى الوقت الحاضر لاسرائيل تتسم بالمحدودية لتغطى فشلها فى مواجهة الانتفاضة، ولمواجهة الحصار المفروض عليها دولياً باسم السلام لاقامة الدولة الفلسطينية فى الضفة والقطاع، وللخروج من دائرة المشاكل الحادة التى تعيشها اسرائيل فى الوقت الحاضر اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً. وربما تأتى هذه العملية العسكرية المحدودة فى مواجهة سوريا أو الأردن. وقد تكون هذه العملية العسكرية من جانب سوريا تحديداً، وذلك فى ضوء التحسن فى العلاقات العربية والسعى نحو وقف التردى فى الموقف العربى.

وعلى أى حال فالاحتمال وارد ولكنها سوف لا تكون شاملة، ولكن قد تكون حرباً عسكرية محدودة المهمة، ومحدودة الانتشار. والسؤال: ماذا سيكون عليه موقف القوتين العظميين عند نشوب حرب أو عملية عسكرية جديدة. هذا ما ستوضحه النقاط التالية.

** ** **

١٤

المبحث الثانى

طبيعة الموقف الأمريكى ازاء الصراع العربى الاسرائيلى

يتحدد الموقف الأمريكى بصفة عامة ازاء الصراع العربى الاسرائيلى، على ضوء الاستراتيجية الأمريكية الكونية، أى أنه يتحدد فى اطار المصالح القومية للولايات المتحدة، ويشير د. وليم كواندت فى دراسة له عن وجود ثلاثة دوافع أساسية وراء السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط هى:(١)

أ - طبيعة العلاقة الأمريكية السوفيتية على المستوى العالمى، فالولايات المتحدة تنظر إلى منطقة الشرق الأوسط منذ الحرب العالمية الثانية من خلال التنافس بينها وبين الاتحاد السوفيتى، ولذلك تأثرت النظرة إلى الشرق الأوسط بطبيعة العلاقة، فهى فى فترة الحرب الباردة، تختلف عنها فى حالة الوفاق.

ب - الالتزام الأمريكى تجاه اسرائيل، وهو عنصر يتسم بالثبات، وان كان عُرضة للتغير، وهذا منذ عام ١٩٤٧م عند التصويت على التقسيم ثم الاعتراض الفورى عام ١٩٤٨م ومنذ ذلك الوقت لم يراجع أى رئيس أمريكى أو أى سياسى مرموق هذا الالتزام الأساسى. وكان الجدل دائماً فى مدى التأييد وتفاصيل السياسة. ولم يتناول أبداً الالتزام تجاه اسرائيل من حيث استمراريته أو عدمها.

جـ - ضمان الحصول على النفط بالنسبة لها، ولحلفائها فى اليابان وأوربا الغربية بصفة خاصة.

---

٢ (١) د. وليم كوانت ، : " السياسة الأمريكية والسعى نحو السلام " مجلة شئون عربية ، عدد (٢٧) ، مايو ١٩٨٣ ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

ويؤكد تقرير حديث صادر عن معهد واشنطن هذه الأهداف أو المصالح الأمريكية الدائمة وهى كما ورد فى التقرير:(١)

أ - الحفاظ على بقاء وأمن اسرائيل الحليف الاستراتيجي ورفيق الديموقراطية.

ب - دعم رخاء الدول العربية المعتدلة وعلى رأسها مصر-السعودية - الأردن.

جـ - كفالة حصول الغرب على بترول الشرق الأوسط.

د - منع سيطرة السوفييت أو التطرف على المنطقة.

كذلك يؤكد الرئيس الأمريكى السابق ريتشارد نيكسون فى كتاب حديث صدر له هذه الحقائق بقوله:

" لقد ضمنا بقاء دولة اسرائيل منذ عام ١٩٤٨.. ولقد أمرت فى حرب ١٩٧٣ باقامة جسر جوى ضخم للمعدات والمواد التى مكنت اسرائيل من وقف تقدم سوريا ومصر على جبهتين. وكتبت جولدا مائير رئيسة وزراء أسرائيل فى مذكراتها خلال حرب كيبور تقول: "لقد كان الجسر أمواله قيمة لا تقدر. فهو لم يرفع معنوياتنا فحسب، بل أفاد أيضاً فى جعل انتصارنا أمراً ممكناً ". ان التزامنا ببقاء اسرائيل التزام عميق، فنحن لسنا حلفاء رسميين، وإنما يربطنا معاً شئ أقوى من أى قصاصة ورق: أنه التزام معنوى، أنه التزام لم يخل به أى رئيس فى الماضى أبداً، وسيفى به كل رئيس فى المستقبل باخلاص، أن أمريكا لن تسمح أبداً

---

(١) تقرير صادر عن معهد واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية ، اعداد وترجمة : ضياء الحاجرى ، مجلة المصور ، أعداد : ١٩٨٩/٤/٢١ ، ١٩٨٩/٤/٢٨ ، ١٩٨٩/٥/٥ . والجزء المبينم نشر بالحلقة الثانية : ٨٩/٤/٢٨، ص ٢٩ .

لأعداء اسرائيل الذين أقسموا على النيل منها، بتحقيق هدفهم فى تدميرها. أن هناك أسباباً قوية غير الأسباب المعنوية لمساندة الولايات المتحدة لاسرائيل، فهى الدولة الديموقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط، والأمة الوحيدة التى يتحدى سكانها اليابان باعتبارهم الأفضل تعليماً فى العالم(١).

وتشير دراسة علمية هامة إلى أن هناك عدداً من الأهداف الداخلية والخارجية للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربى الصهيونى(٢)، فبالنسبة للأهداف الداخلية فإنها تتحدد فى :

- جماعات المصالح والضغط (جماعات ضغط صهيونى قوية فى مقابل جماعات مصالح عربية ضعيفة).
- مصالح لشركات النفط فى العالم العربى وهى شركات لها تأثير فعال فى سياسة الولايات المتحدة.
- أجهزة الاعلام التى تسيطر عليها القوى الصهيونية.
- الرأى العام الأمريكى وموقفه من الصراع العربى الصهيونى، فلاسرائيل تايد كبير وتعاطف غير محدود داخل قطاعات الرأى العام الأمريكى.

وبالنسبة للأهداف الخارجية فهى تتحدد فيما يلى:

- الصراع بين الدولتين العظميين، حيث أن المنطقة تشكل موقعاً تنافسياً مع السوفييت.

---

(١) ريتشارد نيكسون ، ١٩٩٩ نصر بلا حرب ، ترجمة مركز الاهرام للترجمة والنشر ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، ١٩٨٨، ص ٢٩٠ ، ٢٩١.

(٢) نظيرة محمود ، جماعات الضغط الصهيونى ، وصنع القرار السياسى الأمريكى فى الشرق الأوسط بعد ١٩٦٧ ، رسالة ماجستير ، معهد البحث والدراسات العربية ، بغداد ، (ب.ت) .

- مصالح الولايات المتحدة الاقتصادية فى المنطقة (بترول، ... إلخ).
- العلاقات الأمريكية مع أطراف الصراع، حيث توجد علاقة خاصة باسرائيل، وبعض علاقات الصداقة مع عدة دول عربية أخرى تتسم بالإعتدال.

وفى تأكيد آخر لتقرير أمريكى مشهور يسمى تقرير بروكنجز ورد أن مصالح الولايات المتحدة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط هى تأكيد السلام وعدم تهديده عالمياً، وتجنب المواجهة مع السوفييت، وضمان تدفق البترول، وضمان استمرار الحجم الكبير للتجارة الخارجية مع دول المنطقة، وتأكيد مكانة الولايات المتحدة عالمياً بالرغبة الصادقة لها فى اقرار السلام عالمياً، وبالتالى فى منطقة الشرق الأوسط[١].

وفوق هذا وذاك فإن هناك كثيراً من الأساتذة والمهتمين بهذا الموضوع أشاروا إلى الأهداف الحقيقية التى تعكس المصالح الحقيقية للولايات المتحدة فى المنطقة العربية، والتى يتحدد بناء عليها موقفها من الصراع العربى الصهيونى. وهى لم تخرج عن الأهداف السابق توضيحها، ضمان ضخ البترول، وعدم اعطاء الفرصة للاتحاد السوفيتى للمد فى المنطقة مما يهدد مصالحها ونفوذ كبير على المستوى العالمى من خلال الوجود الفعلى فى المنطقة، كما أن المنطقة تمثل سوقاً رائجة لمنتجات الغرب بصناعاته، والولايات المتحدة بصفة خاصة... إلخ[٢].

---

(١) النص الكامل لتقرير بروكنجز ، السلام فى الشرق الأوسط ، مجلة أكتوبر ، ترجمة عبد العظيم حماد ، عدد ١٩٧٨/٥/١٤ ، ص٢٣ : ٢٥ ، ص٤٨، ٤٩ .

(٢) د. حامد ربيع ، ومؤلفاته العديدة ، ومن أهمها : نظرية الأمن القومى العربى ، والتطور المعاصر للتعامل الدولى فى منطقة الشرق الأوسط ، القاهرة ، دار الموقف العربى ، ١٩٨٤ ص ١١٢ : ١١٧ .

ومن هذا السياق فإنه من المؤكد أن الولايات المتحدة لها مصالح هامة فى المنطقة، وضمان وجود اسرائيل يمثل الأساس لضمان مصالحها أصلاً فى المنطقة، وبالتالى فإن استقرار المنطقة وعدم تعريضها لتوترات قد تصل لحروب بين العرب واسرائيل، تمثل أهمية كبرى لها. وقد أشار الرئيس الأمريكى السابق "كارتر" إلى أن حرب أكتوبر قد اندلعت نتيجة للتسويف فى التسوية. وهذا يعنى أن تأجيل تسوية الصراع العربى الاسرائيلى فى ضوء المتغيرات الجديدة فى المنطقة كاستمرار الثورة الفلسطينية فى الأرض المحتلة، واعادة الروح للتضامن العربى، وغير ذلك، قد يؤدى إلى اشتعال حرب جديدة فى المنطقة وهذا بالتأكيد سيكون له آثار سلبية ضارة على المصالح الأمريكية فى المنطقة.

ويمكن تحليل طبيعة التعامل الأمريكى مع المنطقة، وبالتالى مع الصراع العربى الاسرائيلى ، وذلك فى اطار عدة مراحل أساسية كل مرحلة لها ملامحها وهى :

- **<u>المرحلة الأولى: وهى السابقة على حرب يونيه ١٩٦٧:</u>**

وهى المرحلة التى كان المد القومى العربى فيها بارزاً، ومجابهة الأمبريالية العالمية والصهيونية، والغرب بصفة عامة والولايات المتحدة بصفة خاصة، واضحة، كما ظهر دور لدول عدم الانحياز فى مواجهة العملاقين وبزعامة جمال عبد الناصر كأحد ثلاثة زعماء قادوا إلى هذا الاتجاه وأسسوه وهم (نهروتيتو وجمال عبد الناصر). كما ظهرت مقاومة لمحاولة فرض الغرب للأحلاف على المنطقة العربية، وقد نجح العرب بزعامة عبد الناصر فى تقويض هذه المحاولة. وفى هذا الإطار دعمت الولايات المتحدة اسرائيل بشكل كبير، ونسقت معها فى ظل رئاسة الرئيس الأمريكى جونسون، من أجل شن حرب اسرائيلية - بمساندة أمريكا - على الدول العربية المحيطة خاصة مصر وسوريا لكسر شوكتها وفرض ارادة اسرائيل وبالتالى الهيمنة الأمريكية على المنطقة. ٢

وكما هو واضح أن هذه الفترة اتسمت بالعداء الشديد من جانب الولايات المتحدة تجاه المنطقة العربية، مما دفعها إلى محاولة استخدام القوة بتوظيف اسرائيل للقيام بالمهمة لضرب الأنظمة العربية القائدة.

- **المرحلة الثانية: وهى تمثل الفترة بين ١٩٦٧ وحتى حرب١٩٧٣:**

ويرى البعض أن هذه الفترة انطلقت من عدة اعتبارات فى تعامل الولايات المتحدة مع المنطقة، فقد جمعت بين الاعتبار المثالى والمصلحى، وكان لاعتبار وجود تجمع يهودى فى الولايات المتحدة تأثير كبير فى السياسة الأمريكية تجاه المنطقة، علاوة على اعتبار بروز التوجه الغربى فى السياسة الاسرائيلية. وكذا تصاعد دور جماعات الضغط الصهيونى على صانع السياسة الأمريكية فى المنطقة[1].

وقد كان لهذه الاعتبارات وغيرها تأثير كبير فى زيادة دعم الولايات المتحدة لاسرائيل، وتشجيعها على السياسة العدوانية ضد العرب خاصة بعد انتصار اسرائيل فى يونيه ١٩٦٧، وقد ترجمت هذه السياسة وتوجت فى ذلك الجسر الأمريكى لاسرائيل فى حرب ١٩٧٣م لانقاذها من هزيمة مؤكدة بعد الهجوم المصرى السورى عليها فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣م.

- **المرحلة الثالثة: وهى تمثل الفترة بين ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٨١:**

حيث كان لحرب أكتوبر والنتيجة الايجابية التى تمخضت عنها لصالح العرب، وأزمة الطاقة وفرض الحظر البترولى على الولايات المتحدة والغرب والحلفاء، وغير ذلك، تأثير على الموقف الأمريكى تجاه المنطقة فقد ظهرت ارادة العرب الذين استطاعوا كسر الهيمنة الاسرائيلية والأمريكية على المنطقة، فإضطرت الولايات المتحدة إلى تغيير نمط تعاملها من العداء الكامل إلى تخفيف

---

(١) نظيرة محمود ، مرجع سابق ، ص ١١٦ ، ١٣٨ .

حدة هذا العداء والسعى لمحاولة احتواء المنطقة وأطراف الصراع، وهو ما عرف بمنهج الخطوة - خطوة، والذى ارتبط باسم كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة آنذاك، وذلك بهدف تحقيق تسوية جزئية وبشكل تدريجى بين العرب واسرائيل وشجع هذا الاتجاه الجديد الرئيس السادات على الإعلان عن رغبته فى زيارة القدس بتنسيق سابق مع الولايات المتحدة، وما تمخض عن ذلك من احتواء الصراع العربى الإسرائيلى خاصة على الجانب المصرى - الإسرائيلى، حيث نتج عن ذلك اتفاقيتا كامب ديفيد فى ١٩٧٨ والمعاهدة المصرية الإسرائيلية فى ١٩٧٩. ثم تولى ريجان رئاسة الولايات المتحدة فى بداية عام ١٩٨١م، لتبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ العلاقة الأمريكية بالمنطقة.

وقد توصلت دراسة هامة(١) حول طبيعة هذه المرحلة منذ سنة ١٩٧٣ وما بعدها إلى :

- أن جميع القرارات الصادرة عن السلطتين التشريعية والتنفيذية فى الولايات المتحدة حيال اسرائيل وفرت لها معيناً لا ينضب من الدعم، لا يضاهيه أى دعم حصلت عليه اسرائيل سابقاً من حيث النوع والكم، علاوة على امتداده لجميع المجالات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية.
- **أن جماعة الضغط الصهيونى اكتسبت خلال هذه المرحلة مزيداً من القوة والنفوذ أهلها لممارسة ضغطها لابتزاز الكونجرس والإدارة الأمريكية. وترك هذا بصماته علي تلك القرارات فى المنطقة سواء ما يمس منها اسرائيل أو الأقطار العربية.**
- **أن العلاقة بين اسرائيل وجماعة الضغط تواصلت وتعززت بشكل لم يسبق له مثيل خلال هذه المرحلة، فاسرائيل بدأت تشير علناً إلى وجود جماعات الضغط .**

---

(١) نظيرة محمود ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ : ١٣٣ .

- تطوير وسائل وأساليب عمل جماعات الضغط الصهيوني مما أكسبها فعالية ونجاحاً، وذلك كرد فعل لاهتزاز مكانة اسرائيل كقوة عسكرية لا تقهر بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م.
- تولى ادارة ريجان مقاليد الحكم فى الولايات المتحدة، حيث أن هذه الإدارة - بمواقفها الداعمة لاسرائيل بشكل يفوق كل تصور- سهلت على اللوبى الصهيونى، مهمة التأثير داخل الكونجرس من أجل تحرير القرارات التى تصدر لصالح اسرائيل.

وفى هذه الفترة استطاع اللوبى الصهيونى أن يكسب دعماً لاسرائيل من أجل خدمة أهداف السياسة الخارجية الإسرائيلية، وظهر ذلك فى دوره فى اقرار قانون جاكسون عام ١٩٧٤م، الذىينص على إلغاء جميع التسهيلات التجارية مع السوفييت والكتلة الشرقية، إلا إذا اتخذ السوفييت اجراءات لهجرة اليهود، وتطور العلاقات مع تركيا فى ضوء ضغوط اللوبى، وغير ذلك.

وهكذا اتسمت هذه الفترة بالهدوء النسبى الظاهرى فى الموقف الأمريكى تجاه المنطقة، وذلك بخفيف حدة العداء للعرب، وقد كان هذا رد فعل لحرب أكتوبر ١٩٧٣م، وأزمة البترول، حيث لعبت الولايات المتحدة - منفردة - دوراً مباشراً فى التسوية بين مصر واسرائيل بفض الاشتباك الأول، والثانى، وبين سوريا واسرائيل بعمل اتفاقية لفض الاشتباك بين القوات فى الجولان، ولم يتم انجاز الاتفاقية الثانية، وانتهت هذه الفترة بالدور المباشر فى انجاز اتفاقيتى كامب ديفيد والاتفاقية المصرية الاسرائيلية[1].

---

(١) يمكن الرجوع إلى كتابنا بعنوان : السياسة الخارجية لمصر ٧٠-١٩٨١، مكتبة مدبولى، القاهرة ، ١٩٨٧ ، حيث تم تحليل قرار السادات بزيارة القدس وطبيعة العلاقات المصرية الأمريكية فى تلك الفترة .

- **المرحلة الرابعة: وهى فترة الرئيس ريجان (٨١ - ١٩٨٨):**

وهى الفترة التى اتسمت بالتشدد الأمريكى تجاه الأطراف العربية يقابل ذلك الدعم الواضح لاسرائيل، وذلك منذ بداية تولى الرئيس ريجان للحكم، ومما يدل على ذلك، اعلان الاتفاق الاستراتيجي الأمريكى الاسرائيلى فى ١٩٨١/١١/٣٠م ، وصدر بيان مكمل له فى ١٩٨٣/١٢/٢م (أى بعد عامين). وقد تضمن هذا الاتفاق نقاطاً عشراً تؤكد فى مجملها الترابط العضوى بين الولايات المتحدة واسرائيل فى مواجهة العرب. وهذه النقاط هى:

١ - تكثيف التعاون الاستراتيجي فى مجالات الأمن والاستخبارات وتبادل المعلومات الحربية.

٢ - توفير الغطاء الجوى الاسرائيلى للقوات الأمريكية التى تدعى للعمل فى المنطقة.

٣ - تنسيق العمل بين القيادتين السياسية والعسكرية للدولتين فى مجال التخطيط الاستراتيجي للترتيب للأعمال التعرضية الضرورية لمواجهة ما قد تتعرض له منطقة الشرق الأوسط وقارة أفريقيا من أخطار داخلية أو خارجية.

٤ - تطوير أماكن الاعاشة والإيواء والخدمات الادارية والفنية داخل القواعد العسكرية الاسرائيلية البرية والبحرية والجوية، وتجهيزها لاستقبال عناصر قوة الانتشار السريع الأمريكية، علاوة على بذل الجهود الكفيلة بتسهيل دفعها إلى مناطق التهديد المحتملة بالسرعة الواجبة، وبأقصى درجات الكفاءة.

٥ - عقد وادارة مشروعات التدريب التعبوى الاستراتيجية، والمناورات المشتركة التى تهيمن عليها قيادة مشتركة اسرائيلية وأمريكية.

٦ - **تنمية قدرات وطاقات الصيانة والاصلاح الاسرائيلية لخدمة القوات الجوية والبحرية الأمريكية التى تدعى للعمل والبقاء فى المنطقة وذلك بالكم والكيف المناسب لحجم الأعمال الحربية المتوقعة.**

٧ - **تخزين المعدات والأسلحة والذخائر وقطع الغيار الأمريكية داخل مستودعات ومناطق تكديس استراتيجية يتم انتشارها طبقاً لخطة مشتركة متفق عليها، بما يخدم مصالح البلدين المتحالفين على أفضل الوجوه، ويؤمن لهما الاتزان الاستراتيجى واستمرار الاعاشة طيلة اشتعال القتال فى المنطقة.**

٨ - وضع المرافئ الاسرائيلية على البحرين المتوسط والأحمر تحت تصرف الأسطول البحرى الأمريكى.

٩ - التعاون المشترك فى تصنيع السلاح وقطع الغيار داخل إسرائيل والاعتماد على الخبرة والموارد الأولية الأمريكية . ومداومة التطوير بمساعدة الوجود العسكرى الأمريكى والتقنية الغربية المتقدمة .

١٠- زيادة الدعم الاقتصادى والمعونات والهبات والقروض طويلة الأجل لمعاونة إسرائيل على النهوض بنصيبها من هذه الاتفاقية وانجاز ما سوف يقع عليها من أعباء جديدة بسببها(١) .

والواقع أن الولايات المتحدة أرخت لحقبة جديدة من تعاملها مع المنطقة والصراع العربى الاسرائيلى ، بتدعيم ارتباطها بإسرائيل والعكس، وذلك عن طريق اعلان اتفاق استراتيجى يشمل بنود تقوى من الموقف التفاوضى لاسرائيل.

---

(١) أنظر ، لواء ركن حسن البدرى ، " فى مواجهة اتفاقية التعاون الاستراتيجى بين أمريكا واسرائيل " مجلة الدفاع العربى ، ديسمبر ١٩٨١، ص ٤٠-٤١، وأيضاً : فتحى عثمان : الصراع العربى - الصهيونى والقوتان العظميان ، المنار ، أكتوبر ١٩٨٥، ص ٤٢: ٥٩.

فى نفس الوقت وبعد صدور هذا الاتفاق ، نجد الولايات المتحدة تعلن عن مبادرة ريجان فى أول سبتمبر ١٩٨٢ التى تضمنت عدداً من البنود[١] التى تدعم أمن إسرائيل . وتتجاهل حق تقرير المصير للفلسطينيين ، وتتجاهل منظمة التحرير الفلسطينية .

وبغض النظر عن دوافع صدور الاتفاق الاستراتيجى[٢] ، وعن دوافع مبادرة ريجان ، فانه يتضح أن الولايات المتحدة لم تعد تصلح لدور الطرف الثالث والوحيد ، فى تسوية الصراع العربى الاسرائيلى ، لأنها اختارت أن تكون فى موقف العداء المستتر ، حتى تم توقيع الاتفاق ، لتصبح فى عداء علنى ، للعرب وهى بالتالى طرف فى الصراع[٣] .

علاوة على أن إسرائيل اكتسبت دعماً جديداً ، ظهر فى العلاقات السوفيتية الاسرائيلية ، والتى تتحدد بناء على قضية اليهود ، والعلاقات بين موسكو وواشنطن ، وذلك فى ضوء المتغيرات الدولية الجديدة والتقاء جورباتشوف وريجان أربع مرات قبل أن يرحل ريجان عن الحكم فى نهاية عام ١٩٨٨، كما حصلت على دعم أمريكى فى أفريقيا خدم سياستها وأهدافها هناك ، كعودة العلاقات مع زائير عام ١٩٨٤ ، وكذلك استيراد زائير للسلاح الإسرائيلى ، وعودة العلاقات الاسرائيلية مع ساحل العاج .

---

(١) الأهرام ، ١٩٨٢/٩/٢ .

(٢) أنظر ، السيد يس ، " الاتفاق ونظرية الأمن القومى ، " المنار ، عدد (١)، يناير ١٩٨٥ ص ٣٢ : ٤١ .

(٣) د. سامى منصور ، " الاتفاق الأمريكى - الاسرائيلى ، والأقطار العربية"، المنار ، يناير ١٩٨٥، ص ٥٤ : ٦١ ، (ص ٥٥).

وأهم سمة فى هذه الفترة هى خروج الولايات المتحدة من دور الوسيط إلى دور الطرف المشارك فى الصراع كاسرائيل تماماً ، وذلك نتيجة الدعم غير المحدود وبشكل متزايد أكثر من أى فترة سابقة . الأمر الذى جعل لفكرة عقد المؤتمر الدولى والوجود السوفيتى فى المنطقة ، والدور الأوربى إلى حد ما، والطرح العربى لحل الصراع العربى الاسرائيلى ، صدى دولياً ، وذلك فى مواجهة انفراد أمريكى بحل الصراع وعمل التسويات فى السبعينيات ، أو بعبارة أخرى ، اذا كانت فترة الستينيات اتسمت بكون الولايات المتحدة طرفاً فى الصراع، بدفعها إسرائيل لحرب يونيه ١٩٦٧ ، فان السبعينيات شهدت تحولاً أمريكياً بعد أزمة الطاقة والانتصار العربى فى أكتوبر وذلك بطرح المشاركة فى عمل التسويات بين الأطراف فى ظل غياب للدور السوفيتى ، إلا أن فترة الثمانينيات كانت أقرب إلى الستينيات ، وذلك نتيجة تغير الدور الأمريكى ليصبح طرفاً بدلاً من كونه وسيطاً لحل الصراع . وهذا ما يؤكد عدم صدق نوايا الولايات المتحدة ، حتى عندما كان دورها وسيطاً ، لأنها كانت تستهدف بذلك محاولة احتواء المنطقة ، والهيمنة عليها بكل أطرافها . ولكنها لم تنجح فى ذلك بشكل كامل .

كما أن العداء الأمريكى يتضح مع ختام فترة ريجان الثانية فى نهاية عام ١٩٨٨ برفض الولايات المتحدة منح تأشيرة الدخول للزعيم الفلسطينى ياسر عرفات لالقاء خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، مما جعل الجمعية العامة تقرر عقد الجلسة الخاصة بمناقشة قضية فلسطين بالمقر الثانى لها فى جنيف. ولم يكن قرار الولايات المتحدة التالى بقبول اجراء حوار مع المنظمة فى تونس ، إلا لمحاولة امتصاص الغضب العالمى والعربى تجاهها ، وبالتالى محاولة احتواء الموقف الفلسطينى لصالح اسرائيل وان كان بشكل غير مباشر .

وعلى أى حال ، وفى السياق السابق لطبيعة موقف الولايات المتحـدة ازاء الصراع العربى الإسرائيلى ، من خلال تعدد المراحـل ، تثـور قضيـة الاحتمـالات المتوقعة لموقف الولايات المتحدة ، عند قيام حرب جديدة بين العـرب وإسـرائيل ، بغض النظر عن البادئ بالحرب ، وهذا ما سيتم التعرض له فيما بعد .

** ** **

٢

المبحث الثالث

طبيعة الموقف السوفيتى ازاء الصراع العربى الإسرائيلى

كـان ولايـزال حلمـاً للاتحـاد السـوفيتى أن تكـون منطقـة الشـرق الأوسـط منطقة نفوذ سوفيتيه . ومن ثم تطورت علاقة الاتحاد السوفيتى بالمنطقـة فـى عدة مراحل ، وبالتالى علاقته بالصراع العربى الاسرائيلى ، وكما سبق القول فان فهـم طبيعة علاقة الدول الكبرى بالمنطقة ، يمكن تحليله من خلال علاقتها ومواقفها من الصراع العربى الاسرائيلى .

فقد فضل الاتحاد السـوفيتى الحـل السـلمى ، للصـراع العربـى الإسـرائيلى بصفة عامة . ومع ذلك فان فترة ما قبل ١٩٦٧ ومنذ عـام ١٩٥٥، حيث تـم عقد صفقة الأسلحة التشيكية مع مصر بموافقة موسكو، وتمويـل السد العـالى بـدلاً مـن صندوق النقد الدولى والولايات المتحدة وما تلا ذلـك مـن مواقـف مسـاندة للطـرف العربى ، وتكفى الاشارة إلى الانذار السوفيتى الشهير أثناء الاعتـداء الثلاثـى علـى مصر فى عام ١٩٥٦ لما كان له من تأثير على مجريـات الأمـور بعد ذلك حيث زاد النفوذ والوجود السوفيتى فى المنطقة عموماً .

ومع وقوع هزيمة ١٩٦٧، كان للاتحاد السوفيتى وقفة حاسمة فى مسـاندة العرب عمومـاً ، وبخاصـة مصـر وسـوريا ، حيـث سـاهم فـى اعـادة بنـاء القـوات المسلحة لكلتيهما فى فـترة وجـيزة . واستمر الوضـع هكـذا حتـى طرحـت مبـادرة روجرز عام ١٩٧٠ ، بعد حرب الاستنزاف ١٩٧٠/٦٩ والتـى خسـر فيهـا العدو الاسرائيلى خسائر فادحة ، وساهم السوفييت فـى صمـود الطـرف العربـى (مصـر وسوريا) بشكل واضح .

وبوفاة جمال عبد الناصر بدأت حقبة جديدة ، فى تعامل السوفييت مع المنطقة ، ولم يقلل عقد معاهدة الصداقة بين الاتحاد السوفيتى ومصر فى مايو ١٩٧١ ، من حالة الشك ، التى وجدت فى العلاقات المصرية السوفيتية ، فى أوائل السبعينيات لأسباب عديدة فى تلك الفترة(١) خاصة وقد ظهرت متغيرات جديدة ، من أهمها لقاءات القمة السوفيتية الأمريكية فى مايو ١٩٧٢، كبداية لسياسة الوفاق بين العملاقين. ومما لوحظ فى هذه الفترة أن الاتحاد السوفيتى يفضل الحل السلمى للصراع ، حرصاً على سياسة الانفراج الدولى، وتجنباً لتدخل امريكى مباشر ، أو وقوع هزيمة عربية ساحقة تكون أشد خطورة من هزيمة يونية ١٩٦٧ . وأن السلوك السوفيتى تجاه حرب أكتوبر ، كان مقيداً بالاعتبارات السابقة ، مما حال دون اتساع نطاق الحرب وانكسار الجانب العربى، وأن الموقف السوفيتى تجاه شروط التسوية السلمية للصراع بعد حرب أكتوبر ، كان محوره ضرورة تحقيق الحد الأدنى للمطالب العربية واشتراكه فى عملية التسوية(٢).

ومما يلاحظ أن السوفييت يرون أن الصراع العربى الاسرائيلى ، يرتبط بالصراع الأمريكى السوفيتى ، وهو جزء من الصراع ضد الامبريالية والعدوان الإسرائيلى والصهيونية ويمكن أن نستنتج الموقف المعلن للاتحاد السوفيتى من

(١) يمكن الرجوع إلى تفاصيل هذه الفترة فى كتابنا : السياسة الخارجية لمصر ٧٠-١٩٨١، مرجع سابق ، خاصة الجزء المتعلق بقرار انهاء مهمة الخبراء السوفييت ، والذى يعكس تطورات العلاقة السوفيتية المصرية فى تلك الفترة .

(٢) يمكن الرجوع إلى : أحمد فارس عبد المنعم ، " الاتحاد السوفيتى والصراع العربى الاسرائيلى منذ حرب تشرين ١٩٧٣ "، شئون عربية، عدد (٢٧) ، مايو ١٩٨٣، ص ٦٠ : ٧٠، وكذلك د. حامد ربيع ، نظرية الأمن القومى العربى ، مرجع سابق ، ص ١١٧ : ١٣١ .

التسوية فى الشرق الأوسط بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣[١] . مما قاله وزير الخارجيه السوفيتى فى مؤتمر جنيف ديسمبر ١٩٧٣ ، حيث حدد ملامـح المفهوم السوفيتى للسلام فى الشرق الأوسط ، وهى : (انسحاب إسرائيلى من جميع الأراضـى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، وضمان أمن أسرائيل ، وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وضرورة اشتراك الاتحاد السوفيتى فى مفاوضات التسوية ، وفى ضمانات تنفيذها) .

وكما اتضح بعد ذلك فقد التقت رغبتا الرئيس المصرى أنور السادات والرئيس الأمريكى فى إبعاد الاتحاد السوفيتى عن التسوية وتراجع الدور السوفيتى نتيجة أزمة العلاقات السوفيتية المصرية ، وعوامل أخرى كثيرة . وتطورت العلاقات ، إلى أن صدر البيان السوفيتى الأمريكى بعد مباحثات سيروس فانس ، وجروميكو (وزيرا خارجية البلدين) فى أول أكتوبر ١٩٧٧، أشارا فيه إلى : أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يعتقدان أنه يجب التوصل إلى تسوية شاملة لمشكلة الشرق الأوسط ، والى حل كافة المسائل المتعلقة بالتسوية ، بما فى ذلك المشاكل الرئيسية ، كانسحاب القوات الاسرائيلية من أراض احتلت فى حرب ١٩٦٧ ، وحل القضية الفلسطينية ، بما فى ذلك ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وانهاء حالة الحرب ، واقامة علاقات سلمية عادية ، على أساس الاعتراف المتبادل بمبادئ السيادة والوحدة الاقليمية ، والاستقلال السياسى لدى المنطقة. كما تعتقد الدولتان ، أن السبيل الوحيد لايجاد حل أساسى لكافة جوانب مشكلة الشرق الأوسط ككل ، هو المفاوضات داخل مؤتمر جنيف الذى سيقعد

---

(١) أنظر الدراستين الهامتين اللتين تحللان هذه النقطة ، محمد سيد أحمد ، حول الاستراتيجية السوفيتية فى الشرق الأوسط ، السياسة الدولية ، عدد ٣٨، اكتوبر ١٩٧٤ ، وذلك رداً على دراسة : د. وحيد رأفت بعنوان : " الاستراتيجية السوفيتية فى الشرق الأوسط " ، السياسة الدولية ، عدد ٣٧ ، يوليو ١٩٧٤ .

خصيصاً لهذا الغرض ، والذى يشترك فى أعماله ممثلو كافة الأطراف المعنية بالنزاع ، بما فى ذلك ممثلو الشعب الفلسطينى[١] .

ولم تمر عدة أسابيع ، حتى وقعت أحداث زيارة الرئيس السادات للقدس، وما ترتب عليها من وجود كامل للولايات المتحدة فى المنطقة ، يقابله اختفاء كامل إلى حد كبير للاتحاد السوفيتى وقد تحدد الموقف السوفيتى ازاء هذه الزيارة بالرفض، مع مساندة جبهة الصمود والتصدى العربية ، لمقاومة آثار زيارة القدس. واستمرت الأوضاع على هذا الحال حتى نهاية أوائل الثمانينيات حيث أعلن الزعيم السوفيتى بريجينيف مبادرة لحل مشكلة الشرق الأوسط تقوم على ما يلى :

- يضم المؤتمر الدولى جميع الأطراف المعنية : العرب بمن فيهم منظمة التحرير ، وإسرائيل والدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن .
- يسعى المؤتمر إلى اخراج القضية من جمودها ، ويستهدف الوصول إلى حل واقعى وعادل وشامل لها .
- يجب أن تتضمن شروط احلال السلام انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى لاقامة دولته ، وتأمين سلامة وسيادة جميع دول المنطقة بما فيها إسرائيل[٢] .

وكان قد سبق اعلان هذه المبادره ، ابرام معاهدة صداقة وتعاون بين الاتحاد السوفيتى وسوريا فى ١٩٨٠/١٠/٨ ، تضمنت عدة نقاط هامة هى :

---

(١) جريدة الأهرام ، القاهرة ، ١٩٧٧/١٠/٢ .

(٢) جريدة الأهرام ، القاهرة ، ١٩٨١/٢/٢٤ .

- أنهما قررا ما أسمياه بتوجيه ضربة قاصمة ، لسياسة العدوان ، التى تنفذها الامبريالية وعملاؤها ، والاستمرار فى الكفاح ضد الاستعمار القديم والجديد والعنصرية بكل أشكالها وصيغها بما فيها الصهيونية .
- ادانة الاستعمار والعنصرية والصهيونية ، كأحد أشكال وتطبيقات العنصرية ، وتأكيد مواصلة الكفاح بلا ملل ضدهما .
- تبادل الآراء والتشاور حول العلاقات الثنائية ، والمشكلات الدولية ذات المصلحة المشتركة لكلا الطرفين،وفى مقدمتها مشكلات الشرق الأوسط ، والتشاور لازالة التهديد الناشئ اذا تعرض سلام أو أمن أحد الطرفين للخطر .
- التعهد بعدم إبرام أى اتفاق يتنافى مع هذه المعاهدة .
- مدة نفاذ المعاهدة عشرون عاماً[١] .

وبدأت العلاقات السوفيتية بالمنطقة تأخذ مسارًا جديدًا لإعادة العلاقات مع مصر ، وتدعم بالتالى موقفها ووجودها فى المنطقة مرة ثانية. وبدأت التأكيدات من جانب مصر بضرورة اشتراك السوفييت فى أية تسوية .

وفى هذه الفترة أعلن الاتحاد السوفيتى خطة لحل النزاع العربى الصهيونى فى ١٩٨٤/٧/٢٩ ، من ست نقاط هى :

١ - الانسحاب الاسرائيلى من الأراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، وذلك يتطلب اعلان حدود ثابتة بين اسرائيل وجيرانها العرب ، ووجوب إزالة المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى المحتلة .

٢ - الاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره ، وإقامة دولته المستقلة تحت قيادة منظمة التحرير ، الممثل الشرعى والوحيد للشعب

---

(١) شهريات السياسة الدولية ، عدد يناير ١٩٨١ .

الفلسطيني ، ومن شأن هذه الدولة فيما بعد أن تقرر علاقاتها مع البلدان المجاورة ، بما في ذلك احتمال تكوين اتحاد كونفدرالي معها .

٣ – اعادة القدس الشرقية إلى العرب ، وضمها إلى الدولة الفلسطينية ، مع ضمان حرية الوصول لكل أتباع الديانات الثلاث إلى الأماكن المقدسة .

٤ – ضمان حق جميع دول المنطقة في الوجود والتنمية ، في جو من الأمن والاستقلال .

٥ – يتعين على جميع الأطراف المعنية بما فيها اسرائيل والدولة الفلسطينية ، التعهد باحترام سيادة واستقلال ووحدة أراضي الدول الأخرى .

٦ – وضع ضمانات دولية للتسوية ، وهو الدور الذي يمكن أن يعهد به إلى الدول صاحبة العضوية الدائمة في مجلس الأمن ، أو دول المجلس في مجملها .

ولتنفيذ ذلك ، فان الاتحاد السوفيتي رأى ضرورة عقد مؤتمر دولي تحت رعاية الأمم المتحدة ترأسه الدولتان العظميان ، على أن تحضره اسرائيل والدول العربية المحيطة بها ومنظمة التحرير كعضو كامل العضوية[١].

ومع مجيء جورباتشوف إلى الحكم في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٥، وبدء لقاءات القمة مع الولايات المتحدة ، في ظل مناخ وفاق جديد ، بدأت نظرة الاتحاد السوفيتي تتجه نحو ضرورة تكثيف الجهود تجاه حل النزاعات الاقليمية ، وفي مقدمتها الصراع العربي الاسرائيلي ، ومما يذكر هنا أن الاتحاد السوفيتي أكد مواقفه السابقه تجاه هذا الصراع ، ففي أبريل ١٩٨٨ أشار جورباتشوف في حديثه مع عرفات إلى ضرورة البدء في الاعداد للتفاوض ، والتوصل إلى الحل السلمي،

---

(١) جريدة الأهرام ، نقلاً عن وكالة تاس السوفيتية ، ١٩٨٤/٧/٣٠.

والانتقال من مرحلة النضال المسلح ، إلى مرحلة التسوية السلمية التفاوضية ، وحدد المبادئ الأساسية في هذا الصدد بثلاث هي :

١ - حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، الذي يستهدف في النهاية اعلان قيام الدولة الفلسطينية المستقلة ، وقيام اتحاد كونفرالي مع الأردن .
٢ - حق اسرائيل في العيش في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها .
٣ - قيام علاقات سلام بين إسرائيل وكل دول المنطقة ، من خلال مؤتمر دولي وبانسحاب إسرائيل من الأراضي التي تحتلها[١] .

وفي زيارة لوزير خارجية الاتحاد السوفيتي للقاهرة ، أشار في خطاب له في ٢٣ فبراير ١٩٨٩ : أن حل النزاع العربي الاسرائيلي يتطلب :

١ - حوار بين الأطراف من خلال الوسطاء ، وتجرى المباحثات بمساعدتهم ، وفي بعض الأحيان تتحمل منظمة الأمم المتحدة دور الوسيط ، وفي أحيان أخرى تقوم مجموعات من البلدان بهذا الدور أو دول بمفردها .
٢ - أن انسحاب القوات لطرف من أطراف النزاع ، يقابله التزامات سياسية تعاهدية تؤمن مصالحه .
٣ - استخدام نظام الضمانات ، كأن تقوم الدول الكبرى بضمان تنفيذ الاتفاقيات، وكذلك منظمة الأمم المتحدة ، التي تقوم بالمراقبة على مراعاة الأطراف لشروط الاتفاقيات الخاصة بالتسوية[٢] .

---

(١) جريدة الأهرام ، ١٩٨٩/٢/٢١ ، تقرير اخباري ، ص ٥ .
(٢) من خطاب شيفرنادزه (وزير خارجية الاتحاد السوفيتي) في ١٩٨٩/٢/٢٣، مطبوعات وكالة نوفوستي للأنباء في القاهرة ، ص ١١.

كما أنه فى نفس الوقت يشير قائلاً : " ان الزمن فى الشرق الأوسط لا يعمل لصالح السلام بل للحرب . والحفاظ على الوضع الحالى لا يؤدى إلى الطمأنينة بل إلى الانفجار " ، وهذا يؤكد مدى استشعار السوفييت للخطر القادم ، لذلك فهم يسعون إلى حل الصراع بسرعة(١) .

ومع ذلك فهم – أى السوفييت – يحاولون استبعاد الخيار العسكرى فى حل الصراع العربى الاسرائيلى ، لتعارض ذلك مع الوفاق الجديد مع الأمريكيين ، ولتعارض ذلك مع مصلحة الاتحاد السوفيتى نفسه . ومن ثم فان السوفييت يركزون دائماً ، على أن مناخ الوفاق الجديد ، يمكن أن يساعد إلى حد كبير ، فى حل النزاعات الاقليمية ، وفى مقدمتها النزاع العربى الاسرائيلى ولذلك فانه يلاحظ بدء الحوار السوفيتى الاسرائيلى وتبادل الزيارات ، وتبادل فتح القنصليات وهناك محاولات ضغط من الولايات المتحدة بشأن هجرة اليهود السوفييت ، ونجحوا فى ذلك . وقبل السوفييت هذا ، علاوة على محاولات اعادة العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وإسرائيل . وهناك مساع كثيرة فى هذا الصدد لم تنجح حتى الآن . وان كان فى تقديرنا أن عودتها مرهونة بقبول إسرائيل لبدء المفاوضات ، وقبول فكرة المؤتمر الدولى لحل القضية سلميًا .

وفى تعليق لريتشارد نيكسون فى كتابه سالف الذكر على طبيعة الموقف السوفيتى تجاه الصراع العربى الاسرائيلى ان زعماء الكريملين استغلوا النزاع على حساب مصالحنا كأمريكيين فى المنطقة ، وتستطيع الولايات المتحدة – وينبغى لها–أن تلعب دوراً بناء فى المساعدة على حل النزاع فى الشرق الأوسط ، فكما قال هنرى كيسنجر : فان الاتحاد السوفيتى يستطيع مساعدة أمم الشرق الأوسط ، على شن الحرب ، لكن الولايات المتحدة هى الأمة الوحيدة التى تستطيع أن تساعدها فى صنع السلام "(٢) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥ .

(٢) ريتشارد نيكسون ، مرجع سابق ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

كما يقول أيضاً : " ان اسرائيل لو استمرت فى احتلالها العسكرى واستيطانها التدريجى لهذه الأراضى ، فانها ستوحد العرب فى النهاية فى العداء لها، وتزيد فرص موسكو فى دخول المنطقة ، أكثر من أى وقت مضى . فلقد أبقى الرئيس ايزنهاور الاتحاد السوفيتى بعيداً عن الشرق الأوسط فى ١٩٥٦ ، ١٩٥٨ ، وفعلت أنا الشىء نفسه فى ١٩٧٣ . لكن الآن ، وقد أصبحت الولايات المتحدة لا تحظى بالتفوق النووى ، فإنه من المستحيل عملياً ، ابقاء السوفييت بعيداً إذا نشبت حرب أخرى فى الشرق الأوسط [١].

" ويؤكد كاتب إسرائيلى بان منطقة الشرق الأوسط لاتزال مجالاً للتنافس الحقيقى بين الدولتين العظميين ، على الرغم من الانسحاب السوفيتى من أفغانستان "[٢] . وفى تقرير حديث صادر عن معهد واشنطن ، عن أبعاد الاستراتيجية الأمريكية الجديدة لحل نزاع الشرق الأوسط حول دور موسكو ما تراه واشنطن : بأنه يجب على أمريكا ألا تتوقع مساعدة سوفيتية جوهرية فى حل الصراع العربى الإسرائيلى ، وأن استبعاد السوفييت صعب ، ولكن لابد من تحديد الشروط الأمريكية للمشاركة السوفيتية ، مثل ضرورة كبح جماح سوريا ، بالحد من امدادها بالأسلحة السوفيتية المتقدمة ، وابداء التأييد السوفيتى لأمن اسرائيل، باعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة وغيرها ، وبذل جهد مع سوريا والمنطقة تجاه الاعتدال ، وتغيير أسلوب الاتحاد السوفيتى فى الاقتراع فى الأمم المتحدة ، حيث يساند حالياً الدول العربية المتشددة فى جميع القضايا ضد إسرائيل[٣] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩٤ .

(٢) د. دورى جولد ، النظرية الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط بعد انسحاب السوفييت من أفغانستان ، المصدر : سككيراه حود شيت (سبتمبر ١٩٨٨)، ترجمة يوسف خله.

(٣) تقرير معهد واشنطن ، مرجع سابق ، المصدر ، ١٩٨٩/٥/٥، ص٦٢،٦٣.

وخلاصة الأمر ازاء طبيعة الموقف السوفيتى تجاه المنطقة والصراع العربى الاسرائيلى : أنه قد اتسم بالثبات النسبى ، وأن تأثيره يتوقف على وجوده الفعلى فى المنطقة. وأن غيابه فى السبعينيات بفعل عوامل بعيدة عنه بعض الشئ، كانت وراء انفراد الولايات المتحدة بالمنطقة والاسهام فى تسوية جزئية بين مصر واسرائيل، خاصة بعد مبادرة السادات ، بزيارة اسرائيل . أما فى الوقت الحاضر ، وبعد توازن وجوده فى المنطقة ، وفى ضوء متغيرات التقارب العربى ، والوفاق العالمى الجديد بين السوفييت والأمريكيين ، فان مسألة تصور انفراد الولايات المتحدة مرة أخرى بالمنطقة ، كما حدث من قبل ، أصبح أمراً مشكوكاً فيه إلى حد كبير ، وأشرنا إليه من آراء ، فى هذا الصدد ، بدعم هذا التصور .

أما عن موقفه ازاء حرب عربية اسرائيلية جديدة محتمل وقوعها ، فهو ما سنتناوله فى نقطة تالية .

** ** **

المبحث الرابع
طبيعة الموقف الأوربى

لاشك أن الحديث عن تاريخ طبيعة العلاقة بين الأوربيين وبين المنطقة والصراع الدائر فيها. أمر يكاد يكون معروفاً ، حيث أن الأصل فى الأمر مرده إلى هؤلاء ، ولكن ما يعنينا فى هذا الصدد ، هو ذلك الاهتمام الأوربى الذى ظهر خاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، وأزمة الطاقة . وهو ما جعل وزراء خارجية دول السوق الأوربية فى ٦ نوفمبر ١٩٧٣ ، يصدرون أول بيان لهم طالبوا فيه إسرائيل ، بوضع نهاية لاحتلالها للأراضى العربية المحتلة ، منذ يونيه ١٩٦٧، وضرورة أخذ الحقوق المشروعة للفلسطينيين فى الاعتبار عند اقامة سلام عادل ونهائى فى الشرق الأوسط .

وتتالت البيانات بعد ذلك فى ٩ يونيه ١٩٧٧، وبيان البندقية فى ١٩٨٠/٦/١٣، ثم بيان لوكسمبورج فى ديسمبر ١٩٨٠ والذى أشار إلى ضرورة اقامة دولة فلسطينية مستقلة ، وغير ذلك .

ثم ما أسفر عنه المجلس الوزارى لدول السوق الأوربية المشتركة فى ديسمبر الماضى (١٩٨٨) من تشكيل لجنة ثلاثية ، من وزراء خارجية أسبانيا، واليونان ، وفرنسا ، عرف باسم " ترويكا مدريد " لزيارة الدول المعنية ، واجراء اتصالات مع أطراف النزاع العربى الإسرائيلى ، امتدادا لجهود سابقة لتقريب وجهات النظر ، ودفع جهود السلام ، والسعى نحو عقد المؤتمر الدولى .

وكذلك ما أعلنه مؤتمر قمة الدول الأوربية الذى انعقد فى مدريد فى الاسبوع الاخير من يونيه الماضى واصدر بياناً فى ١٩٨٩/٦/٢٨ تضمن ضرورة اشتراك منظمة التحرير اشتراكاً كاملاً فى عملية سلام الشرق الأوسط وذلك ضمن

المؤتمر الدولى المزمع عقده ، مع إدانة إسرائيل لممارساتها العميقة ضد سكان الأراضى المحتلة ، وضرورة وضع حد لهذه السياسة .

ولكن الذى يعنينا هنا ، ازاء هذه الجهود الأوربية هو : ماهية المغزى الحقيقى لهذه الجهود ، وحدود الدور الأوربى بصفة عامة .

ومن جانبنا ، نرى أنه ليس هناك مجال للشك ، بأن لدول أوربا الغربية مصالح متعددة ، اقتصادية وسياسية وأمنية وغيرها فى المنطقة ، وأنه يعنيها بالدرجة الأولى ، أمن واستقرار هذه البقعة من العالم. ومن ثم فان المبادرة التى تطرحها وتبذل ازائها الجهود تأتى فى اطار هذا البُعد المصلحى . والدرس الذى استوعبته أوربا منذ حرب أكتوبر ، وما تمخض عنه ، من أزمة الطاقة ، خير دليل على ذلك .

ومن ناحية أخرى ، فان هناك رغبة أوربية جماعية فى ضرورة ممارسة دور سياسى عالمى نشيط ومشترك ، وذلك فى اطار التمهيد لوحدة أوربا فى ١٩٩٢، وهذا يتأتى من خلال استثمار القضية الفلسطينية ، للتنسيق فيما بين الدول الأوربية ، لاعلان سياسة خارجية نشيطة ومشتركة ، وذلك تأكيداً للوثيقة الفريدة " The Single Act " التى أصبحت المجموعة الأوربية بموجبها ، شريكاً كاملاً فى جميع التحركات ، على مستوى السياسة الخارجية ، وهذا ما تؤكده ضرورة التنسيق فيما بين الدول الأوربية ، للخروج عن الإطار الاقتصادى ، الى ما هو أكثر من ذلك ، من أبعاد سياسية واستراتيجية .

ومن ناحية ثالثة ، فان دول المجموعة الأوربية ، (الاثنى عشر) ، وهى ترغب فى ممارسة دور سياسى مشترك ، وهى مقبلة على عام اعلان الوحدة الأوربية ، فانها تريد أن يكون لها مكان تحت الشمس فى النظام العالمى ، وذلك بمنافسة العملاقين ، وعدم اتاحة الفرصة أو بالتحديد، عدم ترك المجال لهما ، فى

الانفراد بالمشكلات الاقليمية والعالمية ، وخاصة نزاع " الشرق الأوسط ". وقد أكد ذلك الرئيس الفرنسى ميتران قائلاً : " انى أحذر من خطورة ترك عملية السلام فى الشرق الأوسط فى أيدى القوتين العظميين فقط " . وذلك فى تصريح له فى ٢٣ فبراير الماضى .

كما أشار رئيس وفد مجموعة الاتصال ، التابعة للمجموعة الأوربية البرلمانية (ميشيل مارتينز) قائلاً فى ١١ يناير الماضى إلى " أن أوربا ترى أن الوقت قد حان لعمل شئ محدد ، لتحقيق السلام فى المنطقة كما ترغب فى ألا تنفرد الدولتان العظميان ، بعملية السلام فى الشرق الأوسط ، وأن يعمل الجميع سوياً لتحقيق هذا السلام .

أما ما يتعلق بحدود هذا الدور ، فان السؤال الذى يثار هنا هو : هل هناك علاقة بين هذا الدور وبين الدور الأمريكى ؟ ، بعبارة أخرى ، هل هناك تنسيق بين الطرفين أم لا ؟ أى هل يتحرك الأوربيون باستقلالية عن الولايات المتحدة فى هذه الآونة ؟ والأسئلة كثيرة ومتداعية ازاء هذا . ولكن يبدو فى الأفق أن هناك تبايناً فى المواقف بين دول المجموعة الأوربية وبين الولايات المتحدة ، فالملاحظ أن المجموعة الأوربية أقرت المؤتمر الدولى والاعتراف بالدولة الفلسطينية، ضمن قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى ، بينما الولايات المتحدة ترى أن المؤتمر الدولى، أحد الحلول ولا توافق عليه بصفة نهائية . وقد عبر أحد كبار المسئولين البريطانيين فى حديث له عن ذلك قائلاً : " ان من المفارقات العجيبة ، أننا نعمل وننسق مع الولايات المتحدة من أجل التوصل إلى تسوية ، ولكن مواقفنا متباينة، على العكس ، فليس هناك تنسيق فى المواقف مع موسكو، ولكن وجهات النظر تكاد تكون متطابقة .

وعلى الرغم مـن هـذا التبـاين الشكلى ، بيـن الموقـف الأوربـى والموقـف الأمريكى ، إلا نه فى تقديرنا لا يعدو كونه من المتناقضـات الثانويـة ، وليـس مـن التناقضات الجوهرية . ويكفى أن نفهم أن الدور الأوربى رغم ايجابيته فـى الوقت الحاضر ، إلا أنه لم يأت نتاجاً لمبادرة أوربية خالصة ، بل أتـى بنـاء علـى تنـازل عربى من جانب منظمة التحرير ، أو بناء على مبادرة فلسطينية . كمـا أنـه علـى الرغم مما يبدو أنه ايجابى ، إلا أن حدود تأثيره ترتبط إلى حد كبير بمدى التنسيق مع الولايات المتحدة ، وهذا مـا يؤكده عدم امتـلاك المجموعـة الأوربيـة ، لقدرة التـأثير علـى الأطـراف المعنيـة ، وخاصـة الطـرف الإسـرائيلى ، وعدم امتلاكهـا لامكانيات الضغط بما يساعد على إيجاد حلول إيجابية عملية .

ولذلك فان خلاصة الأمر ، أن الواقع التـاريخى للـدور الأوربـى ، خاصـة منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣، يرتبط بمـا يمكـن أن نسـميه ، نظريـة " مـلء الفـراغ ": للقائد الغربى ، ممثلاً فـى الولايـات المتحـدة ، فـى أوقـات الانتخابـات الأمريكيـة ، حيث يضعف تأثير الدور الأمريكى ، بالدور الأوربى ينشط جداً هذه الآونة، وذلك لاعداد المسرح لدور أمريكى قادم ، مع رئيس أمريكى جديد. ومـن هنـا ، فـأفضل تسمية للدور الأوربى ، على الرغم مما يبدو من ايجابيته انـه دور " الدوبلـير" فـى اطـار توزيع الأدوار بين أوربا الغربية والولايات المتحدة ، ضماناً لمصالح النظـام الرأسمالى العالمى . وما يزعـم بـه البعض أو يراهنـون عليـه فيمـا يتعلـق بـالدور الأوربـى ، نـراه سـراباً ، أو صـخرة تتحطـم عليــه انفعــالات وحماسـة المواقـف العربية. وهذا ما يثير التفكير فى مدى امكانية الدور الممكن لأوربا أن تقوم به فى حالة قيام حرب عربيـة اسـرائيلية قادمـة . وهـو مـا سـنقوم بتوضيحـه فـى النقطـة التالية.

المبحث الخامس

موقف القوى العظمى ازاء حرب عربية اسرائيلية قادمة

أشرنا فى البداية ، إلى أن احتمالات قيام حرب عربية اسرائيلية جديدة قائمة فى الغالب وذلك استناداً إلى ما سبق توضيحه . ونضيف هنا أن استمرار الأوضاع على ما هى عليه ، دون التوصل إلى حل نهائى للصراع يتم بموجبه اعادة الأراضى المحتلة فى ١٩٦٧، واقامة الدولة الفلسطينية فى الضفة والقطاع على الأقل ، سيؤدى إلى زيادة احتمالية وقوع الحرب ، وارتفاع أسهم الخيار العسكرى . وهناك من يطرح آراء معاكسة بلاشك، استناداً إلى أن قرار الحرب يعود إلى عوامل خارجية قد تتعلق بالعملاقين . وهنا ، فان الرد العملى هو أن حرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت ضد ارادة العملاقين ، وأن العرب قاموا بها ، لاعادة أراضيهم المحتلة ، وطالما ظل جزء من هذه الأراضى محتلاً ، خاصة فى سوريا وجنوب لبنان والضفة والقطاع أى حدود ما قبل ١٩٦٧، فان تصور اعلان الحرب قائم بلا منازع ، وأن الارادة الذاتية لها دور كبير فى ذلك. فليس من مصلحة العملاقين والدول صاحبة المصلحة فى المنطقة ، أن تقوم حرب مرة أخرى. لكن ما بالنا وهذه الدول لا تبذل الجهد الذى يتوازى مع الحيلولة دون وقوع هذه الحرب والسعى نحو السلام الحقيقى والعادل .

فقد سبقت الاشارة إلى آراء كارتر ، ونيكسون ، وهما رئيسان لاحدى القوتين العالميتين الى انه كان فى الامكان تجنب حرب أكتوبر لو لم تؤجل التسوية. وأن الوقت الحاضر أفضل من الغد فى التسوية لصالح اسرائيل .

وبالقدر الذى تثار فيه احتمالات الحرب ، من جانب العرب ، لاسترداد باقى الأراضى المحتلة ، بالقدر الذى تثار فيه على الجانب الاسرائيلى نفس الاحتمالات ، وذلك بهدف الهيمنة والحيلولة دون تفكير عربى فى ضربة لاسرائيل، وان كانت هى تقوم بذلك الآن فى شكل عمليات سريعة وخاطفة وليست بالشكل التقليدى للحروب ، كما فعلت عند ضرب المفاعل النووى فىالعراق عام ١٩٨٠ ، وكما ضربت مقر المنظمة فى تونس ، وكما اغتالت الرجل الثانى فى المنظمة (ابو جهاد) فى تونس أيضاً بعد ذلك .

كذلك أشرنا إلى طبيعة الموقف الأمريكى فى مراحله المختلفة، ولا يخرج مضمونه عن الانحياز الكامل – فى ضوء الارتباط العضوى – لاسرائيل. وأن الرؤساء الأمريكيين ، يضمنون أمن اسرائيل ، باعتبارها جزء بل امتداداً للأمن القومى الأمريكى ، وهناك من يرى ، كما سبقت الاشارة أن السياسة الأمريكية حيال الشرق الأوسط والصراع العربى الصهيونى بشكل خاص ستبقى كما هى، ولن تشهد أى تغيير جذرى ، أو نقلة حقيقية ، طالما أن هذه السياسة لا يمكنها التحرر من نفوذ اللوبى ، فهذا اللوبى ساعد وشجع على طغيان اتجاه الكونجرس، والصحافة ، والرأى العام الذى أصبح جزءاً لا يتجزأ من ثقافة أمريكا السياسية، إلى حد أنه ينظر إلى اسرائيل على أنها لا تمثل عبئاً على كاهل الولايات المتحدة بلا مقابل ، بل انها مصدر عون ونفع لأمريكا ، فى المجالات العسكرية والسياسية، فى التعامل مع المنطقة ، بما يتفق والاستراتيجية الأمريكية ، والمصالح القومية لها . بل يشير البعض إلى ذلك قائلاً : أن السياسة الأمريكية للتزويد بالسلاح ، تعتبر أحد مفاتيح الاستراتيجية ، التى تهدف إلى التحكم فى المنطقة عن طريق التصرفات ذات الوجهين : بتقوية أحد الأطراف لكى يكون قوة اقليمية عظمى ، وإضعاف الطرف الآخر ، لكى يقبل باتفاقيات غير مرغوبة ، وبفرض سلام مائع " ومثال ذلك تشجيع اسرائيل وتأييدها ، فى الحصول على

السلاح النووى ، بينما تعلن دائماً عن ضرورة منع أقطار أخرى ، من الحصول على السلاح النووى ، وفى نفس الوقت ، تتجاهل أى عمل يتم اتخاذه من جانب الأقطار الأخرى التى أصبحت نووية ، عندما كانت لاتزال على الطريق"(١).

كذلك فى ظل محاولاتها أن تطرح سلاماً يتفق ومصالح اسرائيل ، دون أن يتلاقى مع مصالح الفلسطينيين والعرب ، ودون أن تؤكد أطروحاتها ومبادراتها بقوة الزامية ، يمكن من خلالها الضغط على اسرائيل ، لقبول المقترحات الأمريكية، ورفض اسرائيل لمبادرة ريجان خير دليل على ذلك .

وفى ظل امكانيات أمريكا على التدخل بالقوة فى المنطقة ، ولو بشكل غير مباشر ، عن طريق اقامة الجسور الجوية لنقل أحدث الأسلحة لحلفائها ، ومن بينهم إسرائيل ، كما حدث فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، وفى ظل الوفاق العالمى الجديد ، والذى تحاول فيه الولايات المتحدة أن تكون المهيمنة ، وتسعى للضغط على الاتحاد السوفيتى ومحاصرته ، كما حدث فى استمرار ضغوطها عليه للرحيل من أفغانستان .

فى ظل هذا كله ، فان المتوقع أن تتدخل الولايات المتحدة مساندة ومؤيدة لإسرائيل ، وستؤكد نفسها كطرف أصيل فى الصراع العربى الاسرائيلى ، وليست كوسيط محايد بين أطراف الصراع . وأنها ستلقى بكل ثقلها ، فى ضوء الخبرات التاريخية ، فى تعاملها مع المنطقة والصراع. وستحاول تمكين اسرائيل من الهيمنة على المنطقة وفرض سيطرتها، وليس بالضرورة لامتلاك أراضى جديدة ، ولكن مجرد محاولة لاعطاء درس للعرب ، يعترفون به بالهيمنة الاسرائيلية والأمريكية على المنطقة ، مؤكدة بذلك نفوذها ووجودها فى المنطقة ، وبعبارة أخرى ستسعى الولايات المتحدة ، إلى استمرار الحرب ، حتى يتأكد الجميع بأنها فى صالح اسرائيل ، وأنها ستحول بكل الوسائل دون هزيمتها .

---

(١) أمين هويدى ، " السياسة الأمريكية والسعى نحو السيطرة " ، شئون عربية ، تونس ، عدد (٢٧) ، مايو ١٩٨٣ ، ص ٣٧ : ٤٣ ، (ص٤٠) .

أما الجانب السوفيتى ، وقد سبقت الاشارة إلى تعامله الحذر مع أطراف الصراع وما أتسم به أيضاً من ثبات نسبى لصالح العرب ، ولكن ليس بالقدر الذى يساوى الارتباط الاسرائيلى الأمريكى وهو ارتباط عضوى اذ أنه سيكون قوياً فى دعمه للموقف العربى فى الحرب بما يحول دون هزيمة عربية ، على غرار ما حدث فى ١٩٦٧ ، وبالتالى يحول دون هيمنة وانفراد من جانب الولايات المتحدة، مع الحفاظ على تدعيم الوفاق مع الولايات المتحدة ومكتسباته بالنسبه له ، متجهاً أيضاً إلى ضرورة الحفاظ على استمرارية وجوده ونفوذه فى المنطقة . وبالتالى فان التفكير فى عدم مساندة الطرف العربى من جانب الاتحاد السوفيتى سيكون له آثار بالغة على مصداقية الارتباط العربى بالسوفييت عموماً وكذلك مصداقيتهم فى المنطقة. وهذا ما نستبعده من الاحتمالات ، الا انه فى تقديرنا ، سوف يكون أقرب إلى دور الوسيط منه إلى دور المشارك الأصيل ، بالمقارنة بالولايات المتحدة مع اسرائيل ، وذلك استناداً إلى طبيعة الموقف السوفيتى الذى يتسم بالحذر، حيث لن يترك لنفسه فرصة التورط المباشر .

أما الموقف الأوربى ، فانه فى تقديرنا ، على الرغم من الإرتباط مع الولايات المتحدة ، والتسليم بان التناقض بينهما ، هو مجرد تناقض ثانوى ، وليس تناقضاً رئيسيّاً ، الا أنه من المتصور أن يلعب دور الطرف الوسيط المنحاز بشكل غير مباشر للطرف الاسرائيلى ، وذلك استناداً إلى أن الطرف الأوربى هو أكثر الأطراف تضرراً من اندلاع حرب فى المنطقة العربية بين العرب واسرائيل لما ينتج عنها من أضرار فادحة لأوربا ، ولذلك فان الأوربيين سيبذلون فى المستقبل جهوداً فى الوساطة أكبر من مثيلاتها فى الوقت الحاضر اذ هى لا تخرج عن كونها جهوداً بديلة لدور رئيسى يتمثل فى الولايات المتحدة ، وذلك فى ظل ظروف معينة ، فأوربا أكثر المناطق استفادة من مناخ الوفاق بين العملاقين، وهى تسعى لأن تكون لها قوتها العالمية ودورها المتميز، وبالتالى فان جهودها ستنصب

وتتركز على احتواء الحرب بقدر الامكان. بل من المتوقع أن تحدث خلافات بينها وبين الولايات المتحدة ، التى ستساند اسرائيل وذلك نتيجة محاولة الولايات المتحدة استخدام قواعدها فى أوربا لدعم اسرائيل .

وبالتالى فان مناخ الوفاق العالمى الجديد ، ستكون له آثار فى المساعى المبذولة من جانب الاتحاد السوفيتى وأوربا الغربية أساسا، لاحتواء الصراع تجنباً لتطوره ، بما ينذر بوقوع حرب كبرى يتورط فيها العملاقان ، لكن الولايات المتحدة لن تجعل مناخ الوفاق يحول بينها وبين دعم اسرائيل وتمكينها من فرض هيمنتها .

وفى الواقع فان هذا هو الذى يجعل واجب العرب دائماً أن يعدوا أنفسهم وبدائلهم فى ظل هذا الاحتمال ، تجنباً لهزيمة قد تكرس وضعاً لاسرائيل ، يصعب التخلص منه فى وقت قصير ، مما ستكون له آثار كبرى على الأجيال القادمة .

على العرب اذن أن يدركوا ، أن موقف الولايات المتحدة ، لابد من استيعابه جيداً ، للاحتساب للأمر بشكل مخطط جيداً تجنباً للمفاجآت .

على العرب أيضاً أن يدرسوا تطور طبيعة موقف الولايات المتحدة والموقف الأوربى والسوفيتى باستمرار ، لأن مواقف الدول الكبرى ، ليست مواقف طارئة ، ولكنها مواقف تعبر عن استراتيجية كونية ، ومن هنا ، فان العرب مطالبون بادخال أطراف جديدة كبرى فى التوازن ، منها الصين ، واليابان تحديداً .

وأخيراً فان علينا أن نعى ميزان القوى جيداً ، لأن نتيجة الحرب على وجه التحديد تتوقف عليه ، ومهما قيل ، فان توازن القوى هو الذى سيحسم المعركة ، وبالارادة العربية المجتمعة والمخططة لن تتمكن اسرائيل أو الولايات المتحدة من العرب ، لأن الميزان آنذاك سيكون فى صالحهم ، وهذا هو التحدى للتعامل مع الانحياز الأمريكى لاسرائيل ذى الارتباط العضوى ، وهذا ما يجب أن نتذكره دائماً .